تاريخ مصر

من العصر الفرعونى حتى العصر الحديث

عبد النعيم ضيفي عثمان

ماجستير التاريخ الإسلامى - جامعة القاهرة

دار الرشاد

تاريخ مصر

من العصر الفرعونى حتى العصر الحديث

عثمان ، عبد النعيم ضيفى .
تاريخ مصر من العصر الفرعونى
حتي العصر الحديث/ عبد النعيم ضيفى عثمان .- ط ١ .-
القاهرة : دار الرشاد ، ٢٠٠٨ .
٢٠٨ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم .
تدمك : ٩ - ١٣٠ - ٣٦٤ - ٩٧٧
١ - مصر القديمة - تاريخ
٢ - مصر - تاريخ - العصر الحديث (١٨٠٥ -)
أ - العنوان ٩٣٢

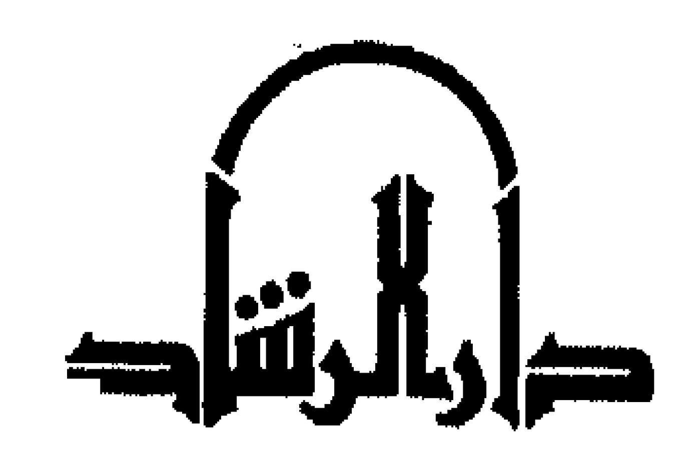
الناشـــــر : **دار الرشـاد**
العنـــــوان : ١٤ شارع جواد حسنى ـ القاهرة
تليفـــــون : ٢٣٩٣٤٦٠٥
رقـم الإيـداع : ١١٤٥٧ / ٢٠٠٨
الطبـــــع : **عربية للطباعة والنشر**
العنـــــوان : ٧ ، ١٠ ش السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفـــــون : ٣٣٢٥٦٠٩٨ـ٣٣٢٥١٠٤٣

الطبعـــة الأولى : ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م
الغـــلاف للفنـــان : **عبادة الزهيرى**
مـــراجعـــة : **عادل أبو المعاطى**

تاريخ مصر

من العصر الفرعونى حتى العصر الحديث

تأليف
عبدالنعيم ضيفى عثمان
ماجستير التاريخ الإسلامى - جامعة القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعـــد ..

المقدمة

يُعتبر التاريخ بمثابة الذاكرة الحية للشعوب ، وصفة من الصفات التى تميز الكائنات الحية ، فأمةٌ بدون تاريخ هى أمة لا تستحق الحياة الآدمية .

ولذلك تهتم الأمم المتحضرة بتعليم تاريخها لأبنائها ،على اعتبار أنه من خلال التاريخ يمكن استشراف المستقبل ، وغرس الروح الوطنية فى نفوس المواطنين . وبالتالى اعتبروا التاريخ ، بجانب اللغة من المواد القومية التى تُدرس فى كافة المراحل التعليمية بداية من رياض الأطفال حتى الدراسات الجامعية وما فوقها. ولم تستثن أىّ نوع من التعليم إلا وجعلت التاريخ أحد المقررات الرئيسية ، ففرْق كبير بين طبيب يدرس التاريخ ، وبالتالى عند تخرجه سوف يعتبر أن الطب رسالة ، وفرق بين من لم يدرسه فيعتبر الطب تجارة مثلاً . وقس على ذلك كل التخصصات .

والحديث عن التاريخ وأهميته يطول وقد كُتبت فيه مجلدات ، لعل من أبرزها كتاب ابن خلدون (مقدمة ابن خلدون) حيث عرَّف وتعرض لأهمية التاريخ . ومن الكتب الهامة التى خُصصت لإبراز أهمية التاريخ كتاب السخاوى «الإعلام بالتوبيخ، لمن ذمَّ علم التاريخ » وغيرها الكثير .

وانطلاقًا ، من أهمية علم التاريخ ، وأهميته فى حياة الإنسان ، نجد أن القرآن الكريم قد أشار لأهمية التاريخ ، حيث قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف : ١١١] ومن هنا اهتم المسلمون بتدريس التاريخ ، حتى أن علماء التاريخ كانوا هم أنفسهم علماء الحديث .

أقول هذه المقدمة من واقع آلمنى ، فحينما كنت فى طريقى للمنزل وأثناء ركوبنا الحافلة ، مررت بأحد المساجد الأثرية ، وهو على وجه التحديد جامع أحمد بن طولون . ولفت نظرى وجود رجل يرتدى ملابس غالية الثمن ، وتبدو على ملامح وجهه أنه يشغل عملاً هامًا ، من الممكن أن يكون فى حقل التعليم . وبجواره شاب لا يقل عنه أناقة فى الملبس ، ولا فى سمات الثقافة التى تبدو على وجهيهما .

فسأل الشاب وهو يقرأ اليافطة متعجبًا : مَنْ هو أحمد بن طولون ؟ فسكت الرجل ، ثم تحدث وليَتَه ما فعل ، فقد قال له : لا أعرف أصل دى آثارات . وياليته لم يكن يعرف فقط ، ولكن نطقه كلمة آثار خطأ . مما جعلنى أحس أن الدم يغلى فى عروقى ، فهذا الرجل لو كان نظر حتى فى كتاب من الكتب الدراسية لأدرك من هو ابن طولون ؟

وأعتذر للقارئ على طول المقدمة نسبيًا ، ولكن لكى أوضح أهمية صدور كتاب يتناول بصورة مبسطة تاريخ مصر ، نعم نحن نعلم أن تاريخ مصر غنى ، ولا تكفيه المجلدات تلو المجلدات . ونعلم أيضًا أن من يتصدر لكتابة تاريخ مصر من أقدم العصور حتى العصر الحديث أشبه بمن يريد أن يعبئ نهر النيل فى زجاجة ، وهذا من المستحيل طبعًا ، ولكن هى مجرد محاولة نتمنى أن يُكتب لها النجاح إن شاء الله سبحانه وتعالى .

منهج الكتاب

وقد اتبعت منهجًا يقوم على تقسيم الكتاب إلى عدة فصول : تناول الفصل الأول ملامح تاريخ مصر فى العصر القديم حتى عصر الرومان .

أما موضوعات الفصل الثانى فتناولت الحضارة الفرعونية على مختلف مجالاتها سواء العمارة والفنون والحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية .

وبالنسبة للفصل الثالث فقد تناول تاريخ مصر منذ الفتح العربى حتى انتهاء عصر الولاة ، ويشمل موضوعات : وهى علاقة العرب بمصر قبل الإسلام ، ثم الفتح ، ثم عصر الولاة سواء فى عهد الخلفاء الراشدين ، أو عهد الدولة الأموية ، أو عهد الدولة العباسية .

والفصل الرابع تناول الدول التى قامت فى مصر مبتدئة بالدولة الطولونية ، والدولة الإخشيدية ، والدولة الفاطمية ، والدولة الأيوبية ، ودولة المماليك الأولى والثانية ، والفتح العثمانى لمصر .

أما الفصل الخامس فكانت موضوعاته عن الحملة الفرنسية على مصر ، وعصر محمد على وخلفائه ، مرورًا بالأحداث التى واجهت مصر حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م .

أما الفصل السادس فتناول موضوعات ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م ومعركة سنة ١٩٥٦م ، ومعركة سنة ١٩٦٧م ، وحرب أكتوبر حتى معاهدة السلام .

وفى النهاية أتمنى أن يجد الكتاب قبولاً لدى القراء ، وهو على العموم عمل متواضع الغرض منه جمع الموضوعات التاريخية المبعثرة فى بطون الكتب ، تسهيلاً على القارئ للإلمام بتاريخ مصر .

عبد النعيم ضيفى عثمان

القاهرة فى ٥/ ٣/ ٢٠٠٧م

الباب الأول

الحقبة الفرعونية

وعصر البطالمة والرومان

الفصل التمهيدى

١ ـ ظهور الحضارة المصرية القديمة

السؤال الذى يتبادر إلى الذهن دائمًا ، والذى يواجه الدارس للتاريخ المصرى القديم هو : لماذا ظهرتْ الحضارة فى مصر مبكرًا ؟ ولماذا سبقتْ مصر الآخرين فى إنشاء حضارة رائدة ، ومُعلِّمة ؟

وللإجابة على هذين السؤالين يجب أن نعرف أن الحضارة لا تبدأ من فراغ ، أو نتيجة للصدفة ، ولكن لابدّ من توافر عناصر عديدة تساعد على قيام هذه الحضارة . وتتمثل هذه العوامل فى عوامل طبيعية، وعوامل بشرية. وهناك علاقة متلازمة بينهما. فلا يمكن لأىِّ عنصر أنْ يعمل بمفرده ، دون مشاركة بقية العناصر .

وقد توافرتْ فى مصر عناصر صُنْع الحضارة بنوعيها ، ولو استعرضنا أولاً العناصر الطبيعية سنجد أن نهر النيل يأتى على رأس هذه العناصر ، فقد ساهم النهر فى تكوين ، ووضع بذرة الحضارة عن طريق تخصيبه للتربة . كما شاهد بواكير ظهور هذه الحضارة سنة ٥٠٠٠ ق.م .

وقد عرف المصريون القدماء أهمية نهر النيل ، ولذلك اعتبروه مركزًا للعالم ، وعرفوا منابعه الجنوبية ، ولذلك كان للجنوب أهمية ، حيث كان نقطة توجههم [١] ، بل اعتبروا الجنوب هو بداية العالم . ولذلك سمى المصريون النيل (حابى) (Hapi) . كما كانوا يسمونه (أترو – عا) [٢] .

---

(١) جوزرج بوزنر وآخرون : معجم الحضارة المصرية ، ترجمة : أمين سلامة ، الهيئة العامة للكتاب ، مشروع مكتبة الأسرة ، ١٩٩٦م . ص ٣٤٥ .

(٢) من هذه الكلمة جاءت كلمة ترعة ، والتى تطلق على القنوات التى تُحفر بجوار النيل لنقل المياه للأراضى البعيدة عن النهر .

وقد علّم النيل المصريين أصول الزراعة مما ساعد على الاستقرار وبالتالى بناء الحضارة ، كما أن عملية التحكم فى ضبط النهر ، وتوزيع مياهه بالعدل احتاجت بالضرورة لقيام حكومة مركزية تستطيع أن تمسك بزمام الأمور .

ومن هنا ظهرت أول حكومة مركزية فى الجنوب ، كما أن النيل ساعد على اتصال الشمال بالجنوب ، مما ساعد على تبادل المحاصيل والمنتجات ، وربط بين أنحاء الوادى ، فالرياح الشمالية كانت تدفع السفن تجاه الجنوب . أما حركة التيار والتى تبدأ من الجنوب فكانت تدفع بالسفن تجاه الشمال .

ومن العوامل التى كان لها الأثر الأكبر فى ظهور الحضارة المصرية القديمة ، الموقع فموقع مصر جعلها من دول الوسط ، وليست دولة أطراف . وللموقع المتوسط عدة مميزات ، حيث إنه يكون محميًّا من جميع الجهات ، فوجود الصحراء الشرقية والصحراء الغربية كان حماية للمصريين من الغزو الأجنبى إلا فى بعض الفترات القليلة والتى تعرضت فيها مصر لغزو الهكسوس ، والأشوريين ، والفرس . كما أن الموقع المتوسط يجعل الاتصال بين الدولة وجيرانها سهلاً وهو ما توافر فى مصر[1] .

أما العامل الثالث ، والذى ساعد على ظهور الحضارة المصرية فهو المناخ ، حيث يتميز المناخ المصرى باعتداله بصفة عامة ، وبُعْده عن التطرف فدرجة الحرارة معتدلة معظم العام ، كما أن الجو بصفة عامة يميل للجفاف مما جعل المصريين يعتمدون على النهر فى توفير احتياجاتهم من المياه للرى أو الزراعة .

كما أن وجود الثروة المعدنية ، والتى تتوافر بكثرة . فقد وفرت مادة خام أحسن المصرى استخدامها لصنع الآلات التى يحتاجها ، فقد عرف المصرى الحديد ، والنحاس والبرونز . ولذلك دخلت مصر فى عهد استخدام المعادن مبكرًا .

(١) يونان لبيب رزق : قراءات تاريخية على هامش حرب الخليج ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠٥، ص ٨ .

وقبل أن نختتم الحديث عن عناصر قيام الحضارة المصرية ، لا يمكن بالضرورة إغفال دور الإنسان المصرى ، صانع هذه الحضارة ، فقد أحسن استغلال كلِّ المقومات الطبيعية والتى توافرت له ، واستطاع التأقلم مع البيئة ، فقد بدأ صيادًا ، ثم أصبح مزارعًا ، ثم أصبح مبتكرًا للحضارة .

وهكذا تناغمتْ العوامل الطبيعية مع العوامل البشرية فى صناعة الحضارة الفرعونية ، والتى شغلت العالم بفكرها ، وإنتاجها الحضارى ، ولذلك أصبحتْ فى المقام الأول حضارة إنسانية مُعلِّمة للجميع .

٢ ـ مصادر دراسة التاريخ المصرى القديم

تتنوع مصادر التاريخ المصرى القديم ، ما بين مصادر تركها المصريون منقوشة على جدران المعابد وورق البردى ، وما بين كتابات مؤرخين قدامى ، سواء كانوا يونانيين أو مصريين .

فالمصادر المنقوشة على جدران المعابد ، وورق البردى توضح أسماء الملوك ، وأهم أعمالهم ، والمراسيم التى أصدروها . ومن أشهر هذه الأعمال :

١ ـ قائمة الكرنك :

تعود هذه القائمة فى تاريخها إلى عهد (تحتمس الثالث) وموجودة فى إحدى قاعات المعبد ، والذى يسمى قاعة الأعياد . والقائمة مكتوبة فى إحدى الحجرات التى تسمى قاعة الأجداد[1] .

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، الهيئة العامة للكتاب (مشروع مكتبة الأسرة) ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، جـ ١ ص ١٥٨ .

٢ ـ قائمة العرابة المدفونة :

موجودة فى معبد سيتى بمنطقة العرابة المدفونة ، وهى تذكر أهم ملوك الفراعنة منذ عهد مينا ، وكان الغرض من ذكر هذه القائمة هو رغبة سيتى فى تخليد ذكرى مَنْ سبقوه[١] .

٣ ـ قائمة سقارة :

وُجدت هذه القائمة فى قبر (تونورى) وكان يعمل كاتبًا للملك ، وتبدأ هذه القائمة بذكر الملك الخامس بعد مينا والذى يُسمى (مربابا) .

٤ ـ ورقة تورين :

هى ورقة بردى تعود إلى عصر الأسرة التاسعة عشر ، وتمتاز بأن الملوك الذين ذُكِروا فيها . قد وضحت مدة حكمهم بالأيام ، والشهور ، والسنين ، كما أنها تذكر الملوك الغير مشهورين[٢] .

٥ ـ حجر بالرمو :

هو جزء من مجموعة لوحات كُتبت على الحجر ، وكانت تُنصب فى المعابد ، ويعود تاريخ الحجر إلى عهد الأسرة الخامسة .

١ ـ مانيتون والكتابة عن مصر :

أما عن المصادر والتى كتبها المؤرخون فيأتى على رأس هؤلاء المؤرخ المصرى مانيتون السمنودى . وكان يعمل كاهنًا وكاتبًا . وقد قام بكتابة تاريخه بتكليف من بطليموس الثانى . وقد قام بتقسيم مصر إلى ثلاثين أسرة . ولكن للأسف فُقِد هذا الكتاب . والجزء الذى وصل منه كان عن طريق المؤرخ اليهودى جوزيف المولود فى عام ٣٧ ميلادية[٣] .

---

(١) سليم حسن : مرجع سبق ذكره ، جـ١ ص ١٥٩ .

(٢) المرجع السابق ، جـ١ ص ١٦٠ .

(٣) سيرو . م فلندرز : الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة ، ترجمة : حسن محمد جوهر وآخرون ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٥م . ص ٧،٨ .

٢ ـ هيكاتـه :

كما اشتُهر أيضًا من المؤرخين هيكاته الذى عاش حوالى ٥٥٠ ق. م. وزار طيبة والتقى مع الكهنة . وكان الهدف من زيارته وضع شجرة لأنساب ملوك ليبيا .

٣ ـ هيردوت :

ومن المؤرخين المشهورين (هيردوت)[١] . زار الدلتا ، واستقر فى مدينة منف ، ثم قام بالزيارة للصعيد ، ووصل حتى جزيرة (ألفنتين) وفى عودته منَ الصعيد زار الفيوم ، والدلتا ، ثم زار مدينة السويس . وقد وصف فى كتابه الحياة الاجتماعية فى مصر ، كما وصف الآثار المصرية كما رآها[٢] .

٤ ـ ديودور الصقلى :

أما المؤرخ الذى وصل كتابه كاملاً ، فقد كان ديودور الصقلى ، زار وادى النيل فى عام ٦٠ ق. م. ويميل فى كتابه إلى الآراء الفلسفية والدينية[٣] .

٥ ـ استرابون :

كما يعتبر من المصادر التاريخية كتاب استرابون الذى زار مصر فى عام ٢٧م ، ووصل إلى الشلال الأول ، ولكنه لم يكُنْ أمينًا ، حيث نسب معظم مشاهدات القدامى على أنه قد شاهدها[٤] .

---

(١) هيرودوت : مؤرخ يونانى ، ومعنى اسمه هيرو (مقدس) دوت (عطية) فيصبح الاسم معناه باللغة العربية العطية المقدسة ، وهو مؤرخ يخلط كثيرًا من الحقائق التاريخية بالأساطير .

(٢) هيرودوت يتحدث عن مصر .

(٣) سليم حسن : نفس المرجع ، جـ١ . ص ١٦٤ .

(٤) المرجع السابق ، نفس الجزء . ص ١٦٥ .

٦ - بلوتارخ :

ويتبقى لنا من المؤرخين المؤرخ الرومانى (بلوتارخ) فقد كتب عن مصر عام ١٢٠ ميلادية . واهتم أكثر بقصة - إيزيس وأزوريس - وتعتبر كتاباته من الكتابات الدقيقة[١] .

٣ - بواكير الحضارة المصرية

ينقسم التاريخ المصرى طبقًا لتدوينه إلى عصرين، وهى عصور ما قبل التاريخ، وهى قبل معرفة الإنسان القراءة والكتابة ، وقد امتدت هذه العصور منذ ظهور الإنسان فى وادى النيل ، حتى بداية عهد الأسرة الأولى فى عام ٣٢٠٠ ق. م.

والعصر الثانى هى العصور التاريخية ، والتى بدأ يتعلم فيها الإنسان القراءة والكتابة ويُدوِّن أعماله على الكهوف والمبانى ، مما وفر مادة تاريخية يمكن منها كتابة تاريخ الإنسان . وسنحاول التحدث عن كل عصر من هذه العصور .

أولاً : عصور ما قبل التاريخ :

تنقسم هذه العصور الطويلة إلى العديد من الأقسام ، وهى العصر الأول وما يُسمَّى العصر قبل الحجرى (الأيوليثى) ، والعصر الثانى يسمى العصر الحجرى القديم (الباليوليثى) وهو العصر الذى استخدم فيه الحجر المهذب . والعصر الثالث هو عصر استخدام المعادن . وفيما يلى تفصيل لهذه العصور :

(أ) **العصر ما قبل الحجرى (الأيوليثى)** :

استخدمت فى هذا العصر ، الأدوات المصنوعة من أحجار الظران ، وهى أحجار تعود إلى العصر الثالث الجيولوجى ، وقد تعرضت لمؤثرات مناخية أدَّتْ إلى تفتتها ، وقد حاول أن يُهذِّبها الإنسان الأول ، وقد وُجِدَتْ منها قطع كثيرة[٢] .

---

(١) سليم حسن : مرجع سبق ذكره ، ص ١٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، جـ ١ ص ١٦ . وانظر سير فلندرز : نفس المرجع ، ص ٨ .

(ب) العصر الحجرى :

ينقسم هذا العصر إلى ثلاثة عصور ، وهى : العصر الحجرى الأسفل ، والعصر الحجرى القديم المتوسط ، والعصر الحجرى الأعلى . وقد تميَّز العصر الحجرى الأسفل بمناخ أشبه بمناخ المناطق الاستوائية[١] ، ولكنه يميل إلى البرودة قليلاً . وكان الإنسان يعيش فى الكهوف، ويعتمد فى غذائه على حرفة الصيد ، وجمع والتقاط الثمار[٢].

أما بالنسبة للعصر الحجرى المتوسط ، وفيه بدأ الإنسان يصنع أسلحة مثلثة الشكل من الظران ، كما عاش فى الكهوف ، وعمل بالصيد .. وقد انتشر الجليد فى أنحاء أوربا فى هذا العصر .

ويتبقى لنا الحديث عن العصر الحجرى الأعلى .. وقد بدأ المناخ يتغير فى هذا العصر فبدأت الأمطار تقل فى غزارتها . وقد تنوعت آلات الإنسان ، وتميزت بالدقة.

(جـ) عصر استخدام المعادن :

يمكن أيضًا تقسيم هذا العصر ، إلى قسمين وهما : العصر الحجرى الحديث ، وعصر استخدام المعادن . وقد بدأ العصر الحجرى الحديث مع تقهقر الجليد ، وسيادة الجفاف فى معظم منطقة شمال أفريقيا ، وكنتيجة لموجة الجفاف هذه بدأ الإنسان يهجر الصحراء ، بعد أنْ ذبلت النباتات ، ويتجه إلى الوادى الممتلىء بالمياه . وبدأ يتعلم الزراعة[٣] .

وقد نشأتْ العديد من القرى مثل قرية العمرى ، ومرمدة بنى سلامة وكوم أوشيم فى الفيوم. ودير الطاسا، كما وُجدت مدافن بجوار القرى على حافة الصحراء.

وقد تقدَّمت الصناعة تقدمًا كبيرًا فى هذا العصر ، وظهرت صناعة الفخار ، والذى عثر عليه بكثرة فى مرمدة بنى سلامة . وقد سُجِّل هذا الفخار على شكل

(١) المناخ الاستوائى : يتميز بشدة الحرارة ، والمطر تصاعدى غزير ويستمر طول العام .

(٢) سليم حسن : المرجع السابق . ص ١٧ .

(٣) جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية القديمة ص ٢٢٩ .

أطباق ، وأكواب ، وجرار ، وأباريق . كما صُنعت أدوات من العظام تميزت بالدقة ، وظهرت أيضًا الفأس المصقولة .

وقد عاش الإنسان فى منازل مبنية من البوص ، ومثبتة بأوتاد فى الأرض ، كما زودت بصوامع لحفظ الغلال ، وكانت هذه العشش تُفرش بالحصير ، وقد زُودت هذه العشش بمواقد لطهوِ الطعام ، وكانت تُسقف بالبوص بطريقة أفقية ، والحوائط تُدهَنُ بطمى النيل .

أما عصر استخدام المعادن ، فقد بدأ الإنسان يعرف استخدام المعادن مثل النحاس والذهب فى صناعة الآلات ، وقد استخدم معدن البرونز على نطاق واسع .

وقد ظهرتْ حضارة فى عصر المعادن سُميت بحضارة البدارى[1] ، وحضارة نقادة[2]. وفى حضارة البدارى بدأ الإنسان يعرف شكل البناء المستطيل بدلاً من المستدير ، كما أن الأكواخ استُخدم فى إنشائها الطين المعجون ، والمقابر كانت على شكل حفر بيضاوية الشكل ، وكان الميت يُكفَّن فى حصير ، أو جلد ماعز . ثم تغطى المقبرة بالأعشاب ، كما كانت تسند رأس الميت على وسادة ، أما فى عهد حضارة نقادة فقد أصبحت المقابر شكلها مستطيل .

كما تقدمتْ فى عصر استخدام المعادن ، صناعة الفخار والذى أصبح يُزيَّن بالرسوم والنقوش ، والتى كانت تحتوى على رسومات لأشجار وحيوانات وخصوصًا صور فرس النهر ، والطيور ، والأسماك .

وقد تقدم الفن فى هذا العصر فظهرت الأمشاط المصنوعة من العاج ، وكان هذا العصر قد شهد تقدمًا فى فن النحت الغائر على العاج ، وكانت النقوش التى تُنقش عليه هى نفس النقوش التى نُقشتْ على الفخار .

(١) البدارى : إحدى مراكز محافظة أسيوط .

(٢) نقادة : مدينة غرب النيل فى محافظة قنا .

الفصل الأول

العصور التاريخية لمصر

(التطور السياسى فى مصر القديمة)

بعد تكوين القرى أصبحت هذه القرى تتجمع فى وحدة مُكونة المدن ، ومن مجموعة المدن ظهرت الأقاليم ، وكان كل إقليم يسمى (سبات) ومعناها القسم . وكانت البلاد تُقسم إلى أربعة أقاليم رئيسية وهى : النحلة ، والبوصة ، والثعبان ، والنسر . ثم حدث اتحاد بين النحلة والبوصة وكونت مملكة . ومن الثعبان والنسر كونت مملكة أُخرى. كما تكونت مملكة جديدة فى الوجه القبلى تسمى مملكة (الصقر).

محاولات توحيد مصر :

وقد اتحدت ممالك الوجه البحرى فى مملكتين ، وهما الأولى فى الغرب ، وعاصمتها بحدت بالقرب من مدينة دمنهور . والمملكة الثانية فى الشرق وعاصمتها بوصير ، ثم اندمجت هاتان المملكتان فى مملكة واحدة كانت عاصمتها مدينة بحدت . ثم قامت هذه المملكة بغزو الوجه القبلى ووحدت القطرين فى مملكة واحدة ، ولكن هذه الوحدة لم تستمر طويلاً ، حيث ثار أهل الصعيد بزعامة مدينة (نقادة) .

ثم جرت محاولة أخرى عندما قامت مملكة حور فى الشمال ، بإخضاع مملكة ست فى الجنوب ، واتخذوا عاصمة جديدة فى مدينة (أون) وهى عين شمس الحالية عام ٤٢٤١ ق. م ثم ضعفت هذه المملكة وانقسمت البلاد مرة ثانية إلى مملكتين ، وهما مملكة الوجه البحرى ، وعاصمتها مدينة بوتو ، والمعروفة بتل الفراعين ، بالقرب من مدينة دسوق الحالية . والمملكة الأخرى هى مملكة الوجه القبلى ، وكانت عاصمتها مدينة (نخب) وتسمى الآن قرية الكوم الأحمر فى غرب النيل ، وتواجه مدينة إدفو .

وقد كان شعار مملكة الوجه البحرى هو نبات البردى ، والذى ينمو بكثرة فى الدلتا ، أما الملك فكان يلبس تاجًا لونه أحمر . أما مملكة الوجه القبلى فكان شعارها زهرة اللوتس . ويرتدى الملك تاجًا لونه أبيض . أما معبودات مملكة الشمال فكان ثعبان الصل . ومملكة الجنوب أنثى النسر . وظلت المملكتان فترة كبيرة حتى تَمَّ توحيدهما على يد الملك مينا (نارمر) فى عام ٣٢٠٠ق.م .

أصل كلمة مصر وسكانها :

كانت مصر تسمى قديمًا بلفظ (كمى) ومعناها الأرض السوداء ، نظرًا لخصوبة الأرض نتيجة الطمى الأسود الذى كان يفيض به النيل . أما الصحراء الشرقية والغربية فكانت تُسمى (تا – رشر) . كما كان من أسماء مصر (حا – كا – بتاح) ومعناها : روح بتاح ، والذى كان يُعبد فى مدينة منف . وقد أضاف اليونانيون حرف السين للفظ كمى وأصبحت تنطق كيبتوس ، والتى حُوِّرت بعد ذلك إلى جيبتوس ، إيجبتو ، والآن تسمى إيجيبت . أما العرب فأطلقوا عليها لقب القبط ، واشتق الاسم أيضًا من كيبتوس .

أما سكان مصر فيعودون إلى عناصر حاميَّة (نسبة إلى حام بن نوح) مثل السائدة فى بلاد الشمال الإفريقى ، والصومال . وعناصر آسيوية . والسلالة الرئيسية لقدماء المصريين هى سلالة البحر المتوسط ، ويتميز بالرأس المستطيلة ، والقامة المتوسطة ، والتى تميل إلى النحافة . أما لون البشرة فيميل إلى الأسمر قليلاً . أما السلالة الأخرى فهى السلالة الجيزاوية وهى من العناصر الآسيوية . ويتميز بالقامة القصيرة المكتنزة ، والرأس المفلطحة وتميل القامة للقصر .

وقد دخلت السلالة الجيزاوية [1] إلى مصر عبر شبه جزيرة سيناء ، وهذا رأى يشير إلى أن القادمين كانوا قد أتوا من سوريا ، أما أصحاب الرأى الذى يرى أنهم أتوا من شبه الجزيرة العربية ، فيقولون : إنهم دخلوا مصر عن طريق البحر الأحمر ، ومدينة قفط فى الصعيد .

(١) سُميت هذه السلالة بهذا الاسم لأنها نزلت فى منطقة الجيزة .

وقد اندمج العنصر الآسيوى بالمصريين ، وقد حاول الكثير إثبات أفضلية عنصر عن الآخر فى صياغة الحضارة المصرية ، ولكن يبدو أن العنصر الإفريقى الحامى ، والعنصر الآسيوى الوافد قد أفادا بعضهما البعض فى صناعة الحضارة .

١ - عصر الأُسْرات

١ ـ العصر العتيق :

يبدأ هذا العصر عندما حكم مينا البلاد، وقد اختُلف فى تاريخ تولية مينا الحكم. فمنهم من يقول : إنه تولى الحكم فى عام ٤٣٢٦ ق. م ، ومنهم من قال : فى عام ٥٠٠٠ ق.م. ولكن الرأى المتفق عليه أنه تولى الحكم فى عام ٣٢٠٠ ق. م . وقد استطاع مينا توحيد البلاد فى مملكة موحدة وسمَّى نفسه (صاحب الأرضين) وسيد نسر الجنوب ، وثعبان الشمال . كما كان يلبس تاجين رمزًا للمملكتين[١] .

وقد أسس مينا عاصمة جديدة هى مدينة (من – نفر) ، والتى حوَّر اليونانيون اسمها إلى ممفيس ، وسماها العرب منف ، وتقع الآن فى قرية ميت رهينة بالجيزة . ومعنى الاسم قلعة الجدار الأبيض . والسبب فى اختيار موقع هذه المدينة هو توسطها بين الدلتا والصعيد ، وكانت هذه المدينة بمثابة قلعة فقط ، ولم تُتخذ عاصمة إلا فى عهد ملوك الدولة القديمة[٢] .

وقد استطاع مينا تأسيس حكومة قوية ، استطاع أن يمسك بها زمام الأمور ، وكانت ملامح هذا النظام هى مركزية الحكم ، حيث كان يجمع الملك فى يده كلَّ السلطات ، كما كان من ملامحه أيضًا استخدام سلطة التفويض ، حيث كان الملك يُفوض سلطاته لكبار موظفيه ، كما كان الحكم وراثيًا . وكان مقر الحكم هو مدينة (نخب) . وليست مدينة منف كما يعتقد الجميع[٣] .

---

(١) سليم حسن : نفس المرجع ، جـ ١ ص ٢٦٩، ٢٧٠ . وانظر سيرج سوفرون وآخرون : معجم الحضارة المصرية ص ٣٢٨ .

(٢) جورج بوزنر : المرجع السابق . ص ٣٢١ .

(٣) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ١ ص ٢٦٨ .

وقد تولى الحكم بعد مينا (خنت) . وقد تقدم الفن المصرى فى عهده تقدمًا كبيرًا ، وقد قام بكتابة سِفْر كبير فى علم التشريح[1] .

ثم حكم من بعده الملك (زت) والمعروف باسم الملك الثعبان ، وتوجد لوحة محفوظة باسمه فى متحف اللوفر فى باريس ، وقد أرسل عدة حملات لتأديب البدو فى منطقة البحر الأحمر ، كما قام باستغلال المحاجر والمناجم الشرقية[2] .

ومن الملوك المشهورين أيضًا الملك (ودمو) . ومن أشهر أعماله القيام بحملة ضد البدو فى سيناء لمُعاقبتهم على هجوم على منطقة الدلتا ، كما قام بتنظيم مياه النيل ، فى منطقة الفيوم ، ونشَّط التجارة الخارجية ، وبلغت مدة حكمه ثلاثين عامًا . ودُفِن فى مقبرة العرابة المدفونة[3] .

٢ ـ ملوك الأسرة الثانية :

أول مَنْ تولى الحكم من ملوك الأسرة الثانية هو الملك (حتب سخموى) . وفى عهده حدث زلزال فى منطقة تل بسطا ، وقد عُثِر له على تمثال يمثله ، وعلى كتفه ثلاثة ملوك .

وبعد وفاة الملكِ (حتب سخموى) تولى الحكم الملك (نب – رع) . وهو أول مَن اتخذ عبادة العجل أبيس[4] فى مدينة منت . والعجل منفيس فى عين شمس .

---

(١) سليم حسن : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦٩ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٧٠ .

(٣) العرابة المدفونة إحدى قرى مركز البلينا ، محافظة سوهاج .

(٤) أبيس : هى عبادة الثيران ، وكانت ترمز للخصوبة ، وكان يُصوَّر على هيئة ثور يحمل بين قرنيه قرص الشمس ، وكان موت أبيس له أهمية كبرى ، فيدفن فى جنازة رسمية ، وتُرسل له الهدايا . وبعد ذلك يبدأ الكهنة فى البحث عن عجل جديد وعلاماته هى : بقعة سوداء فى الجبهة ، وعلى الرقبة ، وعلى الظهر ، وعندما يتم إيجاده يحبس فى حظيرة مقدسة فى مدينة منف – انظر سيرج منورنت : معجم الحضارة المصرية القديمة . ص ١٠ . وانظر أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة : عبد المنعم أبو بكر وآخرين ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ١٩٩٧م . ص ١١ .

وعبادة الكبش في منديس ، ويبدو أنه أعاد تقديس عبادة الحيوانات إلى البلاد مرة ثانية بعد أن سادت فترة من الزمن[1] .

ثم تولَّى الملك (نتر - إن) . وقد حكم البلاد لمدة خمسة وثلاثين عامًا ، ويُعتبر هذا الملك أول من أعطى المرأة حق تولِّي الحكم .وقد ذُكِر اسمه على حجر بالرمو[2].

٢ - عصر الدولة القديمة
(٢٨٠٠ - ٢٢٠٠ ق . م)
(الأسرات ٣ : ٦)

يُطلق المؤرخون على هذا العصر اسم (شباب مصر القديمة) حيث شهدتْ البلادُ رواجًا اقتصاديًا ، وازدهرتْ الحضارة المصرية فيه ، ويُسمى أيضًا عصر بُناة الأهرام . كما شهد هذا العصر انضباط الحدود المصرية ، والضرب بشدة على يد البدو الذين كانوا يُغيرون على مصر ، ومن أشهر ملوك هذا العصر :

١ - الملك (زوسر) :

مؤسس الأسرة الثالثة .. وقد بلغتْ مدة حكمه حوالى تسعة وعشرين عامًا ، ومن أشهر أعماله بناء هرم زوسر المدرج ، والذى بناه الحكيم (أمحوتب)[3] . كما بنى الملك أيضًا مقبرة فى العرابة المدفونة ، وتقع الآن فى منطقة بيت خلاف . والمقبرة الثانية هى هرم زوسر ، وكان السبب فى بناء مقبرتين . أن المقبرة الأولى تمثله كملك للوجه القبلى ، والمقبرة الثانية بصفته ملكًا للوجه البحرى .

ومن أشهر أعمال زوسر إرسال حملات للسيطرة على مناجم سيناء ، وقيامه بالتوغل فى النوبة حتى الشلال الثانى ، كما فتح إقليم (دودبكاشين) .

---

(١) سليم حسن : نفس المرجع . ص ٢٧٥ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٧٦ .

(٣) أبامحوتب : عمل مستشارًا للملك زوسر ، ويعتبر أول من أدخل البناء الحجرى فى مصر ، وقد اشتهر بالطب ، وقد عُبِد فى العصور المتأخرة .

٢ ـ الملك (سانخت) :

يُعتبر تاريخ هذا الملك مجهولاً ، وكل ما تبقى من آثاره بناء مقبرة فى منطقة بيت خلاف بجوار قبر زوسر ، وقد وُجِد اسمه منقوشًا على صخور وادى المغارة فى شبه جزيرة سيناء ، ولكن لم يُعثر له على مقبرة فى منطقة سقارة ، وقد تولى الحكم من بعده ملكان غير مشهورين وهما (حابا) و (نفر - كا)[١] ولكن لم تسجل لهم أعمال[٢] .

٣ ـ الملك (حو) :

يعتبر آخر ملوك الأسرة الثالثة . وقد بنى هرمًا فى منطقة دهشور فى جنوب سقارة، ويُعتبر هو السلف المباشر للفرعون سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة[٣] .

الأسرة الرابعة

١ ـ الملك (سنفرو) :

هو زوج الملكة (حتب - حرس) وقد أنجب منها الملك خوفو ، وينتمى بالنسب للملك زوسر . وقد بنى لنفسه هرمين : الأول فى منطقة دهشور جنوب سقارة . والثانى فى ميدوم شمال الفيوم[٤] .

وقد قام سنفرو بإرسال حملة بحرية إلى شواطئ سوريا لإحضار الأخشاب اللازمة لصناعة السفن ، وذلك لعدم توافر مثل هذا النوع فى مصر ، وعدم وجود غابات فى مصر[٥] .

وقد وضع سنفرو قواعد للحكم ، وابتدع طقوسًا خاصة به ، مثل قيام المواطنين بالركوع بين يديه ، وتقبيل التراب . كما اعتبر بمثابة قديس ، ولذلك كان قبره مُقدَّسًا

(١) نفركا : معناها الروح الجميلة .

(٢) سليم حسن : مصر القديمة . جـ١ ص ٢٨٢ .

(٣) المرجع السابق ، جـ١ ، نفس الصفحة .

(٤) سيرج سوفرون : معجم الحضارة المصرية . ص ١٩٢ .

(٥) المرجع السابق . ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

كما يُقدس أى محراب . وحتى أتباعه ، وخدمه كانوا يُدفنون بجواره على أساس أنهم سيقدمون له الخدمة بعد مماته ، كما كان يقوم بمقام الكاهن الأعظم فى كل المعابد ، وفى كل الطقوس الدينية[1] .

وقد وضع نظمًا إدارية ، حيث قام بتقسيم مصر إلى مقاطعات ، وكان عددها فى الوجه القبلى اثنتين وعشرين مقاطعة تمتد من الشلال الأول إلى مدينة منف . وعشرين مقاطعة شملها الوجه البحرى . وكان يُعيِّن على كل مقاطعة نائبًا له يُعرف باسم (الأول بعد الملك) وكانت له كل الصلاحيات فى المقاطعة التى يحكمها . ويعاونه فى ذلك مجموعة من الموظفين ، وتشمل طائفة الموظفين هذه رجال القضاء ، ورجال المالية . ويتبقى لنا أنْ نذكر أن منصب (الأول بعد الملك) كان معمولاً به فى الوجه البحرى فقط ، لأن الملك كان يقيم فى الوجه القبلى[2] .

٢ ـ الملك (خوفو) :

تولى الحكم بعد وفاة أبيه الملك سنفرو . واسمه الحقيقى هو (خنوم خوفنى) ومن أشهر أعماله بناء الهرم الأكبر[3] ، إحدى عجائب الدنيا السبع ، ومن أعماله أيضًا الكشف عن مناجم النحاس والفيروز فى شبه جزيرة سيناء . كما قام بعدة حملات ضد القبائل السامية ، والذين كانوا يُعرفون باسم (مينتو) وقد نشطت التجارة الخارجية فى عهده بين مصر والقبائل المحيطة بالصحراء كما قام بتأديب سكان النوبة ومنعهم من الإغارة على الحدود المصرية[4] .

٣ ـ الملك (ددف ـ رع) :

كانت فترة حكمه قصيرة ، لم تتجاوز الثمانى أعوام ، وقد بنى هرمًا فى منطقة (أبو رواش) . وقد دخل فى منازعات على الملك بين إخوته[5] .

---

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ١ . ص ٢٨٤ .
(٢) المرجع السابق ، جـ١ . ص ٢٨٥ .
(٣) انظر : تفصيل بناء الهرم الأكبر فى موضوع العمارة .
(٤) المرجع السابق . جـ١ . ص ٢٩٤ .
(٥) سليم حسن ، نفس المرجع ، جـ١ . ص ٢٩٥ .

٤ ـ الملك (خفرع) :

باني الهرم الأوسط في الجيزة ، وكان له من الأولاد عدد كبير بلغ ما يقرب حوالى ستة عشر ولدًا ، كما يُنسب له تمثال أبي الهول[١] .

٥ ـ الملك (منكاورع) :

تولى بعد وفاة أبيه خفرع ، ومن أهم أعماله بناء الهرم الأصغر ، وإكمال بقية مقابر أفراد أسرته ، ومقبرة والدته (خعـ - مرر - تشيني) . كما قام بإنشاء معبد الوادى ، والذى استكمله (شبسكاف)[٢] .

٦ ـ الملك (شبسكاف) :

تولى العرش بعد وفاة منكاورع ، وبنى هرمًا فى منطقة سقارة ، وقد بنى مقبرة تتكون من مصطبتين الأولى ضخمة ، والأخرى التى تعلوها على شكل تابوت . ويُعرف هذا البناء فى دهشور باسم (مصطبة فرعون) .

وقد حاول كثير من العلماء ، تفسير عدم قيام شبسكاف ببناء هرم بأنه كان قد تخلى عن عبادة الشمس ، كما أن بناء القبر على شكل تابوت يسمح للروح (كا) أن تأوى إليه[٣] .

٧ ـ الملكة (خنت كاوس) :

هى بنت الملك منكاورع . الذى لم يُعقِبْ ذكورًا . وقد قامت باعتلاء العرش ودخلت فى صراع مع المتنافسين على الحكم . وقد أطلقت على نفسها (ملك الوجهين القبلى والبحرى) . وعلى الرغم من ذلك ساد فى عهدها الاضطرابات ، والمشاحنات ، وقد أنجبت ولدًا اسمه أوسركاف ، والذى تولى الحكم بعد ذلك[٤] .

---

(١) أبو الهول : يعتقد الكثيرون أنه ينسب للملك خفرع ، ولكن العلامة سليم حسن قد نفى هذا القول : انظر سليم حسن : أبو الهول تاريخه فى ضوء الكشوف الحديثة ، ترجمة : على الدين سالم ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ١٩٩٩م . ص ٧٤ : ٨٣ .

(٢) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ١ . ص ٣١٠ .

(٣) المرجع السابق ، جـ١ . ص ٣١٣ .

(٤) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ١ . ص ٣١٩ .

الأسرة الخامسة

١ ـ الملك (أوسركاف) :

بدأ فى هذا العصر يزداد نفوذ الكهنة ، وخصوصًا كهنة الشمس (رع) . وكان هذا النفوذ يُرَى ظاهرًا فى مدينة عين شمس . وقد كان من أشهر الكهنة الذين تولوا الحكم (أوسر كاف) وهو ابن الملكة خنت كاوس ، وقد قام أوسر كاف بإنشاء العديد من المبانى الدينية ، ووهب أراضى كثيرة لمعابد (رع) . كما بنى محرابًا فى معبد (حور) بمدينة بوتو ، وخُصِّص لعبادة (حتحور) . كما بنى معبدًا للشمس فى منطقة (أبو صير) ، بالقرب من سقارة ، وواضح تمامًا أن لهذا الملك ميولاً دينية ، وضحت من اهتمامه بالمنشآت الدينية[١] .

٢ ـ الملك (سحورع) :

من أشهر أعماله إرسال الحملات إلى بلاد النوبة، كما أرسل أسطولاً لبلاد فينيقيا، كما أرسل فى آخر أيامه حملة إلى بلاد بونت[٢] ، عادت محمَّلة بحوالى ثمانين ألفًا من الروائح العطرية، وستين ألفَ مكيال ذهب، وألفين وستمائة عصى من الأبنوس ، أما عن أشهر أعماله العمرانية فبناء معبد الشمس فى منطقة (أبو صير) بالقرب من منف.

وقد دخل (سحورع) فى حروب مع الآسيويين ، وقد انتصر عليهم وإنْ كانت النقوش المحفورة لا توضح تفاصيل هذا الغزو ، وإنْ كانت توضح قيام الآسيويين بتقديم الغنائم للملك .

٣ ـ الملك (نفر ـ أوكارع) :

اشتهر هذا الملك بقيام علاقة قوية تربطه مع كبار موظفيه ، كما تميَّز بحُسْن الخلق . كما يُذكر له إلغاء السُّخرة فى أداء الأعمال العامة ، وقد كان يخصص هبات كثيرة ، ويخصّص الأوقاف على المبانى الدينية ، مثل الأوقاف التى خصَّصها لأرواح عين شمس ، وسماها (نفر – ار – كارع)[٣] .

---

(١) أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ، ص ٦٣ .

(٢) بلاد بونت : هي بلاد الصومال حاليًا .

(٣) نفر – ار – كارع : معنى الكلمة روح الشمس الجميلة .

بقية ملوك الأسرة الخامسة :

منهم الملك نوسرع . وأشهر أعماله إرسال حملة إلى شبه جزيرة سيناء . وقد بلغت مدة حكمه حوالى ثلاثين عامًا ، ثم تولى من بعده الملك (منكاوصر) . وبلغتْ مدة حكمه ثمانية أعوام ، ثم تولى الملك (زدكارع) والمعروف باسم أسيى .

وقد قام هذا الملك بإحضار أقزام من بلاد بونت ، كما أرسل حملة إلى بلاد النوبة ، ثم تولى من بعده الملك (وناس) وهو آخر ملوك الأسرة الخامسة . وقد حكم مدة ثلاثين عامًا تقريبًا . وله هرم فى منطقة سقارة ، وفى عهده تمت كتابة متون دينية ، والتى عُرفت باسم متون الأهرام ، والتى تُعتبر بمثابة مادة علمية عن ديانة قدماء المصريين .

كما كان لهذا الملك علاقات مع سوريا ، كما نظَّم الأسواق الداخلية ، وفى عهده تم صُنْع الذهب ووزنه ، واستُخدم كوسيلة للتعامل التجارى . كما استخدم فى عهده كرانيش استخدمت فى تزيين المعابد ، وكانت تُحضر من أسوان . وكانت طريقة وصولها هى جرّها على زحافات ، ثم تحملها السفن فى النيل حتى مكان التشييد .

الأسرة السادسة

مؤسس هذه الأسرة هو الملك (سحتب تاوى ثيتى) ، وتعود هذه الأسرة فى أصولها إلى منف . ومن أشهر ملوك هذه الأسرة :

١ ـ الملك (بيبى الأول) (٢٤٢٠ ـ ٢٢٨٠ ق. م) :

حكم مصر حوالى خمسين عامًا ، وقد تمكن من السيطرة على الحكم ، وقد وُجدت بعض المبانى التى قام بإنشائها فى تنيس، تل بسطة، العرابة المدفونة، ودندرة، وقفط . كما بنى هرمًا فى منطقة سقارة ، ونقشت على جدرانه متون دينية[1] . كما امتاز هذا الهرم بالتفنن فى إخفاء حجرة الدفن بعناية ، ووضْع العراقيل فى سبيل الوصول إليها .

(١) أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ، ص ٢٠٧ . وانظر جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية . ص ٨٥ .

كما كانت له أمجاد حربية ، حيث أرسل حملات تأديبية ضد البدو الآسيويين ، ولذلك جهز جيشًا مكونًا من عشرات الألوف من الجنود ، وحارب هؤلاء البدو . وقد أرسل جيشًا إلى فلسطين للقضاء على ثورة نشبت هناك ، كما كان من الأسباب أيضًا وقف الهجرة التى حاول القيام بها سكان شرق ما بين النهرين[١] .

٢ ـ الملك (**مرن رع**) :

تولى الحكم فى سِن صغيرة بعد وفاة أبيه ، وقد لُقِّبَ بلقب (محتى أم ساف) . وكانت مدة حكمه حوالى سبعة أعوام ، وقد عثر على مومياته سليمة ، وبها خصلة شعر توضح سِنّه ، وهو بداية العشرينيات ، وقد قام بإرسال حملات لبلاد النوبة ، كما قام بزيارة لحدود مصر الجنوبية[٢] .

٣ ـ الملك (**بيبى الثانى**) (**نفر أركارع**) :

تولى حكم البلاد وهو فى سِنِّ السادسة ، وقد مكث فى الحكم لمدة أربعة وستين عامًا ، وتوفى وعنده مائة عام . وقد تولى الوصاية عليه (زاو) خاله ووزيره ، والذى استطاع الحفاظ على الأمن . وقد أرسل عدة بعثات إلى البلاد الأجنبية ، مثل إرسال (حرخوف) برحلة إلى بلاد النوبة ، وواصل رحلته إلى منطقة وسط إفريقيا ، وأحضر أقزامًا من هناك ، وقد قام الأقزام بدور هام فى حياة القصر الملكى ، حيث كانوا يقومون باللعب ، وتسلية الأمراء[٣] .

وقد سمَّى بيبى الثانى نفسه بعدة ألقاب ، وهى : رئيس عبادة (نخب) ، ومدير كل القوافل، والمحترم من قبل (بيبى نخت) ، كما أطلق عليه أيضًا لقب سمر نخن .

سقوط وانهيار الدولة القديمة :

توافرت عدة عوامل أدت لانهيار الدولة القديمة ، فقد تدهورت سلطة الفراعنة وخصوصًا فى عهد بيبى الثانى ، حيث انهارت السلطة بعد وفاته ، كما كان لإغارة الأجانب البدو على حدود البلاد ، بالإضافة لقيام الحرب الأهلية بين السكان دور فى هذا الانهيار.

---

(١) كان سبب هذه الحملات هو محاولة القبائل البدوية للتسلل إلى مصر .

(٢) لقب هذا الملك بلقب (محتى إم ساف) ومعناه (الإله محتى حاميه) .

(٣) سليم حسن : نفس المرجع ، جـ ١ . ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

كما كان لحكام الأقاليم دور كبير فى انهيار الدولة القديمة ، حيث استقل كل حاكم بإقليمه على اعتبار أنه مملكة خاصة له ، وقد نتج عن ذلك اضطراب الأمن ، واختلال القيم الخلقية والدينية . كما كان من نتائج هذا الإهمال قيام الشعب بثورة ضد الحكومة .

٣ ـ العصر المتوسط الأول

يعتبر هذا العصر من أظلم العصور الفرعونية ، وقد امتد من الأسرة السابعة حتى الأسرة الحادية عشر ، وقد اختُلف فى مدة هذا العصر فقيل إنه امتد نحو ٣٤٤ سنة ، بينما رأْى آخر يقول : إنه امتد حوالى ٣١٥ سنة .

واشتهر أيضًا بأن الفراعين الذين تولوا الحكم لم يشيدوا أية مبَانٍ عظيمة كأسلافهم فى طول البلاد وعرضها ، أما أحوال البلاد فقد تدهورت ، وسادت الفوضى فى أنحائها .

الأسرة الثامنة القفطية[1] (**٢٢٨٠ ـ ٢٢٤٠ ق. م**) :

اختُلف أيضًا فى عهد الملوك الذين حكموا هذه الدولة ، ففى قائمة العرابة المدفونة بلغ عددهم سبعة عشر ملكًا ، وفى قائمة تورين ذكر عددهم بحوالى ثمانية فراعنة فقط ، أما المؤرخ مانيتون فقد ذكر عددهم بحوالى ثمانية عشر ملكًا . وقد سُمِّى هؤلاء الملوك بأسماء الفراعنة السابقين ، فوجدنا من أسمائهم (نفر كارع) واسم (ددف رع) . واسم (نفر إر كارع) .

وقد كان من أسباب ضعف الأسرة الثامنة تولية وزراء أقوياء سيطروا على الحكم ، ومن أشهر الوزراء ذوى النفوذ فى القصر الوزير (شماه) الذى كان مديرًا على الوجه القبلى .

وقد تعرضتْ مصر فى أثناء حكم هذه الأسرة لغزو من الجنوب قادم من النوبة ، بينما تعرَّضتْ الدلتا شمالاً لغزو من الآسيويين ، وتعرض وسط البلاد لغزو من الليبيين . وبذلك فقدت مصر معظم أراضيها فى عهد هذه الأسرة ، ومن الغريب اختلاط هؤلاء الحكام بدماء الشعب الغازية مثل النوبيين والليبيين .

---

(١) القفطية ، نسبة إلى مدينة قفط .

الأسرتان التاسعة والعاشرة :

اتخذت هاتان الأسرتان مدينة إهناسيا ، والتى تقع فى محافظة بنى سويف مقرًّا لهم ، ولذلك يُعرف عصرهم باسم العصر الإهناسى ، وكان السبب فى اختيار إهناسيا أنها كانت عاصمة للوجه القبلى مثل توحيد الأرضين ، كما كانت تعتبر مركزًا مقدسًا فى البلاد .

١ـ (خيتى الأول) :

وقد تعاقب على حكم البلاد عدة فراعين مثَّلوا أسرتين كما أسلفنا ، وبلغ عددهم حوالى تسعة عشر ملكًا ، وبلغ إجمالى مدة حكمهم ٤٠٩ سنة ، وأول فرعون حكم فى الأسرة التاسعة هو (خيتى الأول) . وكان حكمه سيئًا ألحق الضرر بكثير من المصريين ، وقد لقى حتفه بعد أن افترسه تمساح ، وقد بلغت مدة حكمه حوالى سبعة أعوام (٣٦٦٣ ق. م) . وقد اشتهر بلقب (مرى إيب رع)[١] .

٢ـ خيتى الثانى :

زاد فى عهد هذا الملك نفوذ أمراء أسيوط ، وعلى الرغم من ذلك ساد البلاد فى عهده نوعٌ من الأمن والهدوء، وكان بالنسبة للعصر المتوسط الأول بمثابة أمر غريب، وقد تولى بعده الملك (خيتى الثالث) والذى قام خلاف بينه وبين أحد الأسر الكبيرة نزاع أدى إلى انهيار حكم أسرته سريعًا . وقد نتج عن هذا الصراع ظهور (أنتف العظيم) الذى اتخذ لقبًا فرعونيًا وهو (حور) وسمى نفسه (حور واح عنخ انتفا) وقد سيَّر حملة نيلية ضد فرعون إهناسيا ، ولكن مُنِى بهزيمة بحرية ، وتعتبر هذه أول معركة بحرية فى التاريخ[٢] .

وقد كرر أنتف محاولاته للسيطرة على إهناس واستولى على العرابة وطينة ، ثم وقَّع صلحًا مع خيتى الثالث واشترط عليه ألا يدمر الأماكن المقدسة .

(١) سليم حسن : نفس المرجع ، جـ ١ . ص ٤١٥ .
(٢) سليم حسن : نفس المرجع ، جـ ١ . ص ٤١٦ ، ٤١٧ .

وبهذا العرض يتضح لنا مدى الانهيار الذى عانته مصر فى العصر المتوسط الأول من فوضى ، ويمكن إجمال مظاهرها فى ازدياد نفوذ حكام الأقاليم ، وعدم اهتمام الحكام بتنفيذ العدالة بين رعاياهم ، واعتمادهم على المجاملات فى تولية المناصب ، بالإضافة لازدياد نفوذ الوزراء ، وظلَّتْ البلاد على هذا المنوال حتى بدأ عصر الدولة الوسطى .

٤ ـ الدولة الوسطى
(٢١٣٠ ـ ١٦٠٠ ق. م)

أُطلِق هذا المصطلح على الأسرة الحادية عشر، إلى الأسرة الرابعة عشر ، وقد تميز عصر هذه الدولة بالرخاء الاقتصادى ، حيث قام فراعنتها بتنظيم الإدارة ، وأعادوا هيبة الحكومة والتى كانت تدهورت فى العصر المتوسط الأول ، كما قامت بتحصين الحدود الجنوبية لمصر .

وفى عهد هذه الدولة زادت مساحة الرقعة الزراعية ، ولعل من أبرز أعمالهم إنشاء سد اللاهون لتنظيم الاستفادة من فيضان النيل ، ومن أشهر ملوك هذه الدولة:

١ ـ منتوحتب الأول :

تولى الحكم بعد الملك أنتف ، والذى حكم مدينة طيبة . وقد بلغت مدة حكم منتوحتب حوالى خمسين عامًا ، ومن أشهر أعماله إنهاء سلطة أهناسيا ، وأعاد وحدة المملكة تحت سيطرته ، واتخذ من مدينة طيبة عاصمة له[1] .

وقد أحبَّ المصريون منتوحتب الأول ، وظلوا يقيمون الشعائر الدينية بعد وفاته حوالى ألف عام ، ومن أشهر أعماله العمرانية إنشاء معبد جنائزى وقبر بالدير البحرى[2] .

وقد خلف منتوحتب فى الحكم منتوحتب الثانى ، ومنتوحتب الثالث ، وفى عهدهما سادتْ الفوضى مرة ثانية ، حتى أعادت الأسرة الثانية عشر الأمن والأمان إلى ربوع البلاد ، ومن أشهر ملوك الأسرة الثانية عشر :

---

(١) جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية . ص ٣٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

١ ـ أمنمحات الأول (١٩٩١ ـ ١٩٦٢ ق. م) :

يعتبر مؤسس الأسرة الثانية عشر ، وكان يعمل وزيرًا لمنتوحتب فى عهد الأسرة الحادية عشر ، ومن أشهر أعماله نَقْل العاصمة من مدينة طيبة إلى مدينة اللشت[1] فى الفيوم . وقضى معظم سنوات حكمه فى إعادة تنظيم المملكة ، وإقرار سلطان التاج ، كما قام بطرد البدو (البدو الرحل) والذين استغلوا فترة الاضطرابات الداخلية فى مصر ، وأقاموا على حوافّ الدلتا .

٢ ـ سنوسرت الأول (١٩٧١ ـ ١٩٢٨ ق. م) :

ابن أمنمحات الأول ، وقد اشترك فى الحكم أثناء حكم والده لمدة عشر سنوات، وبعد وفاة والده أثناء الحرب ، عاد بسرعة وأنقذ البلاد من شفا حرب أهلية ، ووصلت انتصاراته إلى وراء الشلال الثانى ، كما أقام حصنًا بعد الشلال الثالث[2] .

٣ ـ أمنمحات الثانى (١٩٢٩ ـ ١٨٩٥ ق. م) :

تولى الحكم بعد وفاة أبيه ، وتميَّز عصره بكثير من الغموض ، ولكن فى عهده زادت علاقات مصر الاقتصادية مع سوريا .

٤ ـ سنوسرت الثالث (١٨٧٨ ـ ١٨٤٣ ق. م) :

قضى على سلطة النبلاء ، وغزا بلاد النوبة ، وضمها إلى مصر ، وبلغت حدود الدولة فى عهده إلى منطقة سمنة جنوب الشلال الثانى . وأقام سلسلة من الحصون من سمنة إلى الفنتين[3] ، وفى عهده أيضًا قاد حملة حربية واستولى على سيخم فى جبل إفرايم . وكان من نتائج هذه الحملة ازدياد نفوذ مصر على فلسطين وسوريا . ومن أشهر أعماله حفر قناة سنوسرت الثالث ، والمعروفة باسم (سيزوستريس)[4] .

---

(١) اللشت : كانت تسمَّى آتت تاوى ، ومعناها القابضة على الأرض .

(٢) جورج بوزنر : مرجع سبق ذكره ، ص ١٩٣ .

(٣) ألفنتين : تُعرف الآن باسم جزيرة فيلة .

(٤) قناة سيزوستريس : تُعرف تاريخيًا باسم قناة سنوسرت الثالث ، وكانت تخرج من أحد فروع النيل عند الدلتا ، وقد حفرت هذه القناة لربط مصر بأفريقيا ، وخصوصًا بلاد بونت . وقد غمرتها الرمال ، ثم أعيد حفرها ، مرة فى العصر اليونانى والرومانى ، ومرة فى عهد الفتح الإسلامى ، وعرفت باسم خليج أمير المؤمنين .

٥ ـ أمنمحات الثالث (١٨٤٢ ـ ١٧٩٧ ق. م) :

تولى الحكم بعد سنوسرت الثالث . وكرس نفسه للأعمال الحربية ، من أشهر أعماله قصر اللالرنت فى الفيوم ، والتى اهتم بها ، وبنى فيها هرمًا ، ومعبدًا جنائزيًا . وفى عهده ازدهرت البلاد ازدهارًا كبيرًا .

٦ ـ أمنمحات الرابع (١٧٩٨ ـ ١٧٩٠ ق. م) :

آخر ملوك الأسرة الثانية عشر ، فى عهده بدأ أفول حكم الدولة الوسطى القوى، وانتهى عصرها الزاهر ، وقد تولى من بعده ملوك ضعفاء حاولوا استرجاع هيبتهم ولكنهم فشلوا ، حتى وإنْ سَمّوا أنفسهم بلقب أمنمحات .

٥ ـ العصر المتوسط الثانى

تميز هذا العصر بأنه عصر الاحتلال الأجنبى ، حيث سقطت البلاد تحت حكم الهكسوس ، والذى استمر فترة طويلة امتدت قرنين من الزمان وأسسوا أسرتين حاكمتين ، وهما الأسرة الخامسة عشر ، والسادسة عشر .

والهكسوس قبائل رعوية ، وبدأ غزوهم لمصر عن طريق التسلل إلى الدلتا . وقد توافرتْ عوامل ساعدت هؤلاء الرعاة على بسط سيطرتهم على مصر منها : استغلال حالة الفوضى فى أواخر عصر الدولة الوسطى ، وأيضًا ارتفاع معدلات الهجرة من منطقة غرب آسيا ، بالإضافة لاستخدامهم سلاح العجلات الحربية ، والتى لم تكن معروفة فى مصر آنذاك .

وقد بسط هؤلاء الهكسوس سيطرتهم على منطقة شرق الدلتا ، واتخذوا عاصمة جديدة لهم ، وهى مدينة (أواريس)[1] ثم بسطوا نفوذهم على كل مناطق الدلتا ، كما دخلوا فى مهادنة مع مصر السفلى والوسطى، وبقيت مصر العليا فى علاقة عدائية لهم.

وقد احتقر المصريون الهكسوس ، وهم محقون فى ذلك ، حيث كان هؤلاء الهكسوس مجموعة متدنية حضاريًا ، قدموا من مناطق فقيرة ، وكانت مظاهر العداء

(١) أواريس : تُسمَّى الآن قرية فنتير بمركز فاقوس ، محافظة الشرقية .

بين المصريين والهكسوس عديدة ، منها إطلاق ألفاظ التحقير عليهم مثل ملوك الرعاة ، والرعاة[1]. وهذا أمر طبيعى وردّ فعل مشروع من المصريين ضد هؤلاء البدو الأجلاف ، كما كان من مظاهر العداء أيضًا قيام هؤلاء البدو الهكسوس بحرق المدن المصرية ، وهدم المعابد . ووصل بهم الغرور والصلف أنهم ادعوا بأن أفراس النهر فى الجنوب يزعج صوتها الملك ، وهى حجة واهية قدموها لمحاربة أحمس ، الذى لقَّنهم درسًا لم ينسوه .

وقد قاوم أمراء طيبة هؤلاء الهكسوس ؛ وقاد حركة المقاومة الأمير (سقنن – رع) وبعد وفاته قاد أخوه الأمير (كامس) الحرب ضد الهكسوس ، وقد انتهى أمر الهكسوس بعد أن قام أحمس بمطاردتهم إلى فلسطين ، وأبادهم ، وقطع أصولهم هناك فى فلسطين ، وبذلك تخلصت البلاد من عبثهم وشرورهم .

٦ ـ الدولة الحديثة

تميز عصر الدولة الحديثة بتكوين امبراطورية مصرية امتدتْ من بلاد الشام حتى بلاد النوبة ، كما تم تأسيس جيش قوى لحماية هذه الامبراطورية المترامية الأطراف ، وتُعرف أيضًا الدولة الحديثة باسم الامبراطورية الطيبية الثانية . وعُرفت أيضًا بتولِّى حكام أقوياء الحكم[2] . وقد تأسست هذه الدولة على يد أحمس الذى يعتبر مؤسس الأسرة الثامنة عشر . ومن أشهر ملوكها :

١ ـ أمنحوتب الأول (١٥٥٧ ـ ١٥٣٠ ق. م) :

ابن الملك أحمس ، وأبو الملك تحتمس . كان المصريون يؤلهونه على اعتبار أنه ملك الجبانة الطيبية . ووالدته هى نفرتارى[3] .

---

(١) جورج بوزنر ، معجم الحضارة المصرية . ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

(٢) هـ . ج ويلز : موجز تاريخ العالم ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠١م . ص ٨١ .

(٣) جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية . ص ٥٦ .

٢ ـ تحوتمس الأول (١٥٣٠ ـ ١٥٢٠ ق. م) :

ابن أمنحوتب الأول ، ويعتبر من القواد العسكريين المشهورين ، وبلغت حملاته العسكرية الناجحة إلى جنوب الشلال الرابع وإلى نهر الفرات في العراق ، ويُعتبر أول مَنْ بنى مقبرة فى وادى الملوك فى الأقصر[١] .

٣ ـ تحوتمس الثانى (١٥٢٠ ـ ١٥٠٤ ق. م) :

حكم فى الفترة من ١٥٢٠ - ١٥٠٤ ق. م . وقد تزوَّج الملكة حتشبسوت ، وقد أنجب ولدين ، هما تحوتمس الثالث ، وأمنحوتب الثانى ، وفى عهده شاركته زوجته حتشبسوت الحكم ، وأنشأت معبد الدير البحرى ، ومسلات فى الكرنك ، وأرسلت رحلة لبلاد بونت[٢] .

٤ ـ تحوتمس الثالث (١٥٠٤ ـ ١٤٥٠ ق. م) :

كان من أشهر الحكام الفاتحين فى مصر ، قاد معركة مجدو المشهورة ضد الأمراء السوريين ، كما استطاع القضاء على ثورات الفلسطينيين والسوريين وأوقف زحف العراقيين ، كما رسَّخ الحكم المصرى ما بين الشلال الأول والرابع للنيل ، وقد سُجلت أعماله على معبد الكرنك ، وله مقبرة فى وادى الملوك[٣] .

٥ ـ أمنحوتب الثانى (١٤٥٠ ـ ١٤٢٥ ق. م) :

ابن تحوتمس الثالث . ووالد تحوتمس الرابع ، كان قائدًا محاربًا ، قضى على حركات التحرر التى واجهته ، وكان يستخدم الشدة مع أعدائه . ولعل أكبر جرائمه التى ارتكبها هى قتل الأمراء السوريين السبعة ، والتمثيل بجثثهم بمدينة طيبة[٤] .

٦ ـ تحوتمس الرابع (١٤٢٥ ـ ١٤٠٨ ق. م) :

تولى الحكم ، وحافظ على أملاك الدولة التى أسستها أسرته . وتُروى عنه قصة أنه رأى حلمًا عندما كان يستريح بجوار أبى الهول ، فطلب منه أبو الهول أن يزيل عنه

---

(١) جورج بوزنر : المرجع السابق . ص ٩٦ .

(٢) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(٣) جورج بوزنر : المرجع نفسه . ص ٩٦ .

(٤) جورج بوزنر : نفس المرجع ، ص ٩٧ .

الرمال إذا تمكن من الوصول للعرش ، فلما تبوأ تحوتمس الرابع عرش مصر ، أمر برفع الرمال التى كانت تغطى أبا الهول[1] .

٧ ـ أمنحوتب الثالث (١٤٠٨ ـ ١٣٧٢ ق. م) :

له العديد من الإنجازات المعمارية ، ومن أشهرها القصر الملكى ، والمعبد الجنائزى فى كوم الحيطان ، والذى لم يتبق منه إلا تمثالا أجا ممنون ، وله أيضًا تماثيل فى معبد الكرنك ، فقد أمر بإنشاء وحفر بركة مياه خاصة بزوجته ، وقد اتبع سياسة تقوم على عدم الحروب ، مما أعطى فرصة للأمراء الآسيويين للقيام بنكث عهودهم وولائهم لمصر[2] .

٨ ـ أمنحوتب الرابع (إخناتون) (١٣٧٢ ـ ١٣٥٤ ق. م) :

سمى نفسه إخناتون ، ومعناه المخلص لآتون ، بدأت فى عصره ثورة دينية عندما أعلن التوحيد وحارب كهنة آمون ، ومن أجل الدفاع عن عقيدته الجديدة غيَّر اسمه لإخناتون بدلاً من اسمه أمنحوتب والذى يعنى آمون راضى ، واتخذ لنفسه عاصمة جديدة هى مدينة تل العمارنة[3] .

وقد كان من نتائج الثورة الدينية التى قام بها أن هُدمت معظم معابد الديانة المصرية السابقة ، وصممت معابد جديدة عبارة عن أفنية واسعة مكشوفة يغمرها ضوء الشمس ، وله مجموعة صلوات وأدعية خاصة به ، وقد تزوج إخناتون من نفرتيتى[4] .

وقد كانت ثورته الدينية سببًا فى بُعْده عن السياسة ، حيث انشغل بنشر ديانته الجديدة مما مكَّن البدو الآسيويين من اجتياح البلاد ، وقد انتهت دعوته بسبب تزعُّم الكهنة الثورة ضده[5] .

---

(١) جورج بوزنر : مرجع سبق ذكره ، ص ٩٧.

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٣) عن الثورة الدينية لإخناتون راجع أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ، ص ١٣٠ : ١٤٩ .

(٤) المرجع السابق نفس الصفحات .

(٥) جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية القديمة ص ١٩ .

٩ ـ توت عنخ آمون (١٣٥٤ ـ ١٣٤٥ ق. م) :

تولَّى الحكم بعد وفاة إخناتون ، وقد كان زوجًا لإحدى بنات إخناتون ، فلما توفى إخناتون ورث هو الحكم ومازال شابًا ، ويعتبر توت عنخ آمون ومعنى اسمه الصورة الحية لآمون ، وقد غيَّر اسمه إرضاءً للكهنة آخر ملوك الأسرة الثامنة عشر .

وسبب شهرة توت عنخ آمون هى اكتشاف مقبرته كاملة فى عام ١٩٢٢ م[1] وتحتوى على تماثيله وقناعه الذهبى ، وكانت المقبرة سليمة لم تُمس على غير عادة معظم المقابر الملكية المصرية ، والتى كانت تتعرض للنهب المنظم .

الأسرة التاسعة عشر :

تُعرف هذه الأسرة ، باسم أسرة الرعامسة ، وامتد عصرها حتى منتصف عصر الدولة الحديثة ، وأول ملك حكم فى هذه الأسرة هو الملك :

١ ـ رمسيس الأول (١٣١٤ ـ ١٣١٢ ق. م) :

وقد استطاع محو كل آثار ثورة إخناتون الدينية ، وقد تولى الحكم وهو كبير فى السن .

٢ ـ سيتى الأول (١٣١٢ ـ ١٣٠٠ ق. م) :

ثانى ملك تولى بعد والده رمسيس الأول ، ووالد رمسيس الثانى ، استطاع توطيد سلطة مصر فى فلسطين ، وقاوم الحيثيين ، وعقد معهم معاهدة ، وقد قام بإنشاء معبد القرنة الجنائزى بطيبة .. كما بنى بهو الأعمدة المسقوف فى معبد الكرنك، وقد تم تزيين هذا البهو بمناظر طقسية ، وصور توضح انتصارات هذا الملك على البدو ، والليبيين ، والأموريين فى قادش .

٣ ـ رمسيس الثانى (١٣٠١ ـ ١٢٣٥ ق. م) :

استمر فى الحكم لمدة سبعة وستين عامًا ، وبلغ عدد زوجاته حوالى خمس أو ست زوجات ، وبلغ عدد أولاده حوالى مائة .

---

(١) اكتشفت المقبرة على يد عالم الآثار الأمريكى هوارد كارتر ، بتمويل من لورد كارتفون .

اهتم كثيرًا بالعمران ، حتى يُذكر أنه قد أضنى وأتعب المهندسين من كثرة قيامه بالإنشاءات ، وتشمل آثاره جميع أنحاء مصر ، ومن أشهر مبانيه معبد الرامسيوم ، ومجموعة معابد منحوتة فى الصخر بالنوبة ، كما أنشأ معابد بأبيدوس ، والكرنك[١] .

وبجانب أعماله العمرانية قام بحملات عسكرية ناجحة مثل قيامه بمحاربة الحيثيين فى معركة قادش ، وانتصر عليهم ، ووقَّع معهم معاهدة سلام ، ولكن فى أواخر عهده بدأ الليبيون يقومون بالإغارة على مدينة منف[٢] .

أما عن قصة بنى إسرائيل مع رمسيس ، فقد بدأ قدومهم إلى مصر فى عهد الهكسوس ، واستوطنوا حدود الدلتا الشرقية ، وقد وصل بعض اليهود لمناصب كبيرة مثل (بن عازن) حامل كأس مرنبتاح . وقد عاش موسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) فى قصر فرعون وهو رمسيس الثانى وتلقى تربية مصرية[٣] .

وقد بدأ اضطهاد بنى إسرائيل كإجراء من الإجراءات التى اتخذها رمسيس الثانى لتأديب قبائل (الشاسو) ، وهم البدو الذين كانوا يعيشون فى المنطقة التى تمتد من صحراء النقب حتى حدود الدلتا الشرقية ، وزاد هذا الاضطهاد أكثر فى عهد مرنبتاح ، والذى تم فى عهده خروج اليهود من مصر[٤] .

أما عن قصة موسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) ، فقد وُلِد فى محافظة الشرقية ، فى الوقت الذى اشتد فيه الاضطهاد ضد اليهود ، وكان رمسيس قد أمر بقتل كل طفل يُولد من بنى إسرائيل. فخافت أم موسى عليه من القتل وألقته فى اليم، وهو الآن يسمى ترعة السماعنة ، أو بحر موسى ، أو بحر البقر . وعندما تم التقاطه من اليم أطلق عليه لقب (مو - سس) ومعناه ابن المياه[٥] .

---

(١) أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة . ص ١٥٥ . وانظر جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية القديمة . ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢) جورج بوزنر : المرجع السابق ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٣) حسن الرزاز : طرق مصر المقدسة ، مكتبة الأسرة القاهرة ١٩٩٧م ، ص ١٩ .

(٤) حسن الرزاز : المرجع السابق ، ص ١٩ ، ٢٠ .

(٥) حسن الرزاز : مرجع سبق ذكره . ص ١٦ .

وقصة خروج اليهود من مصر[1] تبدأ عندما قام موسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) فى تجهيز بنى إسرائيل للخروج سرًا من مصر ، وكان الاتفاق على أن يتم الخروج فى مجموعات صغيرة ، حتى لا ينكشف أمرها ، وأن تكون التحركات فى الظلام ليلاً .

وبعد تكامل عدد اليهود سمع فرعون بقصة هروبهم ، واشتكى المصريون أن اليهود خرجوا بحُليهم ، فأدركهم فرعون ، فخاف اليهود . وناجى موسى(عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) ربه أنْ ينجيه . فأمره الله سبحانه وتعالى أن يضرب البحر بعصاه فانشق البحر وكوّن طريقًا عبره بنو إسرائيل ، وعندما حاول فرعون السير وراءه ، انطبقت عليه المياه وغرق ، ثم لفظ البحر جثته[2] .

يتبقى لنا أن نذكر فى إطار الحديث عن قصة اليهود فى مصر . أن نتحدث عن قضية حاول اليهود إثارتها ، وهى ادعاؤهم أنهم ساهموا فى بناء الأهرام . وهذه الرواية الكاذبة لا توجد حقائق تاريخية تؤيدها ، فمن المعلوم أن الأهرامات بُنيت فى عهد الدولة القديمة .

واليهود ظهروا منذ بداية الدولة الوسطى كجماعات صغيرة ، ولم يكُنْ لهم وجود بارز إلا فى عهد الدولة الحديثة ، فكيف يدَّعون برواياتهم الساذجة أنهم شاركوا فى عمل يسبق وجودهم بآلاف السنين .

والحقيقة الثانية التى يجب ألاَّ تغفل عن أذهان القراء ، هو أن بنى إسرائيل الذين عاشوا فى مصر ، وظهر فيهم النبى موسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) غير اليهود الذين يعيشون فى فلسطين الآن ، فيهود التوراة قد انقرض معظمهم ، أما اليهود الحاليون فهم يهود أتوا من روسيا وأوربا ، وليست لهم علاقة بيهود التوراة .

(١) بدأ الخروج من مصر من بلدة قنطير ، شمال مدينة فاقوس ، وقد استغرقت الرحلة حوالى عشرين كيلو مترًا . وكان خط سير الرحلة إلى الصالحية ، ثم بحيرة المنزلة ، ثم تل ضبعة وتقع شرق القنطرة شرق . انظر حسن الرزاز : مرجع سبق ذكره . ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٣ .

٤ ـ **رمسيس الثالث** (١١٩٨ ـ ١١٦٦ ق. م) :

حاول هذا الملك تقليد رمسيس الثانى فى اهتمامه بالعمران، والحروب الخارجية، فقد قام بإنشاء معبد هابو ، كما قام بتوجيه حملات استطاعت صَدَّ غزوات الليبيين ، كما قاد أول معركة بحرية فى التاريخ ضد شعوب البحر المتوسط ، والذين قدموا من جزر إيجة ، وقد استطاع الانتصار عليهم[١] .

أما بقية أفراد أسرة الرعامسة ، وهم من رمسيس الرابع إلى رمسيس الحادى عشر . فكان حكمهم خاملاً ، وقد امتدت فترة حكمهم من (١١٦٦ - ١٠٨٥ ق. م). وقد شهدت هذه الفترة انحلالاً انتشر بفساد إدارى ، وصراعات داخلية ، وسيادة حربية على ممتلكات آمون . كما تم نهب مقابر طيبة، بل وصل الأمر لتشويه الموميات، كما ارتفعت الأسعار فى هذه الفترة ، وصعبت وسائل المعيشة[٢] .

بعد انتهاء عصر الرعامسة ، دخلت البلاد فى عصر الفوضى والظلام ، والذى يُعرف باسم عصور الانهيار ، وقد تولى الحكم ملوك كهنة مثل حريحور الذى ارتقى العرش عام (١١٠٠ ق. م) وقد حكم البلاد على اعتبار أنه ممثل لآمون . وقد قام بهدم كثير من المعابد وأخذ أحجارها لبناء معابد جديدة ، ومن أشهر المعابد التى حطمها معبد كوم الحيتان الكبير والذى أنشأه أمنحوتب الثالث[٣] .

وقد تولى الحكم بعد ذلك فى مصر أسرة ليبية عُرفت باسم شاشانق ، وبدأت هذه الأسرة حكمها بشاشانق الأول (٩٥٠ - ٩٢٩ ق. م) . وقد دخل مدينة أورشليم ، وخربها ، ومن أشهر أعماله العمرانية إنشاء ممر من الحجر الرملى أمام معبد الكرنك ، كما أعاد تنظيم البلاد على أسس إدارية سليمة[٤] .

---

(١) جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية . ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٧٥ .

(٣) أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ، ص ٣٥١ .

(٤) أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ٣٥١. وانظر جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية . ص١٩٧ .

وتولَّى بعده مجموعة من الأفراد ، لم تذكر المراجع التاريخية عنهم شيئًا إلا شاشانق الأخير ، والذى وُجدت مقبرته سليمة فى تانيس ، وقد تميز عصر هؤلاء بجرِّ البلاد إلى الفوضى .

٧ ـ عصر النهضة

هو العصر الذى بدأ بعد عصر الرعامسة ، وقد شهدت فيه البلاد انتعاشًا سياسيًا ، ومن أشهر ملوك هذا العصر :

١ ـ بسماتيك الأول (٦٦٤ ـ ٦١٠ ق. م) :

فى بداية عهده قضى على تمرد حكام الأقاليم فى الدلتا ، وطارد الأشوريين ، والأثيوبيين من مصر العليا ، كما قام بتجنيد الجنود المرتزقة من الإغريق فى الجيش المصرى[١] .

٢ ـ نخاو الثانى (٦١٠ ـ ٥٩٥ ق. م) :

تولى الحكم وبدأ أعماله بمحاربة يوشيا ملك يهوذا وقتله ، وعين نخاو ملكًا على فلسطين بمعرفته ، واستمر نخاو يسيطر على فلسطين وسوريا لمدة أربع سنوات ، وفى نهايتها أباد بختنصر جيش نخاو فى قرقميش عام ٦٠٥ ق. م[٢] .

وقد اهتم نخاو بالنشاط التجارى والبحرى وحفر قناة بحرية ، وأسس أسطولاً من سفن ذات ثلاثة صفوف من المجاديف ، كما كلف الرحالة الفينيقيين بالدوران حول إفريقيا وكشف طريق رأس الرجاء الصالح ، وقد استمرت الرحلة حوالى ثلاث سنوات[٣] .

٣ ـ بسماتيك الثانى (٥٩٥ ـ ٥٨٩ ق. م) :

استهل بداية حكمه بإرسال حملة إلى بلاد إثيوبيا ، واستطاع الانتصار على الأحباش ، وقد وصل إلى قلب إثيوبيا ، وقد سجلت هذه الحملة على جدران معبد أبى سنبل ببلاد النوبة .

(١) عرف الإغريق طريقهم لمصر منذ القدم ، وكانت لهم مستعمرات إغريقية .

(٢) جورج بوزنر : مرجع سبق ذكره . ص ٣٤٠ . وانظر إلى ويلز : موجز تاريخ العالم . ص ٩٢ .

(٣) استطاع الفينيقيون الدوران حول إفريقيا ، فخرجوا عبر ساحل المحيط الأطلنطى ، وعبروا رأس الرجاء الصالح ، ثم شرق أفريقيا حتى البحر الأحمر ، وكانوا يزرعون القمح فى كل مكان يستقرون فيه .

٤ ـ أحمس الثانى (٥٧٠ ـ ٥٢٦ ق. م) :

وصل للحكم عن طريق ثورة قامت بها مجموعة ليبية ضد حكم أيريس وجنوده المرتزقة من اليونان ، ولكن بعد وصول أحمس الثانى للحكم مال إلى الإغريق ، كما اشتهر بدهائه السياسى عندما زوَّج ابنة إيريس لملك الفُرس .

٥ ـ بسماتيك الثالث :

تولى الحكم فترة قصيرة لم تتجاوز الستة أشهر ، وفى عهده تعرضت البلاد لغزو فارسى بقيادة قمبيز ، والذى قتل بسماتيك الثالث فى عام ٥٢٥ ق. م ، وسقطتْ مصر تحت يد الاحتلال الفارسى .

٨ ـ العصر الفارسى

بدأ هذا العصر عندما استطاع قمبيز الانتصار على جيش بسماتيك الثالث فى عام (٥٢٥ ق. م) ، وقد بدأ قمبيز يعمل على إثارة الشعب المصرى ضده بإجراءاته التى اتخذها مثل تحقيره لمعبودات قدماء المصريين .

وعلى الرغم من تغيير سياسته تجاه الديانة المصرية القديمة عن طريق تقريبه لرجال الدين المصريين أو هدم بيوت الأجانب الذين سكنوا فى حرم معبد سايس ، إلا أن ذلك لم يشفع له فى كراهية المصريين له[١] .

داريوس :

حاول إصلاح ما أتلفه قمبيز فى العلاقة بين المصريين والفرس ، ومن مظاهر هذا الإصلاح اهتمامه بإصلاح مدرسة الكهنة ، وتزويدها بالكتب والأدوات اللازمة للتعليم ، كما بنى معبد آمون فى واحة سيوة[٢] .

وعلى الرغم من محاولات الفرس التقرب إلى المصريين . لم تنجح هذه المحاولات فى صنع ثورات المصريين ضد الفرس بصفتهم حكامًا أجانب حتى نجحت الثورات فى التخلص من الحكم الفارسى ، بمساعدة الإسكندر المقدونى .

(١) ج . ويلز : موجز تاريخ العالم . ص ٩٤ : ٩٦ . وانظر أدولف إرمان : مرجع سبق ذكره . ص ٣٦٩.

(٢) أدولف إرمان : المرجع السابق . ص ٣٧٠ .

٩ ـ العصر اليونانى والبطلمى

بدأ هذا العصر عندما تمكَّن الإسكندر المقدونى، من فتح مصر فى عام٣٣٢ق.م، وكان السبب الداعى لهذا الغزو ، هو محاربة الفرس الذين كانوا يحتلون مصر .

وقد عرف المصريون الإغريق منذ فترة كبيرة ، حيث كان يعمل هؤلاء الإغريق كجنود مرتزقة فى الجيش المصرى ، كما عمل هؤلاء أيضًا بأعمال التجارة والسمسرة التى اشتهروا بها ، كما سمح لهم بتأسيس مدينة خاصة بهم ، وهى مدينة تقراطيس[١] .

ولم يحسن هؤلاء الإغريق معاملة الشعب المصرى ، الذى رحب بهم وأعطاهم حرية العمل والحركة فى مصر ، بل سخر هؤلاء من عقائد قدماء المصريين، ومن مظاهر هذه السخرية إطلاقهم لفظ الخبز على أهرامات الجيزة (Pyramids) ، كما سخروا من مقابر وادى الملوك ، وهكذا لم يختلفوا كثيرًا عن الفرس فى تحقيرهم لعقيدة قدماء المصريين[٢] .

وبعد دخول الإسكندر مصر حاول كمظهر سياسى التقرب إلى المصريين باحترام العقيدة فزار معبد آمون فى الواحات ، وقدَّم القرابين وأسماه الكهنة (ابن آمون) . وبدأ الإغريق فى عهده السيطرة على مقاليد الأمور فى مصر ، وحاولوا طبع البلاد بالطابع الإغريقى ، ولكن المصريين حافظوا على قوميتهم ، وعقيدتهم ضد محاولات الإغريق للتخلص من القومية المصرية .

فقد قام الإسكندر المقدونى بإنشاء مدينة ، تكون عاصمة لمصر فأنشأ مدينة الإسكندرية ، وحدد أهدافه من المدينة الجديدة بأن تكون بديلاً عن موانئ سوريا . وبسبب قُرْبها من بلاد اليونان بالإضافة لجعلها مركزًا لنشر الحضارة الهيللنستية[٣] .

ولذلك اختار بقعة جيرية تسمى راقودة ، وأوصلها بجزيرة فاروس ، عن طريق جسر بحرى ، وأمر المهندسين بتخطيطها طبقًا لتخطيط المدن الإغريقية ، وقد ازدهرت هذه المدينة فى العصر البطلمى ، وأصبحت عاصمة لمصر[٤] .

---

(١) أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ص ٣٧٩ .

(٢) المرجع السابق . ص ٣٩٩ ، ٤٠١ .

(٣) الحضارة الهيللنستية : هى مزج الحضارة اليونانية بحضارات الشرق .

(٤) هـ . ج . ويلز : موجز تاريخ العالم . ص ١٢٢ .

وبعد إرساء دعائم حكمه فى مصر ، وسيطرته على مصر حتى الشلال الأول وبعد تتويجه ملكًا رسميًا على مصر فى معبد بتاح بمدينة منف ، واصل الإسكندر فتوحاته فى المشرق . وفى العراق مات محمومًا نتيجة لدغه ببعوضة الملاريا . وقسمت امبراطوريته بين قواده الأثيرين ، فكانت مصر من نصيب بطليموس[1] .

عصر البطالمة :

بدأ هذا العصر عندما تولى بطليموس الأول حكم مصر بعد وفاة الإسكندر ، وقد بلغ عدد الملوك البطالمة الذين حكموا مصر حوالى خمسة عشر ملكًا . وفى عهد البطالمة شهدتْ مصر نظمًا إدارية جديدة ، كما جعلوا الإسكندرية عاصمة لمصر ، ومدينة تجارية كبيرة فى شرق البحر المتوسط ، كما اهتموا بإنشاء المعابد مثل معبد فيلة، إدفو ، وإسنا ، وكوم امبو ، ودندرة[2] .

وعلى الرغم من كل إصلاحات البطالمة ، والتى قاموا بها فى مصر ، إلا أن المصريين ثاروا عليهم من واقع اعتزازهم بقوميتهم المصرية ، وقادت طيبة الثورات عليهم ، وفى إطار الاعتزاز والاهتمام بالقومية ظهرت اللغة الديموطيقية ، وبدأت ملامح الفن القبطى فى الظهور .

وسنحاول أن نعرض لأهم ملوك عصر البطالمة :

١ ـ بطليموس الأول (٣٠٤ ـ ٢٨٢ **ق. م**) :

تولى الحكم بعد وفاة الإسكندر ، وفى عصره اهتم بتنظيم البلاد إداريًا وتقسيمها لأقسام ، كما أدخل عبادة سرابيس فى مصر. كما أسس مدينة بطليموس فى الصعيد[3].

٢ ـ بطليموس الثانى (٢٨٢ ـ ٢٤٦ **ق. م**) :

ابن بطليموس الأول . أدخل نظمًا صارمة فى الإدارة . وأسس زراعة حديثة استُخدمت فيها السواقى ، كما قام بإنشاء جامعة الإسكندرية (دار البحث العلمى)

---

(١) المرجع السابق . ص ١٢٣ .

(٢) المرجع السابق . ص ١٢٥ : ١٢٨ .

(٣) جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية . ص ٨٣ . وانظر : ج ويلز : موجز تاريخ العالم ص ١٢٥.

وأنشأ مكتبة الإسكندرية . وفى عهده ترجمت التوراة إلى اليونانية ، كما اهتم بفتح الطريق المائى بين القاهرة والبحر الأحمر (قناة سيزوستريس)[1] .

٣ ـ بطليموس الثالث (٢٤٦ ـ ٢٢١ ق. م) :

بدأ عهده بتحقيق عدة نجاحات دبلوماسية ، وعسكرية . فقد دخل فى معركة رفح ضد الدولة السليوفية فى عهد أنيوخوس الثالث فى عام ٢١٧ ق.م وانتصر الجيش المصرى على السليوفيين . وتعد هذه المعركة من أشهر المعارك التى رفعت الروح المعنوية لدى المصريين ، وأعادتْ لهم الثقة فى أنفسهم ، كما شاهد عصر هذا الملك قيام ثورة فى طيبة ضده[2] .

٤ ـ بطليموس الخامس (٢٠٥ ـ ١٨٠ ق. م) :

أعاد الأمن إلى ربوع البلاد ، واحتفظ بممتلكات مصر فى آسيا الصغرى وفلسطين ، وبحر إيجة . وتولى من بعده مجموعة أخرى من الملوك تحمل لقب بطليموس ، ووصلوا إلى بطليموس العاشر . وقد دخل أفراد الأسرة فى صراع مع بعضهم البعض ، حتى سقطت مصر تحت حكم الرومان فى عهد الملكة كليوباترا بعد موقعة أكتيوم البحرية[3] .

وقد عاش البطالمة ، محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم اليونانية ، وإنْ كانوا يتقربون إلى المصريين فى المناسبات ، واحترموا عقائد المصريين ، وفى عهد البطالمة أيضًا أصبحت اللغة الإغريقية لغة الحكام واللغة الرسمية ، أما المصريون فقد حافظوا على عقيدتهم ولغتهم الوطنية ، والتى طوروها وكتبوها بلغة إغريقية عُرِفت فيما بعد باسم اللغة القبطية[4] .

---

(١) جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية . ص ٨٣ .

(٢) جورج بوزنر : المرجع السابق . ص ٨٣ .

(٣) كانت هذه المعركة عام ٣١ ق. م وأنهت حكم البطالمة ، وأصبحت مصر ولاية رومانية .

(٤) ما زالت هذه اللغة تُستخدم فى أداء الصلوات بالكنائس المصرية .

١٠ ـ العصر الرومانى

ظهرتْ الامبراطورية الرومانية فى شبه الجزيرة الإيطالية ، وقد استطاعت هذه الدولة بسط سيطرتها على حوض البحر المتوسط ، فسيطرت على شمال إفريقيا ، ومصر ، وسوريا ، وتركيا ، وبلاد اليونان . كما امتد اتساع هذه الدولة ليشمل بلاد شرق أوربا وغربها[1] .

وقد بدأ العصر الذهبى للرومان ، بعد تولية (أوكتافيوس) امبراطورًا فى عام ٢٧ ق. م ، وإعطائه سلطات واسعة مثل قيادة القوات المسلحة الرومانية ، كما أطلقوا عليه لقبًا تشريفيًّا وهو أغسطس ، ومعناه (المهيب)[2] .

وقد تطلع الرومان إلى غزو مصر ، وخصوصًا بعد تدخُّل كليوباترا حاكمة مصر البطلمية فى الصراع الداخلى الذى كان يجرى بين القواد : أوكتافيوس ، ولبيدوس ، وأنطونيوس .. وكان سبب التدخل مساندة حبيبها أنطونيو فى صراعه ضد هؤلاء القادة .

ولذلك أرسل أوكتافيوس أسطولاً بحريًا استطاع الانتصار على الأسطول المصرى فى موقعة أكتيوم البحرية عام ٣١ ق.م ، وبذلك سيطر الرومان على مصر واستمرت فترة حكمهم حوالى سبعة قرون .

وقد كانت مصر أهم الولايات الرومانية بسبب أهمية موقعها الجغرافى ، الذى يتميز بتوسطه بين العالم القديم ، بالإضافة إلى أنها كانت تمد روما بالغلال ، ولذلك أُطلق عليها (سلة القمح) وكانت الهدية السنوية من القمح تسمى (الشحنة السعيدة) ، وقد حدث أن توقفتْ هذه الشحنة مرة فأصابت المجاعة روما .

وانطلاقًا من أهمية مصر بالنسبة للدولة الرومانية ، نجد أنها وُضعت تحت الإشراف المباشر للامبراطور الرومانى ، بدون أن يكون لمجلس السناتو أى سيطرة

---

(١) تشارلزورث : الامبراطورية الرومانية ، ترجمة رمزى عبده ، الهيئة العامة للكتاب . (مشروع مكتبة الأسرة) ، القاهرة ، ١٩٩٩م . ص ٧ .

(٢) المرجع السابق . ص ١٢ . وانظر ج. ويلز : موجز تاريخ العالم . ص ١٦٠ ، ١٦١ .

عليها ، أو حتى يتولوا مناصب إدارية فيها . وقد قسمت مصر فى عهد الرومان إلى ثلاثة أقسام رئيسية ، وهى : مصر الوسطى ، ومصر السفلى ، ومصر العليا . وأسندت رئاسة كل قسم إلى قائد عام يُعينه الامبراطور ، ويكون خاضعًا له شخصيًا ، كما قسَّم كل قسم إلى أقاليم .

وعلى الرغم من أهمية مصر للامبراطورية الرومانية فقد شاب الحكم الرومانى لمصر فساد تمثلت مظاهره فى الاستغلال الاقتصادى ، والذى تمثل فى فرض الضرائب الباهظة على المصريين ، مثل ضريبة الرأس التى تُؤخذ على كل فرد ، وأيضًا النهب الاقتصادى المنظم لمصر . كما كان من مظاهر الفساد تسخير المصريين فى الأعمال ، واستخدام الشدة معهم ، وأيضًا حرمان المصريين من حقوقهم واعتبارهم طائفة دنيا ليست لهم أية امتيازات[1] .

ولكن الشعب المصرى لم يقف مكتوف الأيدى أمام الرومان ، بل قاومهم بكل شدة ، واستخدم كافة ألوان الثورات ضدهم سواء كانت ثورات سلبية مثل الامتناع عن دفع الضرائب ، وهجرة الأراضى الزراعية . أو عن طريق المقاومة المسلحة ، كما حدث فى ثورة الدلتا بزعامة (أزيدورس) والتى تُعرف باسم ثورة الرعاة .

وقد استطاع هؤلاء الثوار هزيمة القوات الرومانية ، وتشتيت شملها ، وزحفوا إلى مدينة الإسكندرية وحاصروها لولا تواصل النجدات من روما ، والتى استطاعت إيقاف الثورة[2] .

وقد حاول بعض الأباطرة الرومان التودد إلى الشعب المصرى مثل : هادريان وتراجان عن طريق الإصلاحات الاقتصادية . واحترام عقائد قدماء المصريين ، ولكن المصريين لم يكفوا عن الثورة ضد هؤلاء الرومان .

وقد مَرَّ الحكم الرومانى فى مصر بمرحلتين ، وهما مرحلة الحكم الرومانى ، وامتدت من عام ٣١ ق.م إلى عام ٣٩٥م . والمرحلة الثانية هى مرحلة الحكم البيزنطى ، وامتدت من فترة ٣٩٥م إلى عام ٦٤١م .

---

(١) أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة . ص ٣٩٨ .

(٢) شارلزورث : الامبراطورية الرومانية . ص ٦٥ ، ٦٦ .

وقد انتشرت المسيحية فى مصر على يد القديس مرقص، وتأسست فى الإسكندرية مدرسة للدراسات الدينية . وكان من نتاج اعتناق المصريين للمسيحية تعرضهم لاضطهاد شديد من الرومان ، وخصوصًا فى عهد نيرون (٥٤ - ٦٨م) الذى اضطهد المسيحيين فى مصر .

وقد زاد الاضطهاد أكثر فى عهد الامبراطور دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م) الذى هدم الكنائس ، وأعدم كثيرًا من المسيحيين ، وقد قُتل ما يقرب من ثمانمائة ألف من المسيحيين ، ولذلك يُسمى عصره بعصر الشهداء وهو بداية التقويم القبطى .

وقد كان من نتيجة الاضطهاد الذى تعرض له المسيحيون المصريون فرار الكثير منهم إلى الصحراء هربًا بدينهم الجديد ، ومن هنا ظهرت فكرة الرهبانية ، وهى التى علَّمتها مصر للعالم .

ووجدت حركة الرهبنة فى مصر تربة خصبة لانتشارها ، وهى وجود الصحراء والتى كان يلجأ إليها الرهبان فرارًا من بطش الرومان . وقد انقسمت حركة الرهبنة لقسمين ، وهما العزلة التامة أو التوحد ، حيث يقوم الراهب بتدبير احتياجاته بنفسه ، ومن أشهر الرهبان المتوحدين الأنبا أنطون .

والنوع الثانى من الرهبنة هو نظام الشركة ، وتعنى تعاون الرهبان مع بعضهم البعض ويعيشون داخل دير مُحاط بالأسوار لحمايته ، ويقسم إلى حجرات مخصصة للرهبان تُسمى الحجرة بالقلاية . ومن رواد الرهبنة بالشراكة الأنبا باخوم ، والأنبا شنودة الأتربى .

وقد ترتب على حركة الرهبنة فى مصر عدة نتائج ، منها انتشار التعليم على يد الرهبان فى كل أنحاء مصر ، وقيام حركة تأليف للكتب وخصوصًا التى تتناول العقيدة، وقيام حركة نسخ الكتب وانتشارها مثل كتب السير ، وتفسير الكتاب المقدس .

وبعد اعتناق الرومان المسيحية ، واتخاذها دينًا رسميًا للامبراطورية الرومانية فى عهد الامبراطور قسطنطين[1] . لم يَسْلم المسيحيون المصريون من الاضطهاد أيضًا ، والسبب هذه المرة هو الاختلاف فى المذهب الدينى ، فبينما اعتنق الرومان المذهب الملكانى ، نجد أن المصريين اعتنقوا المذهب اليعقوبى مما كان بداية لسلسلة جديدة من الاضطهادات ، وكأن من قدر المصريين أن يدفعوا دائمًا ثمن اعتزازهم بأنفسهم ، وتمسُّكهم بعقيدتهم .

* * *

(١) ج . ويلز : موجز تاريخ العالم . ص ١٢ : ٢٧٢ .

الفصل الثاني

مظاهر الحضارة المصرية القديمة

١ ـ الدين عند قدماء المصريين[1]

لعب الدينُ دورًا هامًا فى حياة قدماء المصريين، فهم قد عاشوا بالدين، وللدين . وقد أسهم الدين المصرى القديم فى بناء الحضارة المصرية القديمة عن طريق غرس قيم الخير فى نفوس المصريين ، وعن طريق اهتمامهم بالحياة الأخرى انبثقت كل العلوم والفنون ، والتى تخلد الروح فظهر علم الطب ، والكيمياء ، والعمارة كلها كانت علومًا وفنونًا فى خدمة الدين .

ولقد مرَّ الدين المصرى بعدة مراحل ، حتى وصل لنا بالصورة الكاملة ، والتى نعرفها عنه ، وإنْ كان يكتنفه الغموض بسبب العودة للماضى وخَلْط الديانات القديمة بالحديثة ، وبسبب اعتمادهم على السحر ، وما يميز السحر من الغموض ، وعدم الوضوح . بالإضافة لتقديسهم للطيور والحيوانات مما جعل كثيرًا من المؤرخين يتحرجون من ذكر الكثير عن هذه العبادات .

وقد أثرت البيئة سواء السياسية أو الطبيعية على الديانة المصرية القديمة ، فانقسام مصر إلى العديد من الأقاليم نتج عنه اتجاه المصريين للتعدد فى بداية حياتهم الدينية ، وبعد أن تمَّ توحيد البلاد بدأت تظهر ملامح التوحيد فى الديانة المصرية القديمة .

---

(١) لمزيد من البحث والدراسة عن الديانة المصرية القديمة انظر : جيمس برستيد : فجر الضمير ، وانظر أدولف إرمان ، الديانة المصرية القديمة .

كما أثرت البيئة الطبيعية على الدين ، فوجود النيل والخصوبة ، وسطوع الشمس طول العام ، جعل المصرى يقدس النيل ، وجعل الشمس مركزًا كبيرًا للعبادة . فعُبدت فى معظم مراحل التاريخ المصرى ، حتى عندما لجأ المصرى لعملية التوحيد ، فى عهد إخناتون اتجه إلى اختزال كل معلوماته فى قرص الشمس والذى أسماه آتون .

ولقد مرَّت الديانة المصرية القديمة بعدة أطوار من مرحلة التعدد إلى مرحلة الترجيح والاختيار ، ثم مرحلة التوحيد فى عهد إخناتون، ثم العودة للتعدد مرة ثانية.

وقد ظهرت ملامح الديانة المصرية القديمة ، منذ بداية عصر المعادن ، حيث وجدت عبادة الحيوان فى المقابر التى تعود إلى عصر البدارى ، وهى حيوانات من آوى ، والثيران ، والكباش ، والغزلان . كما وُجدت فى هذه المقابر تعاويذ مصنوعة من العظم تمثل رؤوسَ غزلان ، وجاموس بحر . كما كان الإنسان فى هذا العصر ، يؤمن بالبعث والخلود ، حيث وجدت فى مقابر البدارى أدوات زينة ، وآنية مما يستخدمه الإنسان فى حياته مدفونة معه .

وعندما بدأ الإنسان المصرى فى النزول للوادى ، وتكونت المقاطعات الإدارية وهى اثنتان وعشرون مقاطعة ، والوجه القبلى عشرون مقاطعة . كان لكل مقاطعة إله خاص بها ويسمى (نب) . وبجانب هذا الإله الخاص بالمقاطعة وجدت آلهة ثانوية كانوا يعبدونها ، وكانت أسماء المعبودات المصرية القديمة نشأت غالبًا من أسماء المدن التى تُعبد فيها .

ومن أشهر المعبودات المصرية فى مرحلة التعدد هى رع ، وكان يُعبد فى هليوبوليس وعين شمس ، وبتاح ويُعبد فى مدينة منف . وأنوبيس فى أسيوط ، وحتحور فى مدينة دندرة، وأزوريس فى أبيدوس والعرابة المدفونة. وخنوم فى أسوان. وحورس فى إدفو .

وبعد توحيد المملكتين ظهرت مرحلة الترجيح والتغليب ، وخصوصًا فى عهد الدولة القديمة ، وأصبح رع هو المعبود المفضَّل لملوك هذه الدولة ، وطبقة النبلاء الذين كانوا يفضلونه أيضًا ، ولذلك نجد أنهم أضافوا إلى معبوداتهم القديمة لفظ رع مثل (خنوم رع) (آمون رع) .

أما فى مرحلة التوحيد والتى بدأت فى عهد الدولة الحديثة ، فقد استمرت عبادة الشمس ، والتى كانت ممثلة فى رع . وإنْ تغير رسم صورتها كما كانت تُرسم فى الماضى بصورة إنسان برأس صقر ، إلى صورة الشمس نفسها ، حيث تخرج منها أيدٍ ، ومعناه أن الشمس تعطى الإنسانَ الحياة .

وقد قاد هذه الثورة الدينية إخناتون ، وتميزت عقيدة التوحيد الجديدة والتى مُثِّلت بقرص الشمس ، فقد كانت تتجه إلى الاعتقاد بالتوحيد ، وأنه يوجد إله واحد ليس له شريك ، وخلق نفسه بنفسه . كما أن المعبود الجديد والممثّل فى قرص الشمس لم تكن له صفات مشتركة مع الصور القديمة لآمون .

وقد كانت إقامة الشعائر تسير طبقًا لطقوس ، وهى تبدأ من قيام الكاهن عند انبثاق الفجر ، إلى قدس الأقداس ، ويقوم بتبخيره ، حتى يمتلئ بالبخور ، ثم يقترب من المحراب ويفتحه ، ويحي الإله بالركوع عدة مرات ، وبترتيل وتلاوة الأناشيد .

ثم يأخذ فى التزيين اليومى للإله ، وينضح التمثال بأربعة جرار من الماء ، ويقوم بكسوته بشرائط كتان أبيض ، وأخضر ، وأحمر ثم يدهن التمثال بالزيت ، ثم يضع أمامه مختلف الأطعمة والشراب من خبز وأوز وزهور ، وفى كل مرحلة من هذه المراحل يتم إنشاد التراتيل .

وقد كانوا يضعون شروطًا للطهارة لمن يحضر هذه الطقوس ، حيث يجب مراعاة قواعد النظافة ، ويُراعى الأطعمة المنصوص عليها فى شريعتهم ، واجتناب الخطايا ، وأن يكون الشخص مختونًا ، أما قائمة الأطعمة المحرمة فهى لحوم الماشية ، والأسماك .

وبجانب هذه الشعائر والطقوس نجد أنه كانت هناك احتفالات دينية متعددة ، ففى كل مدينة عيد ، وكانت هذه الأعياد تجد اهتمامًا خاصًا ، وكانت إجراءات الاحتفالات تتم كالتالى : يُضاء المعبد ويُزخرف ، ثم تُقدم القرابين ، ثم يُزيَّن تمثال معبودهم بالتمائم ، وقلائد الزمن .

وكانت المحاريب عبارة عن شكل قارب ، ثم يخرج التمثال وأمامه أعلام مُزيّنة بصور لبنات آوى ، التى تعتبر بمثابة فاتح الطريق ، كما ترافق التمثال تماثيل للملك .

وقد كان لطبقة رجال الدين أهمية كبيرة فى حياة المصريين ، فقد كان المصريون يُقدِّرون رجال الدين ، ويحترمونهم ويقدمون لهم الهدايا فى المناسبات وغيرها ، وقد انقسم رجال الدين إلى قسمين ، وهم رجال دين يعملون بصفة دائمة ، ورجال دين يعملون بصفة مؤقتة .

فالذين يعملون بصفة دائمة يُسمون خدم الإله ، والآخرون يسمون (خرحب) ومعناها العلماء ، وكُتَّاب كتاب الإله وهم الذين يختارون اسم الطفل الملكى ، ويقومون أثناء الاحتفالات بتلاوة الصيغ القديمة ، ويعرفون أسرار السحر .

وكان رجال الدين ينقسمون طبقيًا إلى كهنة (وعب) وهم فى أسفل السلم الكهنوتى ، وطبقة عليا وهم (أب الإله). أما أعلى طبقة فهو كبير الكهان . والملاحظ أيضًا أن النساء كُن يعملن كاهنات ، وخصوصًا فى معبد حتحور .

وقد تميزتْ الديانة المصرية القديمة بخصائص عديدة ، منها الاعتقاد فى البعث والخلود ، وهذا الاعتقاد جعلهم يهتمون ببناء المقابر بالأحجار لتظل صامدة على مَرِّ العصور ، وجعلهم يهتمون بعلم التحنيط حتى يحتفظوا بجثة الإنسان سليمة لكى تتعرف عليها الروح (كا) . وقد توصَّلوا لمعرفة فكرة البعث والخلود عن طريق مراقبتهم لحركة الشمس ، فالشمس حين تشرق تعتبر بمثابة بعث ، وعندما تغيب كأنها تموت ، وهكذا يعتبرون مولد الإنسان كانبعاث الشمس وموته مثل غروبها ، وبعثه مثل انبعاثها من جديد .

والخاصية الثانية التى ميزت الديانة المصرية القديمة هى الإيمان بالثواب والعقاب ، ولذلك كانوا يقولون : إن هناك محكمة للموتى برئاسة أزوريس وعضوية أربعة وأربعين قاضٍ مهمتهم محاكمة الميت ، حيث يتم وزن القلب فى ميزان تمسكه (ماعت) فإذا كان قلب الميت ثقيلاً هوى به إلى الجحيم .

وقد ارتبطت بالديانة المصرية القديمة أسطورة إيزيس وأزوريس ، وهى قصة تحكى عن الصراع بين الخير والشر ، فقد كان الخير ممثلاً فى إيزيس وأزوريس ، بينما مُثِّل الشر فى ست ونفتيس . ويخرج القارئ من هذه القصة بمفهوم خلقى ، وهو انتصار الخير على الشر .

وتحكى القصة عن الصراع الذى دار بين الأخوين أزوريس وست بسبب التفاف الشعب حول أزوريس وكراهيتهم لست الشرير مما أثار حفيظة ست ، فقرر الانتقام من أخيه عن طريق تدبير مؤامرة ، وهى قيامه بدعوة لحفلة عامة ، دعا فيها جميع من يعرفهم .

وفى أثناء الحفل عرض تابوتًا كهدية لمن يكون التابوت ملائمًا لجسمه ، وعندما بدأ الحضور قياس التابوت على أجسامهم لم يسعهم لأنه فى الأصل مصمم على أن يلائم جسد أوزوريس .

وعندما حان موعد أوزوريس لقياس التابوت ، ودخل فيه أمر ست الخدم بأن يقوموا بغلق التابوت على جسد أوزوريس ، وإلقائه فى البحر ، والذى حملت أمواجه الجثة إلى بلاد جبيل فى لبنان، فبدأت إيزيس رحلة البحث عن التابوت، حتى وجدته، وأخرجتْ منه أوزوريس ، وعندما أخرجته عادت به إلى مصر مرة ثانية . وعندما سمع ست الشرير بعودة أوزوريس أمر بالقبض عليه ، وقتله . ثم قام بتقطيع جسده إلى اثنتين وأربعين قطعة . وقد عاش ست فترة كبيرة حتى تمكن حوريس ابن أوزوريس من قتله ، وتخليص العالم من شره .

الديانة المصرية فى عهد البطالمة والرومان :

استمر العصر البطلمى والرومانى فى مصر زهاء خمسمائة عام ، حدثت خلالها تطورات كثيرة فى الديانة المصرية القديمة ، وشهدتْ خلاله علاقات ربطت رجال الدين بالسلطة الزمنية . وبدأت ملامح هذه المودة عندما زار الإسكندر واحة آمون ، وقدَّم القرابين لآمون ، فسماه الكهنة ابن آمون .

وقد سار على نهجه حكام البطالمة فى مصر الذين أولوْا الديانة المصرية القديمة اهتماماتهم ، فقد قاموا بتشييد معابد مثل دندرة ، وإدفو ، وفيلة ، وكوم أمبو . وكانت معظم تكاليف هذه المعابد على نفقتهم الخاصة التى كانت تُدفع كهبات ملكية لا تُرد.

وقد قدَّر المصريون هذه الأعمال التى قام بها البطالمة تقديرًا كبيرًا ، فأقاموا النصب تخليدًا لذكرى بطليموس الثانى ، عندما زار معبد منديس بالدلتا . وأحيانًا كانوا يدَّعون ألوهية الملوك الذين ساعدوهم فى إنشاء المعابد ، مثلما حدث فى الإسكندرية عام ٢٣٨ ق. م ، ففى مناسبة عيد ميلاد الملك اجتمع الكهنة وقرروا تأليه بطليموس الثانى وزوجته .

وكانت أهم الأعمال التى قام بها بطليموس الثانى فى نظرهم هى العناية بالمعابد وتقديس الحيوانات التى كانوا يقدسونها ، ورد المنهوبات مثل التماثيل التى نُهبت من المعابد أثناء غزوات البرابرة ، وربما يُقصد بهم الفرس ، كما كان من المسوغات أيضًا قيام بطليموس هذا بتوفير السلام والأمن لسكان البلاد .

ومن مظاهر التطور الذى حدث فى الديانة المصرية القديمة إدخال عبادة سيرابيس ، والذى حاول البطالمة التقريب بينه وبين أوزوريس ، بل ادعوا أن اسم سيرابيس هو اسم أوزوريس بالإغريقية . وقد أمر البطالمة بإنشاء معبد خاص ، وهو السيرابيوم لعبادة سيرابيس .

كما اهتم البطالمة بثيران أبيس ، والذى كان دَفْنُها يتم طبقًا لإجراءات واحتفالات كبيرة ، وقد كانت هذه الاحتفالات تكلف الخزانة كثيرًا ، وكانت قواعد الدفن تسير كالآتى ، يُخصص خمسة كهنة لتحنيط جثة الثور ويلفون أعضاء الثور بلفائف ، ويحشو بعض الأعضاء مثل الرأس ، والفم ، والعينين ، والأنف بالأخشاب المعطرة ، ومواد التحنيط مثل ملح النطرون ، وخشب الصندل . وكان يتم تغطية القرنين ، وتمد الساقين ويغسل تجويف البطن ، ويُحشى بالمواد التى تُحنط بها الجثة أيضًا .

وبعد إجراء عملية التحنيط تبدأ شعائر الجنازة ، فتُوسَّدُ الجثة على النعش داخل التابوت ، ثم تُوضع فى زورق يعبر بها البحيرة ، ويتلى عليها النصوص . وتستمر هذه الاحتفالات مدة سبعين يومًا .

وقد تميزت الديانة المصرية القديمة فى عهد الإغريق والرومان ببعدها عن الديانة التى كانت سائدة فى عهد الفراعنة من حيث الشكل والمضمون، حيث اتجهت

لأسلوب البساطة نتيجة لدمج المعبودات مع بعضهم البعض ، ومن حيث الشكل حيث ظهرتْ تماثيل المعبودات المصرية القديمة ، وهى ترتدى ملابس إغريقية ، ويغلب عليها شكل المحاربين .

وقد حاول الرومان إدخال معبوداتهم إلى مصر مثل جوبيتر ، وروما ، ولكن لم تحظ هذه الديانة بأتباع كثيرين ، بل على العكس أثقلت نفقات الاحتفال بها كاهل المصريين ، نظرًا لأنهم كانوا يتحملون أيضًا نفقات الاحتفالات التى تُقام تكريمًا للامبراطور والامبراطورة .

أما عن المعابد فقد انقسمت حسب مواردها إلى معابد منتجة تعتمد على ما تنتجه من الكتان ، والزيوت . كما كانت تنشأ المصانع الخاصة بإنتاج الجعة ، وأيضًا المخابز لسدِّ نفقات المعبد ، وبيع الفائض . أما المعابد التى لا تقوم بالإنتاج فقد عاشت فقيرة . وكان الكهنة يتقاضون منها مرتبًا لا يكاد يقيم أَوْدهم ، ومعظم النفقات كانت تخصص للإنفاق على تماثيل معبوداتهم ، وكانت أوجه الصرف هى شراء أثواب الكتان لكسوة التماثيل .

وقد زاد فى العهد الرومانى انقسام الكهان إلى طبقات متباينة وهى الكهنة الأعلون وهم رؤساء الكهنة ، وكان لهم حق حمل تمثال معبودهم ، ثم طبقة أخرى كان اختصاصها إلباس التماثيل الملابس ، أما الطبقة الدنيا من الكهان مثل حَمَلة الناموس فكان محرمًا عليهم تسمية أنفسهم بالكهنة .

وقد كان يتم تعيين الكهنة طبقًا لشروط كان يحددها مجلس الطوائف الخمس ، وهذه الشروط هى : أن يجيد معرفة الكتابات المصرية الثلاث ، وهى الهيروغليفية ، والهيروطيقية ، والديموطيقية . كما يجب أن يكون ضليعًا فى دراسة الكتب المقدسة ، بالإضافة للتحلى بالأخلاق الفاضلة ، وأن يكون عذب الصوت ، ولا يرفع صوته أثناء الكلام مع أحد ، ولا يتعجل فى مشيته .

ومن ناحية الاعتقاد بالبعث والخلود ، تغيرت أفكار محكمة الموتى ، فبدلاً من أوزوريس الذى كان يرأس المحكمة فى عصر الفراعنة تغير وأصبح سيرابيس فى

العهد الإغريقى البطلمى ، وبلوتو فى عهد الرومان ، أما وازن قلب الموتى فتحول إلى هرمس .

حتى عملية دفن الموتى أصبحت فى العصر الإغريقى والرومانى عملية تجارية بحتة ، وأصبحت عملية شكلية ، وأصبحت عملية الدفن عملية باهظة الثمن ، والسبب الذى أدى لارتفاع أسعار الدفن هو طول فترة التحنيط ، وفرض ضريبة على اللفائف المخصصة للتحنيط ، وفرض مكوس على نقل الجثث .

أما مَنْ يقومون بعملية الدفن ، فقد انقسموا إلى طبقتين ، وهما طبقة التاريخيتين، وهم الذين يقومون بالتحنيط ، وطبقة الكواخينيين ، وهم الذين يتعهدون برعاية الخدمة للجنازة .

طريقة الدفن وظهور الفن المسمى بوجوه الفيوم :

تغيرت طريقة بناء المقابر فى العصر البطلمى والرومانى عما كان سائدًا فى مصر القديمة ، وأصبح الموتى يُدفنون فى حُفر أو آبار ، أو مقابر جماعية . كما كانت الموميات الفقيرة لا تدفن فى توابيت ، وإنما تشد إلى ألواح الخشب ، أو جذوع النخيل لكى تتماسك . أما موميات الأغنياء فكانت تُدفن فى توابيت جميلة فكان قناع الرأس مصنوعًا من الذهب ، وكانت ملامح صاحب المومياء تُصَوَّر على الخشب أو جزء من كفن الميت ، ثم تُوضع الصورة فوق وجه الجثة ، وأحيانًا كانت تُصَوَّر الجثة كاملة فوق القناع .

وقد انتهت الديانة المصرية القديمة بعد دخول المسيحية إلى مصر ، فقد قام الوعاظ المسيحيون بتدمير المعابد الوثنية ، ومن أشهر المعابد التى دمرت معبد سيرابيس عام ٣٩١ ميلادية ، ومعبد أتريب . وقد تحولت معظم هذه المعابد إلى كنائس ، وتُرِك الكثير منها خرابًا . حتى المعبودات الفرعونية القديمة أصبحت بمثابة أشباح ، وأصبحت فى نظر المصريين مجرد أرواح شريرة ، وأصبحت الديانة المصرية القديمة لا تجد لها منفذًا إلا فى المشعوذين والسحرة الذين استخدموا السحر والتعاويذ الفرعونية .

٢ ـ اللغة المصرية القديمة[١]

اللغة هى وعاء الفكر ، وهى الوسيط بين المرسل والمرسل إليه ، ولذلك تأتى أهمية دراسة اللغة المصرية القديمة ، والتى تساعدنا على فهم كثير من غوامض الحضارة المصرية القديمة .

تنتمى اللغة المصرية القديمة إلى إحدى فروع اللغات السامية ، وهى اللغة الحامية ، وتتميز اللغة المصرية بعدة خصائص وهى أنها تحتوى على ثلاثمائة أصل مشترك بينها وبين اللغات السامية ، وأكثر من مائة أصل مشترك بينها وبين لغات شمال إفريقيا ، كما أنها تحتوى على عشرين ألف كلمة .

كما أن من خصائصها أيضًا أنها تتكون من الأسماء ، والجمادات ، أما الأفكار المتجردة فكانت قليلة ، وأيضًا يضاف إلى خصائصها أنها استمرت ما يقرب من خمسة آلاف عام ، وهذا زمن طويل فى عمر اللغات . وآخر المميزات لها أنها لم تكُنْ جامدة ، بل تفاعلت مع اللغات الأخرى ، وأخذت من اللغات الأجنبية الألفاظ التى لم تكُنْ معروفة فى اللغة المصرية مثل لفظ : العربة ، الحصان .

وتنقسم اللغة المصرية طبقًا لتطورها إلى ثلاثة أقسام وهى اللغة الهيروغليفية ، ومعناها : النقش المقدس ، وكان يُكتب بها على المقابر ، والمعابد ويُجيدها الكهنة . والقسم الثانى هى اللغة الهيروطيقية ومعناها الخط المقدس ، وكان يُكتب بها على أوراق البردى .

أما القسم الأخير فهو اللغة الديموطيقية ، ومعناها : الخط الشعبى ، ويستخدم فى كافة مناحى الحياة اليومية مثل كتابة العقود ، والتعليم . ثم تطورتْ اللغة المصرية القديمة فى عهد البطالمة ، حيث دخلتها ألفاظ يونانية وأصبحت تُكتب بالحروف اليونانية ، ومن ثمَّ ظهرت اللغة القبطية ، والتى تستخدم فى الكنائس حتى الآن .

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر كتاب: جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية القديمة . وكتاب سليم حسن: مصر القديمة . جـ ١ .

وقد انتهت اللغة الهيروغليفية فى القرن الرابع الميلادى ، بعد القضاء على الديانة الوثنية ، وكان أمرًا طبيعيًا أن تختفى هذه اللغة نظرًا لتدهور طبقة الكهنة ، وهم الذين كانوا يجيدون هذه اللغة . أما بالنسبة للغة الهيروطيقية فقضى عليها فى عهد البطالمة ، وبالنسبة للغة القبطية فقد ظلتْ متداولة فى الوجه القبلى فى الصلوات والمدارس إلى أواخر القرن السابع عشر الميلادى ، وانحصرتْ الآن فى الكنائس فقط .

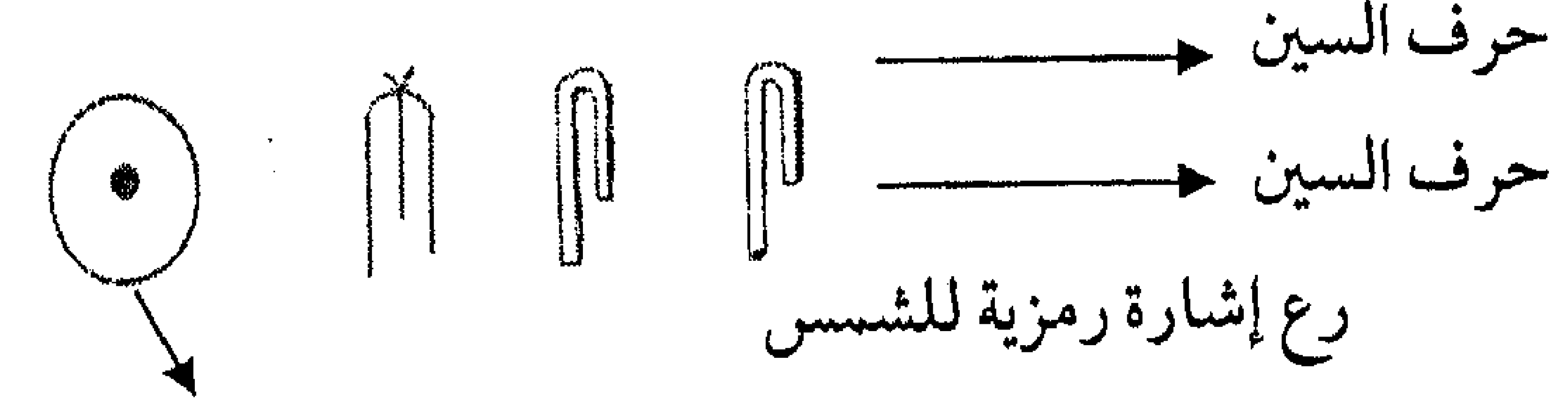
وقد ظلت اللغة المصرية القديمة مجهولة فترة كبيرة من الزمن حتى استطاع شامبليون الفرنسى فكَّ رموز حجر رشيد ، ولكن شامبليون لم يكُنْ الأول فيمن حاول فك رموز اللغة المصرية القديمة وإنما سبقه مجموعة مِن العلماء منهم (سلفستر دى ساسى) الذى حاول فكَّ رموز الحجر فى عام ١٨٠٢م ، ولكن لم يستطع فكَّ أى اسم سوى اسم (بطليموس) . كما حاول (توماس يانج) فى عام ١٨١٤م أن يفك رموز حجر رشيد ، ولكنه توصل إلى معرفة بعض الحروف دون معرفة صوتياتها .

أما جهود شامبليون فلم تبدأ من فراغ ، وإنما اعتمد على دراسات دى ساسى وتوماس يانج . وتوصل منهما أن أسماء الحكام البطالمة يجب أن تُكتب بالهيروغليفية . وأول شىء توصَّل إليه هو أن اللغة المصرية القديمة واحدة وإن اختلفت فى الخطوط. كما عرف أن أسماء الملوك توضع دائمًا فى خراطيش ، واستطاع بمقارنة النص القبطى واليونانى مع النص الفرعونى أن يعرف أسماء الملوك ، وبالتالى عرف كثيرًا من الحروف .

وقد توصل شامبليون إلى أن اللغة المصرية تعتمد على إشارات تصويرية مثل رع، وتحوت . وإشارات صوتية تتكون من حروف ، وقد وضع شامبليون قاموسًا للغة المصرية القديمة ، ووضع لها قواعد نحوية .

واللغة المصرية القديمة تستخدم فى نظام الأفعال تركيبين ، كما أن الضمائر بها كثيرة ، وبها تمييز بين المذكر والمؤنث . فيضاف للمؤنث حرف (الثاء) إلى آخر المذكر ، فيصبح مؤنثًا مثل (سا - ابن) (ساث - بنت) .

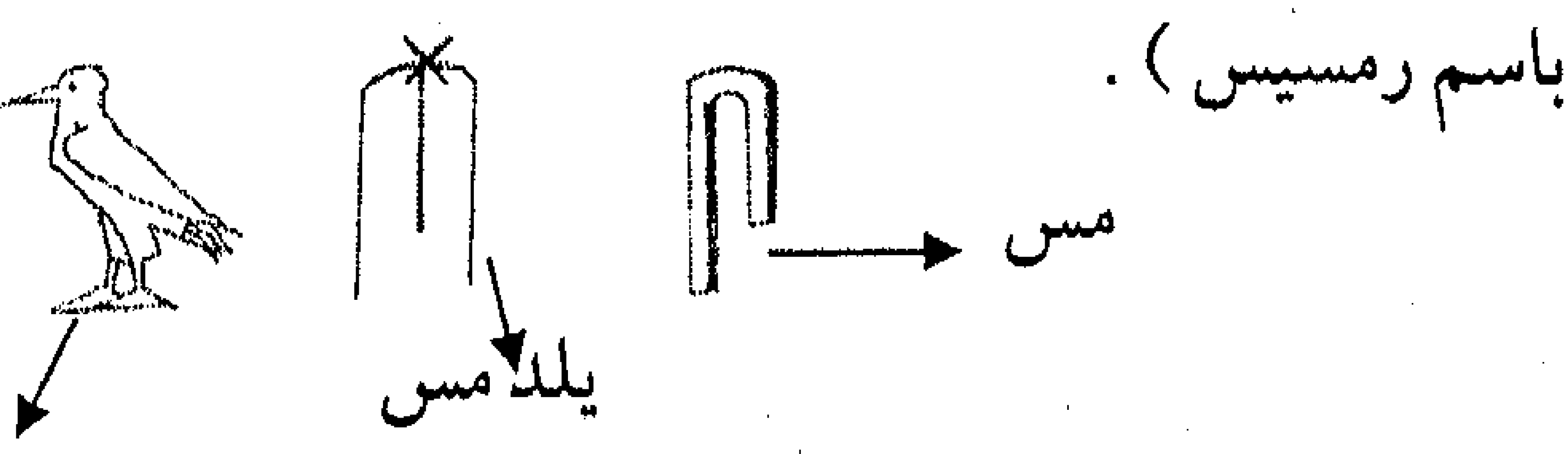
ولكى نوضح فكرة اللغة المصرية القديمة عند استخدامها للإشارة الرمزية ، والإشارة الصوتية يمكن أن تتضح من الصورة التالية :



تدل على الولادة وترمز أيضًا لحرف السين

ولو رتبنا الكلمات من اليسار لليمين سنجد الآتى :

رع يلد (مس) س س لأن كلمة يلد بالهيروغليفية معناها مس فتصبح الكلمة كالآتى : الذى يلده رع . أى : الذى أبوه رع وتصبح رعمسيس (وهو المعروف باسم رمسيس) .



طائر أبو منجل ويرمز لتحوت

وبتطبيق القاعدة السابقة (تحوت مس س) تحتمس .

٣ ـ النظام السياسى عند قدماء المصريين

تُعتبر مصر أول دولة فى العالم ، عرفت نظام الدولة المركزية المستقرة ، وهى أول من وضع نظامًا حكوميًّا قائمًا على عناصر معروفة ذات اختصاصات محددة ، وكان الغرض لظهور النظام المركزى فى مصر هو محاولة تنظيم مياه النهر ، وتوزيعه ، وضبطه[١] .

وقد تكوَّن نظام الحكم فى مصر من عدة عناصر وهى : فى القمة يتربع فرعون ويعاونه الوزير ، ثم حكام الأقاليم ، وطبقة الكتبة والموظفين ، وفيما يلى عرض لهذه العناصر :

(١) عن النظام الإدارى انظر كتاب سير فلندرز : الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة، الهيئة العامة للكتاب . وانظر ت. ج. جيز : الحياة أيام الفراعنة . الهيئة العامة للكتاب .

أولاً : فرعون :

كان المصريون ينظرون إلى فرعون ، نظرة تقديس وإجلال ، على اعتبار أنه فى نظرهم كان يعتبر ابن الإله ، ولذلك أحكامه لا ترد ، ولا تُناقش . وكانوا يعتبرون أن مشيئته لا ترد ، وأن الشعائر والطقوس الدينية وضعت له ، وفى نظرهم هو الكاهن الأعظم ، أما بقية الكهنة فهم ممثلون له .

ويعتقدون أيضًا أن الطقوس تُقدَّم له بصفة ابن من أبناء الآلهة التى كانوا يعبدونها ، كما أنه فى نظرهم فى العالم الآخر يعيش فى قصر منفرد ، وهو الوحيد القادر على الاتصال بمعبوداتهم ، ولذلك نجد أن النقوش على المعابد توضح قيام فرعون وحده بالطقوس والصلوات .

وقد أطلق المصريون على فرعون عدة ألقاب ، وهى بمجرد اعتلائه العرش كان يُسمى (حور) . ولقب العقاب والصل (نوع من الثعابين) وهما رمزان لمملكة الوجه البحرى (الصل) ومملكة الوجه القبلى (العقاب) .

أما لفظ فرعون فقد ظهر متأخرًا ، ومعناه فى اللغة المصرية القديمة (البيت الكبير) بمعنى كبير الأسرة . وهو لقب ولم يكُنْ اسمًا كما كان يعتقد كثير من الناس ، ومن ألقابه أيضًا : ابن الشمس .

أما وظائف فرعون الدنيوية فهى قيادة الجيوش فى المعارك ، والإشراف على أعمال المناجم والمحاجر ، والإشراف على الكهنة ، وتلقى التقارير من الوزير ، وإعطاء الأوامر لحكام الأقاليم .

ثانيًا : الوزير :

كان منصبًا هامًا فى حياة قدماء المصريين ، ولذلك كان معظم الوزراء من أفراد الأسرة المالكة ، أما اختصاصاته الوظيفية فهى الإشراف على أعمال القضاة ، وكتابة التقارير لفرعون ، والإشراف على أعمال حكام الأقاليم . وكان يعتبر (إرادة السيد ، وعينىْ الملك وأذنيه) . كما كان من اختصاصاته رئاسة الإدارة المركزية ، وهى إدارة الغلال ، والسجلات والخزانة ، والأشغال العامة .

وقد ظهر منصب الوزير فى عهد الدولة القديمة ، فى عصر سنفرو ، وفى بعض فترات الضعف كان هناك وزيران : وزير للوجه القبلى ، ووزير للوجه البحرى ، وكان الوزير قبل تعيينه لابد أن يخضع لشروط هى : العلم ، والحكمة ، والطهارة ، والعفة .

وكان الوزير يبدأ عمله اليومى ، بالذهاب للملك فى كلِّ صباح لتلقى التعليمات ، ثم يحضر المؤتمرات ، ويفحص التقارير ، ويرسل المراسلات ، ويعقد الجلسات ويشرف على رحلات الملك سواء للصيد أو غيرها .

كما كان الوزير يشارك فى الاحتفالات طبقًا لبروتوكول معين ، فيعلق على صدره تمثالاً صغيرًا لماعث (إلهة العدل عند قدماء المصريين) حيث إنه مسئول عن العدالة والإدارة الحكومية ، والتى يجب أنْ يُسيِّرها بالعدل .

ومن أشهر الوزراء فى عصر الفراعنة أمحوتب ، وإنْ كان لم يطلق عليه لقب وزير ، لأن المنصب لم يكن معروفًا ، لكنه كان يقوم بعمل أشبه بعمل الوزير ، ومن الوزراء أيضًا بتاح حوتب . وميرا . ورخميرع . ورع موسى .

ثالثًا : حكام الأقاليم :

كانت مصر مقسمة لما يقرب من أربعين إقليمًا ، وكان على رأس كل إقليم حاكم تحددت وظائفه بالإشراف على حفظ الأمن ، وجمع الضرائب ، وكتابة التقارير للوزير ، وكان يعاونه فى ذلك مجموعة من الكتبة الموظفين ، وقد كانت لهم أحيانًا سطوة كبيرة على الأقاليم ، كما كانوا يقودون الثورات أحيانًا .

رابعًا : الكتبة :

كانت مهنة الكاتب ، تعتبر من أكثر المهن تشريفًا فى مصر القديمة ، وكانت هذه الوظيفة تعتبر مطمحًا لكثير من أبناء الطبقات العليا والمتوسطة فى مصر . وكان الآباء ينصحون أبناءهم باحتراف هذه المهنة نظرًا لأهميتها .

وتأتى أهمية هذه المهنة فى دولة لعبت فيها السجلات ، دورًا كبيرًا فى حياة الأشخاص ، فقد كان الكاتب هو الذى يفرض الضرائب على مصر العليا والسفلى .

فهو الذى يُسجلها أيضًا ، ويمسك حسابها ، ويقوم بدور الحاجِب والسكرتير للحكام ، وبلغ من شرف هذه المهنة أن معظم الأمراء كانوا يتخذون لأنفسهم تماثيل تمثلهم وهم كتبة .

وقد أعطيت عدة امتيازات لهذه الوظيفة ، وهى الإعفاء من الضرائب والإعفاء من السخرة ، كما كانت مريحة فى معظم حالاتها ، والوصايا التى كانت تُقدَّم للكاتب تثبت ذلك ، منها (كُنْ كاتبًا كى تصير أعضاؤك ناعمة ، وتصير يداك رخصتين ، وتسير فى ثياب بيضاء فيعجب بك الناسُ ، ويحييك رجالُ البلاط ، تنادى شخصًا فيلبى نداءك الألوف ، وتسير حرًّا فى الطريق) .

خامسًا : الجيش :

لم يكُنْ المصريون من الشعوب التى احترفت الجندية ، لأن أرض مصر الغنية كانت توفر لهم كل الإمكانيات التى كانت تجعل غيرهم يقوم بالاعتداء على الآخرين ، بالإضافة لوجود الصحراء والتى أصبحت بمثابة حصون تقى مصر من الغزوات .

ولكن بعد غزو الهكسوس لمصر فى العصر المتوسط الثانى ، أدرك المصريون مدى أهمية الجيش كوسيلة للوقاية من الغزوات ، وكضمان لحماية الامبراطورية المترامية الأطراف ، وبدأ هذا الاهتمام فى عصر الدولة الحديثة ، وإنْ كانت قد سبقتها محاولات فى عهد الدولة القديمة لجمع الرجال المدربين لصدِّ غزوات البدو . بينما الشرطة والحرس الملكى كانت تكلَّف بأعمال عامة مثل الأشغال ، كحفر القنوات ، وأيضًا كانوا يعملون فى التجارة ، وإرهاب الدول الأجنبية .

أما فى عهد الدولة الحديثة فقد أصبح الجيش أكثر نظامًا وخبرة ، وتدريبًا ، ويتكون من فرق أشهرها فرقة المشاة ، حيث تتكون كل فرقة مشاة من مائتى جندى ، يعملون تحت إمرة حامل لواء ، ثم تُقسَّم كل فرقة لأقسام كل قسم خمسون جنديًا . وتُسمّى أقسام الفرقة بأسماء الملوك ، والشخصيات المشهورة مثل : أمنحوتب ورمسيس ، وقد قسِّم الجيشُ لأربع فرق تحمل أسماء المعبودات مثل : رع ، آمون ، وبتاح ، وست .

أما القسم الثانى من الجيش فيتكون من راكبى العجلات الحربية ، وكان ضباطه يُعطوْنَ درجة كُتَّاب ملكيين ، أما طريقة حرب العجلات الحربية فكانت عن طريق تكوين مجموعات صغيرة العدد ، وبمساعدة من المشاة .

أما عن عناصر الجيش فيتكون من المصريين المحترفين للجندية ، والأسرى والجنود المرتزقة من النوبيين ، والبدو ، والليبيين ، والذين عملوا بالبحرية وكانوا يُسمُّونهم (شردن) .

وقد عرف المصريون فَنَّ القتال البحرى ، وكوَّنوا أساطيل لمحاربة أعدائهم وأساطيل للعمل بالتجارة ، وقد خاض المصريون معركة بحرية فى عهد رمسيس الثالث ضد شعوب البحر المتوسط ، وانتصر عليهم ، واعتبرت أول معركة بحرية فى تاريخ العالم .

٤ ـ الحياة الاقتصادية

أولاً : الزراعة :

اهتم المصريون بالزراعة ، واتخذوها حرفة عمل بها كثير منهم ، وكان السبب فى توجههم الزراعى هو خصوبة تربة مصر ، ووجود نهر النيل ، والذى يتميز بانتظام جريانه معظم أيام السنة ، بالإضافة لتنوع المناخ المصرى واعتداله والذى ساعد على تنوع المحاصيل .

وقد استطاع المصرى القديم ترويض نهر النيل عن طريق إقامة الجسور والمقاييس لقياس مياه النهر ، وعن طريق شقه القنوات والترع .

أما أشهر المحاصيل التى كان يزرعها المصرى القديم فهى مجموعة البقوليات وتتكون من (الفول ، العدس) . ومجموعة الخضروات (البصل ، الخس ، الكرات) ومجموعة الفاكهة (التين - النبق - العنب - الرمان) . ومجموعة محاصيل زيتية (السمسم والخروع) . ومجموعة الألياف (الكتان) . وبعض الزهور مثل (اللبلاب ، السوسن والحبوب والقمح ، والشعير) .

وكانت طريقة الزراعة تتم عبر مراحل ، وهى حرث الأرض بمحراث خشبى ، والغرض منه تهوية التربة ، ثم نقسم الأرض لخطوط ، ويتم وضع البذور ثم يؤتى بالماشية لكى تدوس تلك البذور بحوافرها وتدفنها فى الرمال ، وعندما يحين ميعاد الفيضان يتم تقسيم الأرض إلى أحواض تغمرها المياه ، ثم بعد انحسار المياه يحين ميعاد النبات والحصاد .

وقد نظَّم المصرى السنة الزراعية ، وقسَّمها لمواسم ، وهى موسم الفيضان ، ويبدأ من منتصف يوليو حتى منتصف أغسطس ، وموسم الزرع من منتصف أغسطس حتى منتصف يناير ، وموسم الحصاد من منتصف يناير حتى ميعاد الفيضان الجديد ، وكانت حساباتهم دقيقة جدًا وإلى الآن ما زال الفلاح المصرى يستخدم التوقيت والشهور الفرعونية ، وهى المعروفة بالقبطية مثل أمشير ، طوبة ، بشنس ، برمهات ، بؤونة . وقد ارتبط كل شهر بنوع من المحاصيل : شهر بؤونة ارتبط بالعنب ، وبرمهات بالبلح ، وأمشير بالشعير .

كما اهتم المصرى بالثروة الحيوانية ، فكان يربى الطيور فى منزله ، ويربى الأبقار والخنازير . وكانت البقرة تمثل شيئًا هامًّا فى حياة المزارع المصرى حيث تُساعده فى أعمال الحقل ، ويحصل منها على غذائه ، ولذلك قُدِّست البقرة ، وكانت تسمى حتحور لأنها ترمز للخصوبة والأمومة .

وارتبط أيضًا بالزراعة عملية صيد الأسماك ، والتى انقسمت بدورها إلى : صيد معاشى كان الغرض منه سدّ حاجة المرء الغذائية ، وصيد تجارى للتجارة ، وأهم الأسماك التى كان يصطادها المصرى هى السردين ، ويؤكل مملحًا . وكان يستخدم أدوات صيد عبارة عن الشِّص ، والشِّباك .

ثانيًا : الصناعة :

عُرِفت الصناعة فى مصر القديمة منذ العصر الحجرى القديم ، حيث تمكن الإنسان من صناعة أدواته من الحجر ، ولكن الصناعة بمفهومها الحديث ، بدأت تُعرف فى عصر استخدام المعادن ، حيث استطاع المصرى القديم أن يخلط الذهب بالفضة .

وقد كانت الفضة أغلى قيمة من الذهب نظرًا لندرتها ، وقد بلغ عدد المعادن التى كان يعرفها قدماء المصريين ، عشرة أنواع من المعادن ، وثمانين نوعًا مختلفًا من الأحجار والصخور ، وعلى الرغم من ذلك لم يستغلوا إلا تسعة معادن فقط .

وقد تعددت الصناعات المصرية القديمة ، وتميزت بالدقة فى الصنعة ، ومن أشهر الصناعات المصرية :

١ ـ صناعة الجلود :

تعتبر هذه الصناعة من أولى الصناعات التى عرفها قدماء المصريين ، وكانوا يستخدمون جلد الماعز . وأهم الصناعات الجلدية التى عرفها المصريون صناعة قِرَب المياه ، والنعال الخفيفة ، وأغطية المقاعد ، والسيور ، والحبال .

وكانت طريقة إعداد الجلود تتم كالآتى ، تستخدم المدى المصنوعة من المعادن فى سلخ الجلود ، وكانت قصيرة ، وعريضة ، ومستديرة الطرف حتى لا تخرق الجلد ، ثم يتم دبغه ، وقد وصلت من مصنوعاتهم الجلدية نوع من الجلود المخرمة تستخدم لتغطية الأثاث ، كما تُرتدى فوق الملابس العادية للتدفئة .

٢ ـ صناعة السِّلال :

هى صناعة أقدم من صناعة الفخار ، وقد كانت السلال تُصنع ولها أغطية شكلها مخروطى ، وقد كانت السِّلال كبيرة ومرنة فى عصر الأسرة الأولى ، ثم طُورت وأصبحت صلبة لحفظ المحاصيل الزراعية . أما المادة الخام التى تُستخدم فى صناعة السلال فهى سعف النخيل ، كما كانت بعض الأوعية والأوانى تصنع من نبات البردى وتقوى جوانبها بالبوص ، والغاب .

وتدخل ضمن صناعة السلال ، صناعة الحُصْر ، وهى صناعة معروفة منذ عصر ما قبل التاريخ ، وكانت تُستخدم للفرش فوق أرض الغرف ، ثم أصبحت تُزيَّن بها الجدران ، كما كانوا يصنعون أيضًا المراوح لاستخدامها فى التهوية ، ولمساعدة النيران على الاشتعال .

٣ ـ صناعة قائمة على ورق البردى :

نبات البردى هو نبات ينمو فى أحراش الدلتا ، وقد استخدمه المصريون فى صناعات متعددة بعد تجهيزه ليكون صالحًا للاستخدام ، ومن أشهر الصناعات القائمة عليه هى صناعة الورق ، والتى كانت تتبع خطوات معينة لصناعته ، حيث توضع طبقات من سيقان البردى الداخلية ، بعد أن يتم نزع قشورها الخارجية ، فوق بعضها البعض ، ويكون بينهما سائل رغوى ، ثم تضغط وتجفف .

وهناك طريقة أخرى سهلة التجريب وهى الإتيان بسيقان البردى ، وهى خضراء ثم تُزال القشرة ، ثم تقطع شرائح وتوضع على لوح خشب ، ثم توضع الشرائح بجوار بعضها البعض متوازية ، ثم توضع عليها شرائح بزوايا قائمة ، وتُطرق بمطرقة خشب لمدة ساعتين ثم تكبس .

واستخدم البردى أيضًا فى صناعة غرف صغيرة فوق السفن تسمى الحكر (الزينة) ، كما كان يستخدم فى صناعة الحصر ، والسلال ، والغرابيل التى كانت تستخدم فى تنقية الغلال .

٤ ـ الصناعات الخشبية :

مصر خالية من الغابات التى تنمو بها الأشجار الصالحة للصناعات الخشبية ، وقد تغلَّب المصرى القديم على هذه المشكلة عن طريق استيراد الأخشاب من بلاد فينيقيا (سورية) ، أو بلاد بونت (الصومال) . وعن طريق آخر وهو زراعة بعض الأشجار لمدد تتراوح ما بين عشر سنين ، أو عشرين سنة ، ثم تُقطَّع وتقسَّم إلى مكعبات ، يتم صناعة بعض قطع الأثاث منها .

وكانت الأدوات التى يستخدمها النجار عبارة عن مطارق صغيرة ، وسكاكين كبيرة وعريضة ، ومناشير ذات أسنان منتظمة منذ عصر الأسرة الرابعة ، ثم استخدم مطارق مصنوعة من النحاس كبيرة الحجم .

ومن أشهر الصناعات الخشبية التى وصلتنا منذ عهد الفراعنة صناعة المقاعد والأسِرَّة ، وصناعة المقاصير ، وهى عبارة عن ألواح خشبية طولها يتراوح بين ثمانية

عشر وعشرين قدمًا ، وعرضها عشر بوصات . وتُصَفّ هذه الألواح متجاورة فى وضع رأسى بعضها فوق بعض ، وتُثبَّت بأوتاد خشب توضع فى ثقوب رأسية ، حتى لا تجعل الألواح تنكمش عند ترك ثغرات فى الجدران ، وبذلك لا تتأثر ببرودة الهواء ، ولا الرطوبة .

٥ ـ صناعة الفخار :

فى عهد الأسرة الأولى بدأ يدخل فى صناعة الفخار العجلة التى يديرها بيده اليسرى ، ويُشكل الآنية بيده اليمنى ، ثم يقوم بنزعها وبصقل قاعدتها ، أما قبل ذلك فكانت تُلف فى حجرة ويتم تشكيلها ، وفى عهد الأسرة الثانية عشر ، كان الفخارى يصنع الجرار الكبرى أنصافًا منفصلة ، ثم يلصقها بعد ذلك .

٦ ـ صناعة المعادن :

كان المصرى يستخدم المعادن فى صناعة الحلى من الذهب والفضة ، كما كان يُستخدم المعدنان فى تجميل الأوانى الحجرية حيث كان يكسو حوافّها ، ومقابضها من الذهب ، وتُصنع أغطيتها من الفضة .

كما عرف المصرى استخدام النحاس منذ عصر ما قبل التاريخ ولكن زاد ، وانتشر فى عهد عصر الأُسْرات ، وكان يتم خَلْطه بمعادن أخرى لجعله أشدَّ صلابة وقوة وأخفَّ فى الوزن ، وكان يُخلط بمعادن مثل المنجنيز ، والقصدير .

أما عن الحديد فقد كان نادرًا مثل الذهب ، وقد استخدمه المصريون منذ ما قبل التاريخ ، حيث كانوا يصنعون منه حبَّات على هيئة عقود ، وفى عهد الأُسْرة التاسعة عشر زاد استعمال الحديد .

وكانت طريقة صَهْر المعادن تتم بوضع المعادن فى قوالب مفتوحة ، أو تحول بالطَّرْق إلى صفائح رقيقة ، وقد استُخدمت هذه الطريقة فى صناعة الأوانى النحاسية الرقيقة ، وكانت الرقائق النحاسية تُستخدم فى كساء التماثيل المصنوعة من الخشب عن طريق تثبيتها بمسامير مصنوعة من النحاس ، كما كانوا يصنعون من النحاس أسلاكًا وسلاسل نحاسية ، وقد استطاع المصريون أيضًا لحام المعادن بنفس مادتها .

٧ ـ صناعة الغزل والنسيج :

صناعة قديمة أيضًا عرفها قدماء المصريين ، وكانت تعتمد على الكتان كمادة خام فى المقام الأول ، وكانت عملية الغزل تؤدى باليد عن طريق مغزل شكله مخروطى يتم لف الخيوط عليه ، ثم تتم عملية النسيج باستخدام أنوال توضع فيها الخيوط بشكل أفقى ورأسى ، ويتم الدقّ عليها بمطرقة خشبية . أما النول نفسه فكان عبارة عن أربعة عوارض خشبية – أشبه بمرمى الكرة الآن – وقد تميَّز الغزل المصرى بأنه ذو أشكال دقيقة ، وبديعة .

أما عن فن الصباغة ، فقد عُرفت الصباغة فى عهد الأسرة الثانية عشر ، وكان المصريون يثبتون ألوان الزخارف عن طريق استعمال الشب ، أما عن مواد التلوين المستخدمة فهى اللون الأحمر ويُركَّب من مخلوط الهماتيت (أكسيد الحديد) والمغرة الصفراء . واللون الأصفر يصنع من المغرة .

اللون الأخضر كان يصنع من الملاخيت (التوتية) ، وكان يُستخدم فى صناعة الكحل أيضًا ، ثم استعمل بدلاً منه سلسلات الجير الخضراء ، واللون الأزرق وكان يستخدم فى صناعته كربونات النحاس الزرقاء . واللون البُنى ويصنع من المغرة . واللون الأسود ويُصنع من السِّناج (بقايا الرماد) . والرمادى ويُصنع من خلط اللونين الأبيض والأسود .. أما اللون الأخير وهو الأبيض فكان يُصنع من سلفات الجير .

٨ ـ صناعة نحت الأحجار :

كانت الأحجار تُستخدم غالبًا فى بناء المقابر ، والمعابد . وأوجه استخدامها كان فى تبليط أرضية المقابر ، وصناعة أبواب المقابر ، ثم أصبحت تستخدم فى كل المبانى .

وكانت طريقة نحت الحجر تتم باستخدام مناشير مزودة بأحجار كريمة ، كما تستخدم مثاقب مصنوعة من أنابيب النحاس وتُدار باليدين ، وكانت تستخدم فى قطع الجرانيت وتسويته . أما عن طريقة صناعة التماثيل فهى تتم عن طريق تحديد التمثال على قطعة من الصخر ، ثم تستخدم المناشير فى تسويتها وتشكيلها ، ثم يستخدم المثقاب فى عمل التجاويف العميقة ، وتُزال النتوءات بالمطارق .

وبالنسبة للمنازل فقد استخدم الطوب اللبن فى صناعتها ، وكان المصريون يقومون بحفر الأرض حفرًا عميقة ، يتم وضع الطين فيها ، ويضاف عليه بعض الرمل لوقايته من التشقق عندما يجف ، ويُخلط بالتبن ليصبح متماسكًا . ثم يؤخذ ويُعبأ فى قوالب خشبية ذات مقابض ، ويُسوى بسطح اليد . ثم يُجفَّف فى الشمس لمدة يومين أو ثلاثة أيام ، أما الملاط الذى يستخدم فى البناء فهو الطمى المخلوط بقطع الفخار الصغيرة .

والسبب الذى دعا المصريين إلى استخدام الطوب اللبن فى صناعة وبناء المنازل هو رخص المواد الخام ، وتوافرها والتى يوفرها طمى النيل ، بالإضافة إلى أن مناخ مصر يحتاج لهذا الطوب لأنه يمتص درجة الحرارة فيجعل المكان رطبًا فى الصيف .

وثالث هذه الأسباب أن المنازل فى نظر المصرى القديم كانت تعتبر بمثابة دار مؤقتة للحياة ، والدار الباقية هى المقبرة ، ولذلك نجد أن معظم المقابر نُحتت فى الصخور ، أو بُنيت من الحجارة .

ثالثًا : التجارة :

كان نتيجة تنوع الإنتاج الزراعى والصناعى فى مصر ، ووفرته أثر كبير فى تنمية وزيادة التجارة بنوعيها فى مصر سواء التجارة الداخلية والتجارة الخارجية ، ومما ترتب على هذا الازدهار التجارى يتضح لنا من خلال علاقات مصر القوية مع العالم المحيط بها فى هذا الزمان .

وأول شىء يجب معرفته عند الحديث عن التجارة هو التعرف على وحدة التعامل التى كانت تتم فى العمليات التجارية ، وكان نظام التعامل عند قدماء المصريين يتم عن طريق المقايضة ، وهى مبادلة سلعة سلعة . وكان معيار المقايضة يراعى جنس الشىء المراد مقايضته . فمثلاً مبادلة الخبز بالجعة (البيرة) تكون على مقدار الحنطة أو الشعير الذى فى كل منهما .

فقد استمرت المقايضة فى مصر إلى عهد الدولة الرومانية ، وكان السبب الذى يجعلهم يلجأون للمقايضة ، على الرغم من ظهور العملة فى العهد البطلمى هو أن

العملة غالبًا ما يعتريها التزييف على عكس مقايضة السلع ، حيث فرصة التزييف تكون منعدمة .

أما عن الموازين والمقاييس ، التى كانت تستخدم فى مصر القديمة فهى الإصبع ، وكان كل عشرين إصبعًا يساوى ٦ , ١٤ بوصة . كما استخدم الذراع فى المبانى وهو يساوى ٦ , ٢٠ بوصة . أما عن طريقة قياس الطرق فقد كان يستخدم الملاحة النهرية ورحلتها فى تقدير الطريق وتبلغ عشرين ألف ذراع . أما وحدة الطرق البرية فهى السيخيتوس وطوله ثنتا عشر ذراع . أما عن وحدة الوزن فهى النوب ويزن بمقدار ٢١٠ حبة .

أما عن العملة بمفهومها الحديث فلم تُعرف إلا فى العصر البطلمى ، وكانت تُصنع من الذهب والفضة والنحاس ، ولكنها كانت تتعرض للتزييف ، وقد هبطت قيمتها فى أواخر العصر الرومانى ، كما تحدثنا من قبل ، ومن ثَمَّ الرجوع إلى طريقة المقايضة مرة ثانية .

وقد كان من نتيجة رسوخ مبادىء التجارة وأعرافها عند المصريين وتنوع الإنتاج بنوعيه الزراعى والصناعى ازدهار التجارة الداخلية والخارجية ، وكان من أبرز مظاهر هذا الازدهار هو ازدياد علاقة مصر بجيرانها ، ونشر الحضارة المصرية خارج حدود مصر .

ونحاول التحدث عن أنواع التجارة ومظاهر تطورها :

١ ـ التجارة الخارجية :

عمل المصريون بجد واجتهاد فى سبيل تنمية التجارة الخارجية ، فمن المعلوم أن التجارة تزدهر إذا وجدت وسيلة مواصلات جيدة تساعد على سرعة نقل البضائع . ولذلك قام المصريون فى عهد سنوسرت الثالث بحفر قناة تربط النيل بالبحر الأحمر والمعروفة باسم قناة (سيزوستريس) .

كما حُفرت قناة أخرى من الشلال الأول حتى البحر الأحمر ، لتنشيط التجارة مع إفريقيا ، وقد ترتب على إنشاء هذه القنوات ظهور تجمعات عمرانية مثل ميناء

عيذاب ، لتسهيل القضاء على قبائل البدو وتأديبهم ، وانتشار الحضارة المصرية فى بلاد بونت .

وكانت أهم السلع التى تصدرها مصر الحبوب والغلال والمنسوجات من الكتان ، أما السلع المستوردة فكانت عبارة عن الأخشاب من فينيقيا ، والبخور من بلاد بونت . وكانت التجارة مع بلاد بونت تستخدم أسلوب التجارة الصامتة . وكانت هذه الطريقة عبارة عن وضع السلع المراد بيعها أمام الشاطئ ، ثم يعودون للسفن . وعندما يأتى المشترون يقومون بوضع قيمة البضاعة المشتراة ، فإذا اتفق الطرفان على السعر يأخذ كلٌّ واحد سلعته ، وإذا اختُلِف على السعر يترك صاحب البضاعة الثمن المختلف عليه ، فيزيد الشارى الثمن حتى يقبله صاحب البضاعة .

وبالنسبة للتجارة الداخلية ، فقد كان يُخصص لكل مكان سوق فى يوم معين من الأسبوع ، ويقوم الباعة بعرض بضائعهم . وكانت عبارة عن الغلال والمنتجات الحيوانية والملابس . أما وحدة التعامل فهى المقايضة على السلع ، وقد كان لهذه الأسواق أثر حضارى كبير ، حيث ساعدت على تعرُّف المصريين على بعضهم البعض .

وقد ساعد على رواج هذه الأسواق وجود نهر النيل الذى يسَّر سبل الاتصال بين الشمال والجنوب بالإضافة لكثرة المنتجات المعروضة .

٥ ـ الحياة الفكرية

أولاً : العمارة :

العمارة خير شاهد على مدى ما وصلتْ إليه الحضارة المصرية من رقى وإبداع شدّ أنظار العالم إلى مبتكرات قدماء المصريين ، فحب المصرى لحياة الخلود جعله يهتم بإنشاء هذه الصروح ، التى صمدت للدهر عبر آلاف السنين . وقد كان من أبرز الإنجازات المعمارية فى عهد قدماء المصريين : الأهرامات ، المعابد ، المقابر .

١ ـ الأهرامات :

فلسفة الأهرامات عند قدماء المصريين ، ليست مجرد أماكن للدفن فقط ، وإنما كانت رمزًا لأشياء كثيرة . فأول هرم بُنى مثلاً ، وهو هرم زوسر المدرج كانت فلسفة بنائه تدور حول فكرة السمو والرفعة عن الآخرين ، حيث إن رفات الملك لابدَّ أن يكون فى مكان أسْمى من مثيلاته . أما الهرم الأكبر ففلسفته هى الاحتواء والإشراف على كل أنحاء مصر . هذه هى الأهرام من الناحية الفلسفية ، أما من الناحية المعمارية البحتة فهناك طرز للأهرامات منها :

(أ) هرم زوسر المدرج :

يقع هذا الهرم فى منطقة سقارة ، وهو مبنى مكوَّن من ست مصاطب ، ارتفاع كل مصطبة عشرة أمتار ، فيكون المجمع ستين مترًا . أى : ما يعادل عمارة مكونة من عشرين طابقًا ، وقد كان هذا الهرم مغطى بطبقة من الجرانيت الأخضر والتى سقطت بفعل عوامل التعرية الهوائية .

(ب) أهرامات الجيزة :

تُعتبر أهرامات الجيزة هى قمة ما وصل إليه المصرى فى فن البناء ، وأشهرها هرم خوفو والذى بُنى على هضبة مرتفعة لكى تكون قريبة من عين شمس مقر عبادة رع ، كما كان من أسباب اختيار هذه الهضبة هو وجود محاجر كانت تؤخذ منها الأحجار اللازمة للبنيان .

وقد بنى هذا الهرم الملك خنوم خوفنى (خوفو) . وطول قاعدة الهرم ٥ , ٢٢٧ مترًا . وارتفاعه ١٣٧ مترًا . أما عدد الأحجار التى استُخدمت فى بنائه فكانت مليونين وثلاثمائة ألف حجر . وزن كل حجر يبلغ ٥ , ٢ طن . ويبلغ وزن الهرم ستة ملايين طن .

وقد كان ملحقًا بالهرم غرف للدفن ، وبه بابان فى الجهة البحرية يؤديان لغرفة الدفن ، كما كان ملحقًا بجواره معبدان وهما المعبد الجنائزى ، ومعبد الوادى ، وقد بُنى الهرم بأيدٍ مصرية خالصة . وكان ميعاد البناء دائمًا فى فترة الفيضان حيث كانت

تتوقف عملية الزراعة ، وكان يُستخدم فى رفع الأحجار الثقيلة بَكَر مصنوع من الخشب أشبه بالونش حاليًا ، كما كانت طريقة البناء تعتمد على تفريغ الهواء بين الأحجار حتى تلتصق .

وكان للهرم فوائد كثيرة غير الدفن ، فهو بمثابة دليل للقادمين إلى مصر عبر الصحراء ، كما كان يُستخدم كتحذير فى حالة الغزو الأجنبى ، ويُستخدم كمنارات للسفن فى حالة الفيضان ، حيث كانت مياه النيل تصل حتى هضبة الأهرامات ، وتبقى لنا أن نذكر أن الهرم كان محاطًا بسور كبير يُسمى الوصيد .

٢ ـ المعابد :

كانت المعابد تتكون من عدة عناصر ، وهى قدس الأقداس ، ويتألف من مبنى مربع الشكل صغير المساحة ، وله سقف خاص ، به تابوت من الجرانيت كان يحتفظ به تمثال المعبود الخاص بهم ، ويحفظ فيه أيضًا القارب الذى يُستخدم لنقل التمثال فى الأعياد ، ويتكون المعبد أيضًا من حجرات صغيرة مخصصة لعبادة الآلهة المحلية . وحجرات تُستخدم لتخزين الملابس ، وأدوات الطقوس ، كما كان يُزوَّد بأعمدة مسقوفة ، ويشمل المعبد أيضًا بحيرة مقدسة ، وبئرًا ، ومساكن لموظفى المعبد ، ومخازن للحبوب ، ويُحاط المعبد بسور كبير ، وقد انقسمت المعابد فى مصر إلى نوعين وهما :

(أ) المعابد الجنائزية :

كانت تخصص هذه المعابد لإقامة الطقوس على روح الملك الميت ، ضمانًا لحياة أخروية سعيدة له ، ومن أشهر المعابد الجنائزية معبد حتشبسوت بالدير البحرى ، غرب مدينة الأقصر . ومعبد الرامسيوم ، ومعبد هابو .

(ب) معابد الآلهة :

كانت تخصص لإقامة الطقوس العادية فى المناسبات والأعياد ، ويُسمح لعامة الشعب بزيارتها ، وتقديم القرابين . ومن أشهرها معبد الكرنك ، والذى يكاد أن يكون اشترك فى بنائه معظم الملوك المصريين ، فرمسيس بنى بهو الأعمدة ، وتحتمس بنى قاعة الأعياد ، وحتشبسوت أتحفت المعبد بمسلة .

٣ ـ المقابر :

تعتبر المقابر بالنسبة للمصريين القدماء ، هى دار الخلود ، والتى لابدّ أن تُبنى من الأحجار ، حتى تصمد للزمان ، وكان من الممكن أنْ نجد المقابر محفورة فى الصخور (وادى الملوك ، والملكات) غرب الأقصر ، وغالب مقابر الملوك عبارة عن حجرات يُحتفظ فيها بكنوز الملك المتوفى ، وتزدان بالأعمدة ، والسقف المنقوش برسوم كما ينقش على الجدران مناظر ، توضح صورة الحياة اليومية .

وفى منتصف المقبرة يوجد تابوت الملك (الناموس)، أما المقابر المختصة بعامة الشعب فهى عبارة عن حفرة عميقة مبنى جوانبها بالطوب اللبن ، وتغلف بغطاء حجرى ، ويدفن الميت فيها بوضع القرفصاء ، مع لف جسده فى حصير أو جلد .

٤ ـ المسلات :

هى عبارة عن عمود من الحجر ، لها رأس على هيئة هرم صغير ، وكانت تُنحت من أحجار الجرانيت الأحمر ، والذى يُستخرج من أسوان ، وكانت تسجل عليها أعمال الملك الذى أقامها ، وقد انتشرت المسلات أكثر فى عهد الدولة الحديثة .

ثانيًا : النحت :

كان المصريون يصنعون تماثيلهم ، من مواد خام عديدة مثل حجر الجرانيت ، الأخشاب ، وكما تعددت المادة الخام ، تعددت موضوعات النحت فهناك نحت تماثيل تمثل الملوك ، وتماثيل تمثل معبوداتهم ، كما وُجدت نقوش تمثل مظاهر الحياة اليومية .

وتتميز المنحوتات المصرية بعدة ميزات ، فالتماثيل تتميز بأنها مصممة أن لا تمثل كل تفصيلات الجسد البشرى ، كما كانت تبالغ فى إظهار الصفات ، أما المنقوشات على المقابر والمعابد فقد تميزت بالدقة فى تصوير مظاهر الحياة . وكان هناك نوعان من النقوش ، وهما النقش البارز ، وهى حفر خلفيات المناظر ، حتى يصبح النقش بارزًا فوق الخلفية . والنقش الغائر ، ويختلف عن النقش البارز ، حيث كان تُزيَّن به حوائط المبنى الخارجية .

ثالثًا : العلوم :

١ ـ الطب :

كان قدماء المصريين يعتقدون أن المرض الذى لا ينشأ عن حدث ظاهرى يمكن استخدام السحر فى علاجه ، أما الأمراض الأخرى ، فقد عرف المصريون علاجها وأوجدوا أنواعًا من العلاج لمعظم الحالات مثل طب العيون ، وطب الأسنان وغيرهما . كما كانوا يقومون بكتابة الوصفات لعلاج كثير من الأمراض ، وقد كانوا يستخدمون عقارًا مصنوعًا من كبد الحيوان ، لعلاج العشى الليلى ، ومعظم أمراض العيون .

٢ ـ التحنيط :

من الأسرار التى حيَّرتْ عقول البشرية ، هى عادة تحنيط الموتى عند قدماء المصريين ، حيث برعوا فى هذا العلم ، ودافعهم إلى ذلك هو إيمانهم بحياة البعث والخلود ، وأن الجثث لابد أنْ يُحتفظ بها سليمة ، حتى تتعرف عليها (الكا) عند انبعاث الميت .

وكانت تتم طريقة التحنيط بالآتى ، ينزع مخ الميت عن طريق الأنف بخطاف ، ثم يُشقّ جانب الميت ، وتخرج أحشاؤه ، ثم يصب زيت النخيل والمساحيق العطرية فى بطنه ، مع استخدام المر المطحون ، ثم تنقع الجثة فى محلول ملح النطرون ، لكى يتم امتصاص المياه ، ثم تُلفّ الجثة بأشرطة من الشاش وتلصق بالصمغ .

ويبدأ بلف الأصابع أولاً . ثم بقية الجسم وتُطلى بالصمغ لكى تلتصق الأربطة ، كما يتم وضع التمائم بين الأربطة ، وكانت هذه التمائم عبارة عن عيون حجرية توضع على الجفون ، وأغطية ذهب للأصابع .

وكان التحنيط ينقسم حسب تكاليفه إلى تحنيط (أوزوريس) وهو أغلى الأنواع ثم تحنيط بدون تكاليف عالية (متوسط) وتحنيط رخيص ، وكان المحنِّطون يُسمون أنفسهم (محنطو أنوبيس) والكهنة المرتلين .

٣ ـ الكيمياء :

ارتبطت الكيمياء عند المصريين ، بعلم السحر . ولذلك سُميت كيمياء ، لأن أصل الكلمة هى (كيميت) ، ومعناها الأرض السوداء ، وهو الوصف الذى كانت تسمّى به مصر ، بسبب فيضان نهر النيل ، والذى يحيل الأرض إلى اللون الأسود .

وقد استخدم المصريون ، الكيمياء فى صنع الأصباغ ، وتجهيز مواد التحنيط ، وأيضًا فى تثبيت الألوان ، واستخدموها أيضًا فى صناعة المعادن .

٤ ـ الفَلَك :

أول مَنْ عمل بالفلك هم كهنة هليوبوليس (عين شمس) ، والسبب الداعى لذلك هو عبادتهم للشمس (رع) ، جعلتهم يهتمون بهذا العلم ، وقد كانت أبرز إنجازاتهم الفلكية معرفة الكثير من النجوم ، كما توصلوا لوضع تقويم سنوى ، وقسَّموا السنة إلى شهور ، وأيام .

٥ ـ العلوم الرياضية :

عرف المصريون ، أنواع العلوم الرياضية مثل علم الحساب ، والذى كان الداعى لمعرفته هو رغبتهم فى تقدير الضرائب ، ورغبتهم فى معرفة مقاييس النيل ، وقد توصل المصريون لمعرفة الأعداد ، ومعرفة القيمة المكانية للعدد ، وأيضًا عمليات الجمع ، والضرب ، والطرح ، والقسمة .

كما برعوا فى علم الهندسة . وأبرز إنجازاتهم فيها هى معرفة قياس مساحة الدائرة ، كما عرفوا مساحة المستطيل ، وعرفوا مساحة المثلث المتحد مع المستطيل ، وتوصَّلوا لمعرفة مساحة شبه المنحرف .

٦ ـ الحياة الاجتماعية

تركت لنا النقوش الفرعونية ، سواء التى على جدران المقابر أو المعابد سجلاً حيًّا لحياة المصريين الاجتماعية ، مما ترك مجالاً واسعًا للبحث فى مناحى الحياة الاجتماعية فى مصر .. ومن أهم هذه المناحى :

١ ـ المنازل :

المنازل فى مصر الفرعونية ، كانت تُعتبر بمثابة بيوت مؤقتة للحياة الدنيا ، ولذلك لم يُعتن ببنيانها ، على عكس المقابر ، فقد كانت المنازل تبنى من الطوب اللبن ، ولذلك لم تصمد طويلاً أمام الزمن ، كما كانت تُصنع من أعواد البوص (الأكواخ) والخشب ، وقد كانت تُهدم ، ثم يُعاد بناؤها ثانية فى فترة الفيضان ، وبعد انتهائه .

وتصميم المنزل الفرعونى بسيط ، وهو عبارة عن دور أرضى بالنسبة للفقراء مكوَّن من حجرة ، أو حجرتين ، ثم صوامع لتخزين الغلال ، وفناء واسع . أما بيوت الأغنياء فتتكوَّن من طابقين على الأكثر ، ومزودة بشرفة شمالية لاستقبال نسمات الهواء الباردة (رياح مصر معظمها شمالية) ويتكون الدور الأرضى من مخازن . كما يُحاط بحديقة من أشجار النخيل ، وأشجار الجميز .

أما البيت فينقسم إلى قسم عام ، وقسم خاص . فالقسم العام به قاعة استقبال ذات أعمدة ، مزودة بمقاعد للجلوس . والقسم الخاص عبارة عن حجرات مُخصَّصة للنساء ، وتكون غالبًا فى الدور فوق الأرضى ، أما بقية ملحقات البيت من مطبخ ، وحجرات الخدم ، والمخازن والحظائر ، فكانت فى الحديقة .

٢ ـ الأثاث :

كان الأثاث المصرى القديم يتكوَّن من أسِرَّة تُستخدم للنوم ، ويتكون من مناضد صغيرة ، ومقاعد ، وصناديق لحفظ الملابس ، والمجوهرات والأطباق . أما أثاث المطبخ فيتكون من أفران من الطين - كانت تستخدم فى الريف المصرى ، لفترة قريبة - وجِرَار لحفظ النبيذ، والزيت، كما توجد مجموعة من الجرار لحفظ الماء البارد.

٣ ـ الأوانى :

استخدم الإنسان المصرى القديم ، العديد من الأوانى والتى يمكن إجمالها فى الأطباق الكبيرة ، وقوارير الجعة (البيرة) والكؤوس ، والأباريق ، وزجاجات حفظ الكحل ، وكانت معظم هذه الآنية تُصنع من الفخار ، أما أوانى المعبد فكانت تصنع من المرمر ، أو الخزف . وكان يوجد منها نوع يُصدَّر للخارج .

طبقات المجتمع فى مصر القديمة :

كان المجتمع المصرى مجتمعًا طبقيًا يتركب من طبقة عليا ، يأتى على رأسها فرعون ، وحكام الأقاليم ، والوزير . وطبقة دنيا مكوّنة من عامة الشعب من العمال ، والفلاحين . وقد حدثت تغيرات فى التركيبة الطبقية للمجتمع المصرى فى عهد الدولة الوسطى . حيث ظهرتْ الطبقة الوسطى والتى تكوَّنت من طائفة الموظفين والكتبة ، والذين كانوا بدورهم يورثون حرفهم ووظائفهم لأولادهم من بعدهم .

وسائل الترفيه والتسلية :

تعددت وسائل الترفيه والتسلية فى مصر الفرعونية ، فقد كانوا يمارسون الرياضة ، ويستمعون للموسيقى ، ويقومون بالرقص ، كما أن الأطفال أيضًا كان لهم نصيب فى التسلية والترفيه ، وسنعرض لكل نوع من هذه الأنواع :

١ ـ الألعاب الرياضية :

عرف المصرى الرياضة ومارسها ، فقد مارس لعبة التحطيب ، ولعبة المصارعة. ولعبة الجمباز . ومارس رياضة مشهورة وهى رياضة شَدِّ الحبل . ومعظم هذه الرياضات مازالت تمارس حتى الآن ، وقد كانت مباريات المصارعة تشهد مشاركة الأجانب الموجودين فى مصر لهذه اللعبة مع المصريين .

٢ ـ الأغانى والموسيقى :

عرف المصريون من الأغانى نوعين ، وهما الغناء الفردى (الصولو) والغناء الجماعى (الكورس) . وكانت الأغانى فى مصر القديمة على نوعين : وهى غناء دينى، ويشمل ترانيم ، وغناء عام يشمل كل الفنون مثل غناء الحب والغزل ، والحماسة . وكان يصحب الغناء عادة التصفيق بالأيدى ، والتى تُستخدم لضبط الإيقاع ، وأفضل أنواع الغناء هو غناء العمل أثناء تأدية عملهم . ومازالت أغنية (هيلا – هوب) والتى تُقال حتى الآن فى حالة العمل مشهورة ومعناها (هيا إلى العمل) .

أما عن فن الموسيقى فقد ارتبط بالغناء ، وعرف المصريون آلات موسيقية مثل : القيثارة ، الربابة ، والمزمار ، وآلات الإيقاع مثل الطبول ، وهناك نقش يمثل عازف

القيثارة وهو يعزف ، وكانت الحفلات الموسيقية تقام فى قصور الأغنياء وفى مواكب الأعياد .

٣ ـ لعب الأطفال :

وبالنسبة لألعاب الأطفال ، عرف المصريون لعبة النحلة الدوارة ، الشخاشيخ . وتماثيل لأنواع من الحيوانات مثل التمساح . كما عرفوا لعبة الشطرنج ، كما عرفوا ألعابًا مثل القفز ، والجمباز . كما كانت الفتيات يلعبن الكرة فى المنازل .

وهناك لعبة الأكر ، وهى قطعة من الحديد تتقاذفها الأيدى ، ومن المفروض ألاَّ تسقط على الأرض ، وقد كانت هناك لعب مشتركة بين الصغار والكبار مثل لعبة السيجة وهى تقسيم الأرض إلى مربعات ، تتكوَّن غالبًا من ستة أو تسعة مربعات ، ومن المفترض أن يتمكن الفرد من تحريك النرد ، حتى يقفل تلك المربعات .

٤ ـ الأعياد :

معظم أيام السنة فى مصر ، كانت عبارة عن أعياد ، وانقسمت الأعياد إلى أعياد تقويمية مثل عيد رأس السنة ، وأعياد الربيع (عيد شمو) والمعروف الآن بعيد شم النسيم . كما كانت هناك أعياد ترتبط بالزراعة (عيد الحصاد) وعيد الفيضان (وفاء النيل) . كما كانت هناك أعياد ترتبط بالحكم مثل عيد جلوس الملك ، وعيد فرعون . وهذه أعياد تكاد تكون أعيادًا نمطية نجد لها مثيلاً فى معظم بلاد العالم .

أما الأعياد الخاصة ، والتى اختصت بها مصر فهى عيد الموتى وتذهب فيه الأسرة للمقابر ، وتأخذ معها طعامًا لإطعام الموتى ، كما كانت هناك أعياد سنوية لتكريم معبوداتهم مثل عيد الوادى ، عيد أوبت .

الأسرة عند الفراعنة :

كان المصرى القديم يُقدِّس الحياة الأسرية ، ويهتم بتربية أولاده ويتولى الإنفاق عليهم ، كما كانت الحياة الزوجية عند الفراعنة مشاركة بين الرجل والمرأة ، والمصرى دائمًا كان لا يحب تعدد الزوجات ، وإنما يحتفظ بزوجة واحدة ، على الرغم من أن

القوانين لم تكن تمانع فى ذلك ، بل ظلت هذه العادة وقْفًا على المصريين ، وتدل على مدى احترام الزوج لزوجته .

أما عن مركز المرأة فى مصر الفرعونية ، فقد تبوأتْ مركزًا كبيرًا ، حتى أنهم كانوا يُصوِّرون المرأة غالبًا على المعابد فى صورة شابة ، وثياب محتشمة ، كما أعطى المصرى للمرأة كافة الحقوق ، واعتبرها بمثابة شريك ، لدرجة أن معظم ملوك الفراعنة نجدهم فى النقوش إما بجوار زوجاتهم ، أو أمهاتهم ، وفى عصر الدولة الوسطى كان الرجال يُنسبون إلى أمهاتهم .

وقد عملت المرأة المصرية فى كافة المجالات ، فوجد منهن كاهنات فى المعابد ، وموسيقيات ، وصانعات للنسيج ، كما صعد نجم المرأة المصرية القديمة ووصلت للحكم (حتشبسوت ، كليوباترا ، نفرتيتى) كما أعطى المصرى للمرأة حق الإشراف على الأسرة .

الملابس والزينة :

ترتبط الملابس دائمًا بالطبقات الاجتماعية ، والوضع الاجتماعى للإنسان ، ولذلك سنجد أن الملابس قد تنوعت فى مصر القديمة بسبب تنوع الطبقات والتفاوت بين أفراد المجتمع .

كانت معظم الملابس المصرية ، تُصنع من الكتان ، بينما الجلد كان نادرًا والصوف محرمًا ، كما كان يُصبغ الكتان بألوان مثل النيلة (الزرقاء) ، وكانت معظم الملابس يتم صباغتها باللون الأبيض ، وهو اللون المحبَّب لدى المصريين .

وكانت ملابس فرعون ، يغلب عليها الزخرفة ، وتُصنع من الكتان الناعم ، المنسوج بعناية ، ويرتدى غطاء رأس مثلث الشكل ، يُسمَّى (ممس) . أما ملابس الكهنة فقد كانت تُصنع من جلود النمور ، وملابس الطبقات الشعبية تُصنع من الكتان الخشن .

وكان المصرى يرتدى فى رجليه نعلاً مصنوعًا من سيور جلدية ، تُشد إلى قدمه ، وكانت ألوان النعال تختلف حسب المركز ، والوظيفة الاجتماعية ، فنعال رجال الدين يكون لونها أبيض ، أما الملوك فكان شكل النعل مستدير القائمة إلى الخلف .

كما كانت المرأة المصرية القديمة ، تستخدم الحلى مثل العقود ، والأساور ، وتُصنع الحلى إما من الزجاج للطبقات الفقيرة ، أو من المعادن الغالية ، فالفضة والذهب بالنسبة للأغنياء ، وكانت الفضة أغلى قيمة من الذهب نظرًا لندرتها .

وبالنسبة للزينة ، فقد استخدمت أدوات للزينة مثل المرآة ، وكانت عبارة عن أقراص فولاذية أو نحاسية أو فضية مصقولة جيدًا ، وتشكل على هيئة أشكال مثل صورة امرأة جميلة ، أو عمود صغير ، كما كانت من ضمن أدوات الزينة مراود الكحل ، وهى قوارير يُحتفظ فيها بكحل لتزيين العينين .

وقد كان الاهتمام بزينة الشعر يأخذ اهتمام الرجل والمرأة ، فقد صُنعت محاليل لعلاج الصلع ، وجلدة الرأس ، كما كان معظم الرجال والنساء يرتدون الشعر المستعار (الباروكة) ، والتى تُصنع من الشعر الحقيقى ، وأحيانًا يخلطونه بالألياف ، كما كان الشعر المستعار يُصفَّف بعناية ، ويُدفن مع صاحبه فى المقبرة .

وكان الرجال فى أحيان كثيرة يُفضِّلون حلق شعورهم كلية ، والسبب فى ذلك أنهم يعتقدون أن الشمس تقويها ، ولذلك كانت تعرف جماجم المصريين من جماجم الفرس أثناء الغزو الفارسى لمصر فى عصر قمبيز من قوة الجمجمة ، فالجمجمة المصرية أشدّ صلابة ، بينما الفارسية هشة .

وكانت طريقة تصفيف شعر المرأة يتم كالآتى ، يُصفف فى عدد من الجدائل الصغيرة أو إلى عدد من الخصلات ، تسترسل على أكتافهن ، وقد اختلفت التسريحات طبقًا للعصور ، فالدولة القديمة كان يميل إلى الشعر القصير ، أما فى الدولة الحديثة فاهتموا بالشعر الطويل ، المزدان بالأشرطة ، ويصبون عليه الزيوت المعطرة .

وبالنسبة لشعر الكهنة والأطفال ، فقد كان الكهنة يحلقون رؤوسهم تمامًا ، أما الأطفال فتحلق رؤوسهم عدا جديلة تتدلى بجانب الأذن اليمنى - كانت هذه الطريقة تستخدم فى حلاقة شعر الأطفال فى الصعيد إلى منتصف السبعينيات من القرن العشرين .

الطعام والشراب :

اختلف الطعام والشراب عند المصريين طبقًا لاختلاف المستوى الاجتماعى ، فقد كان الفلاح يرضى بالقليل من الغذاء ، أما الطبقات العليا فقد كانت تتفنن فى ألوان الغذاء ، ومن أشهر ألوان الطعام عند المصريين اللحوم البقرية ، ولحم الماعز ، والضأن ، كما كانوا يأكلون الأسماك المملحة والخضراوات .

والغذاء الرئيسى الذى اعتمدت عليه كل الطبقات المصرية هو الخبز ، والذى كان يأتى على رأس الاهتمامات ، وكان يُصنع فى مصر خمسة عشر نوعًا من الخبز ، وفى الدولة الحديثة ، وصل عدد أنواع الخبز إلى أربعين نوعًا ، وقد اتخذ الخبز أشكالاً بيضاوية ، ودائرية ، ومخروطية ، ويُصنع من القمح ، والشعير والشوفان ، والعسل ، والزبد ، واللبن ، والبيض .

وكان الخبز يُسَمَّى عند قدماء المصريين (تا) ولذلك يُرمز لحرف التاء برغيف الخبز ، وكان الخبز يُصنع فى المنازل ، وفى عهد الدولة الحديثة ساد استخدام الأفران العامة .

أما عن المشروب الذى كان سائدًا فى مصر القديمة ، فقد كانت الجعة (البيرة) وكانت تُصنع من عجينة من دقيق الشعير ، وتسوَّى فى النار ، بنفس طريقة الخبز ، ويُضاف إليها البلح ، وبعد أنْ تختمر يُصفَّى السائل فى قدر .

التعليم عند الفراعنة :

اهتم الفراعنة بتعليم الأطفال ، وكان التعليم يبدأ فى المنزل ، حيث كان الآباء يُعلمون أولادهم أسرار المهن ، وكافة خبرات الحياة ، ويتضح ذلك من كتب النصائح التى كانت تُكتب للأولاد .

وكانت فلسفة التعليم فى مصر القديمة ، تقوم على الأخذ بالشدة فى تعليم الأطفال ، ولذلك كانوا يقولون : إن عقل الطفل فى ظهره ، أى : لا بُدَّ أن يُضرب إذا كان يرغب فى التعليم .

أما أبناء الملوك ، والأمراء ، ومَنْ يدور فى فَلكهم ، فكانوا يعتمدون على المؤدِّبين الخاصين . ثم تحوَّل المصريون إلى إنشاء مدارس خاصة بتعليم الأطفال . ثم فُتحت مدارس خاصة بكل إدارة حكومية لتخريج الموظفين (الكتبة) . وكان الطفل يذهب للمدرسة فى سن العاشرة ، ويستمر فيها حوالى أربع سنوات تقريبًا . ولم تكُنْ الفتيات يتلقيْن تعليمهن فى المدارس ، ولذلك انتشرت الأمية بينهن بكثرة .

أما مناهج التعليم فى مصر القديمة فكان تعليم مبادئ القراءة والكتابة يأتى فى المقام الأول ، ويتعلمها الطلاب عن طريق نقل النصوص وقراءتها ، كما درس الطلاب الرياضيات ، ولكن بقدر ضئيل ، إنما الاعتماد الكلى كان على تعلُّم القراءة والكتابة .

وكان الطلبة يستخدمون نماذج من الرسائل والتقارير ليتعلموا استخدام الأساليب الصحيحة للتعبير ، كما كانت الألعاب الرياضية لا تجد لها مجالاً فى مناهج التربية عند قدماء المصريين .

نماذج لأماكن التعليم فى مصر القديمة (بيت الحياة) :

من النماذج التى كان المصريون يتلقون العلم فيها ، بيت الحياة ، وهو اسم كان يُطلق على نوع من المعاهد التعليمية ، المتصلة بالمعابد ، وكان هذا المعهد يعمل على تخريج طلاب يقومون بكتابة الطقوس الدينية ، ونسخها للعديد من النسخ .

كما كان يمارس مُوظفو بيت الحياة مهنة الطب أيضًا ، لدرجة أن معظم مبانى بيوت الحياة تحولت إلى مصحَّات لعلاج المرضى ، وكانت بيوت الحياة تحتوى على كل أصحاب المهن ذات الصلة بالتعليم ، فكان هناك الفنانون ، والكتبة الذين قاموا

بنسخ آلاف النسخ من كتاب الموتى ، والتى كانت ترافق جثث الموتى ، لتقدم لهم العون فى الحياة الأخرى ، وقد زادت هذه النسخ زيادة كبيرة فى عهد الدولة الحديثة .

ونختتم الحديث عن بيت الحياة ، بأنه كان مركزًا للتعليم الدينى ، ويعتبر بمثابة أكاديمية متخصصة ، حيث كانت تنتج الكتب ، وتنسخها بالإضافة لتلقى الطلاب العلم فيها .

* * *

البَابُ الثَّانِي

العصر الإسلامى

الفصل الأول

١ ـ علاقة مصر بالعرب قبل الإسلام[1]

العلاقة بين مصر والعرب علاقة قديمة جداً تعود لعصر ما قبل الأسرات حيث شهدت مصر قدوم هجرات سامية كثيرة إلى أراضيها ، وهى هجرات مستمرة دون انقطاع ، اندمجت مع المصريين ، وسنحاول تتبع هذه الهجرات.

بعد اتحاد مصر عام ٣٢٠٠ق.م أصبحت مصر دولة قوية استطاعت توجيه ضربات لهؤلاء البدو ، الذين كانوا يعيشون فى شبه جزيرة سيناء ، وكان المصريون يسمونهم (عمو) ومعناها البدو.

وفى عهد الدولة القديمة ، وهو ما يُعرف باسم عصر الأسرات أو بناة الأهرام ، نظمت مصرُ حملات منظمة لتأديب البدو ، والذين كانوا يهددون طرق التجارة ، وقد أقامت مصر فى هذه الفترة علاقات مع جنوب شبه الجزيرة العربية.

وقد كان البدو يستغلون فترة الاضطرابات السياسية فى مصر ويحاولون الإغارة عليها ، مثلما حدث فى عام ٢٣٠٠ق.م فى العصر المتوسط الأول ، حينما أغار هؤلاء البدو على الدلتا ، وتمكّن أمراء أهناسيا من طردهم.

وقد برز الوجود العربى أكثر فى عهد الهكسوس ، والذين تعود أصولهم إلى قبائل عربية اختلطت بسكان الشام ، واستطاعوا احتلال مصر ، وتأسيس عاصمة لهم فى أواريس ، وقد تأثرت الحضارة المصرية بهؤلاء الهكسوس ، حيث أدخلوا سلاح العجلات الحربية ، وبعض الصناعات إلى مصر.

---

(١) عن علاقة العرب قبل الإسلام بمصر انظر عبد الله خورشيد: القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة . وعبد النعيم ضيفى عثمان مقدمة البيان والإعراب عما حل بمصر من الأعراب، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة . وانظر : فيليب حتى : تاريخ العرب قبل الإسلام .

أما فى عهد الدولة الحديثة، فقد زادت العلاقات بين مصر وشبه الجزيرة العربية، وقد ساعد على نمو هذه العلاقات اتساع مساحة الامبراطورية المصرية ، والتى وصلتْ فى حدودها إلى بلاد العراق ، وكان من مظاهر التعاون اتساع التجارة المصرية ، كما عمل البدو أحياناً كثيرة كجنود مرتزقة فى الجيش المصرى ، كما قدمت قبائل عربية استوطنتْ فى وادى المطميلات.

وفى العصر المتأخر ، تعرضتْ مصر لاضطرابات كثيرة ، كان من أبرزها قيام مصر بتحريض القبائل البدوية ضد دولة آشور فى العراق مما جعل الآشوريين يقومون بغزو مصر.

وقد كان العرب قبل الإسلام يقدمون العون لكل مَنْ أراد غزو البلاد ، فقد ساعدوا حملة قمبيز الفارسية فى غزوها لمصر ، وكانوا يمدون الجيش الفارسى بالجمال والقِرَب الممتلئة بالمياه . ولم يكتفِ العربُ بذلك ، بل كوَّنوا فرقة للقتال بجانب الجيش الفارسى . وقد عاونوا أيضاً الرومان عندما فتحوا الإسكندرية ، عن طريق تشكيل فرقة من الفرسان العرب ، حاربت بجوار الرومان.

وقد كان العرب يعيشون فى الصحراء الشرقية ، ومدينة الإسكندرية ، حيث كان يعيش العرب بجوار اليهود ، والقبط ، والسوريين ، والإغريق ، كما أن بلاد الحجاز شهدت إقامة الكثير من المصريين ، الذين أسهموا فى إعادة بناء الكعبة ، بعد تصدُّع جدرانها نتيجة سيل ، وكان المصرى (باخوم) من الذين شاركوا فى البناء.

وكانت هناك وسائل عديدة ، ساعدت على تقوية العلاقات بين مصر والعرب منها : قرب موقع مصر الجغرافى من شبه الجزيرة العربية ، ووجود شبه جزيرة سيناء ، التى كانت حلقة الوصل بين القبائل العربية ومصر. فعبر سيناء قدمت القبائل ، واختارتها مكاناً للعيش ، وقد تركز وجودهم أكثر بعد الفتح الإسلامى لمصر ، والذى سنعرض له ، فى الصفحات القادمة.

٢ ـ الفتح العربى لمصر وعصر الولاة [1]

لم يكُنْ فتح مصر من ضمن أهداف الفتوح الإسلامية ، والتى حدثت فى عهد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، والسبب وجود حاجز مائى بينها وبين شبه الجزيرة العربية ، وهو البحر الأحمر ، وبسبب حرص أمير المؤمنين على أرواح المسلمين ، لوجود حامية رومانية كبيرة فيها.

ولكن عمرو بن العاص (رضى الله عنه) رغَّب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) بسهولة فتح مصر ، وذكر له غناها فى الموارد ، وأنها سوف تكون عوناً للمسلمين فى فتوحاتهم ، ولكن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) تردد . وكان عمرو بن العاص (رضى الله عنه) قد أتى بتجارته مرات عديدة لمصر ، ويعرف أهلها معرفة جيدة .

ولم ييأس عمرو بن العاص فكرر الإلحاح على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) حتى وافق بعد إلحاح . وأذن لعمرو بفتح مصر ، وأمدَّه بثلاثة آلاف جندى للقيام بفتح مصر تحقيقاً لعدة أهداف ، وهى تأمين ظهر الفتوحات الإسلامية فى بلاد الشام ، بالقضاء على الروم فى مصر ، ونشر الإسلام بين جموع المصريين ، تحقيقاً لرسالة الإسلام ، وعالميته.

وقد سار عمرو بن العاص (رضى الله عنه) بجيشه الذى لا يزيد عن الثلاثة آلاف جندى ، فأرسل له الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) رسالة يطلب منه الرجوع عن الغزو ، إنْ لم يكن قد دخل مصر ، فأمسك عمرو بن العاص بالرسالة ، ولم يفتحها حتى وصل للفرما وهى بأرض مصر ، فلما قرأها على الجنود ، لم يكُنْ لهم من اختيار سوى مواصلة الفتح . فوصل الجيش الإسلامى إلى بلبيس وواجه جيوش الروم وانتصر عليهم ، ثم توجَّه إلى قرية أم دنين ، وانتصر على الروم أيضاً ، حتى وصل إلى حصن بابليون . وهو حصن رومانى يقع على النيل.

---

(١) عن الفتح الإسلامى لمصر انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها . وانظر : بتلر : فتح العرب لمصر . والكندي : ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار . والسيوطى : حُسْن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة.

وكان قائده يسمى الأعيرج . فضرب عمرو بن العاص الحصار على الحصن ، وطلب المدد من الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، فأمده بثنتا عشر ألف جندى بقيادة الزبير بن العوام (رضى الله عنه) ، واستمر حصار الحصن لمدة سبعة شهور ، حتى استسلمت حامية الحصن.

وبعد فتح حصن بابليون سار الجيش الإسلامى إلى مدينة الإسكندرية وقاتلوا الروم ، وانتصروا عليهم سنة ٢١هـ. ثم واصل عمرو بن العاص فتوحاته فى شمال إفريقية ففتح برقة سنة ٢١هـ . وطرابلس سنة ٢٢هـ . وبذلك يكون عمرو بن العاص قد أرسى دعائم الحكم الإسلامى فى مصر ، وقد تمَّ تعيينه والياً على مصر عدا الصعيد فقد ولى عليه عبد الله بن سعد بن أبى سرح.

وبعد وفاة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) حاول عمرو بن العاص أن تكون له ولاية مصر كلها بما فيها الصعيد ، ولكن الخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) عزل عمرو بن العاص من ولاية مصر.

ولاية عبد الله بن سعد بن أبى سرح :

تولى بعد عزل عمرو بن العاص ، وفى عهده هاجم الرومُ مدينة الإسكندرية ، فطلب الناس من عمرو بن العاص أن يقود الجيش لمحاربة الروم ، واستطاع الانتصار عليهم فى عام ٢٥هـ . ومن أهم أعمال عبد الله بن سعد . فَتْح إفريقية وهى تونس الحالية فى عام ٢٧هـ . وقتل جرجيروس حاكم إفريقية.

وفى عهده قامت ثورة قادها محمد بن أبى حذيفة الذى ثار على عقبة بن عامر ، خليفة عبد الله بن سعد ، وأخرجه من مدينة الفسطاط.

ولاية قيس بن سعد:

هو قيس بن سعد بن عبادة ، تولَّى حكم مصر من قِبَل الإمام على بن أبى طالب (رضى الله عنه) ، وجمع له أمر الخراج ، والصلاة . وقد استطاع القضاء على ثورة قام بها العرب فى خربتا.

وقد ولى على مصر عدد كبير من الولاة ، يزيد عن مائة وَالٍ وأكثر ، ولذلك حتى لا يطول موضوع الكتاب ، سنقتصر فى الحديث على أهمهم .

٣ ـ الولاة فى عصر الأمويين

ولاية عمرو بن العاص الثانية :

تولَّى عمرو بن العاص للمرة الثانية ، من قِبَل معاوية بن أبى سفيان فى عام ٣٨هـ . وجمع له فيها الصلاة والخراج . وفى عهد ولايته الثانية تعرض لمحاولة اغتيال ولكنه نجا منها ، وكان من أسباب محاولة الاغتيال هذه هو مشاركته فى عملية التحكيم ضد على بن أبى طالب (رضى الله عنه) فحاول الخوارج قتله.

وفى عهد ولايته الثانية حارب قبيلة لواتة البربرية وانتصر عليهم ، ولما حاولوا الثورة مرة ثانية أمر عمرو بن العاص ، عقبة بن نافع بغزو قبائل لواتة ، ونجح عقبة ابن نافع فى هزيمة هذه القبائل ، كما غزا عقبة بن نافع قبائل هوارة.

وقد توفى عمرو بن العاص (رضى الله عنه) فى صباح عيد الفطر عام ٤٣هـ ، واستخلف ابنه عبد الله على الصلاة ، ومن أقواله (رضى الله عنه) : «اللهم أمرتنا فتركنا ، ونهيتنا فركبنا ، ولا يسعنا إلا مغفرتك».

ولاية عقبة بن عامر :

تولَّى ولاية مصر ، من قِبَل معاوية بن أبى سفيان ، وقد كان عقبة بن نافع فقيهاً ، وقارئاً . وهو من صحابة رسول الله ﷺ ، وقد عُزِل من ولاية مصر عام ٤٧هـ ، وتولى بدلاً منه مسلمة بن مخلد الأنصارى.

ولاية مسلمة بن مخلد الأنصارى :

تولَّى مَسْلَمة ولاية مصر من قِبَل معاوية بن أبى سفيان ، وأُعطيَتْ له ولاية المغرب أيضاً ، وأهم الأحداث التى حدثت فى عهده نزول الروم البرلس سنة ٥٣هـ

فحاربهم مسلمة بن مخلد . واستشهد فى هذه المعركة وردان مولى عمرو بن العاص ، وعائذ بن ثعلبة البلوى ، وأبو رقية عمرو بن قيس اللخمى ، كما استشهد أيضاً جمع كثير من الناس.

ومن أعماله العمرانية قيامه بتوسعات فى جامع عمرو بن العاص ، كما يُنسب له أنه أول من أمر ببناء المآذن ، وأمر المؤذنين أن يكون أذانهم فى الليل فى وقت واحد ، فكان مُؤذِّنو المسجد الجامع يُؤذنون للفجر ، فإذا فرغوا من أذانهم أذَّن كل مؤذن فى الفسطاط فى وقت واحد .

وبعد وفاة معاوية بن أبى سفيان ، واختيار يزيد بن معاوية ، أقر مسلمة بن مخلد على مصر ، وقد قام مسلمة بأخذ البيعة ليزيد بن معاوية ، وقد توفى مسلمة بن مخلد فى عام ٦٢ هـ . واستمرت ولايته على مصر خمسة عشرة سنة ، وأربعة أشهر . وقد اشتهر مسلمة بن مخلد بإطالته فى الصلاة ، فقد كان يقرأ سورة البقرة فى صلاة الظهر ، ففى رواية الحارث بن يزيد (كان مسلمة بن مخلد يصلى بنا ، فيقوم فى الظهر ، فربما قرأ الرجل سورة البقرة) .

ولاية عبد الرحمن بن عتبة :

ولى على مصر من قِبَل عبد الله بن الزبير فى عام ٦٤هـ . وفى عهده عُيِّن مروان ابن الحكم خليفة على الدولة الأموية فى نفس العام ، فحدث فى مصر صراع بين أنصار عبد الله بن الزبير وأنصار الأمويين ، فأرسل مروان جيشًا لمحاربة عبد الرحمن ابن عتبة . أما عبد الرحمن بن عتبة . فجهز جيشاً زوَّده بمراكب بحرية وجيشاً برياً ، ليمنع عبد العزيز بن مروان من الدخول إلى مصر ، كما حفر خندقاً حول مدينة الفسطاط ، كما أرسل جيشاً بقيادة زهير بن قيس البلوى إلى أيلة .

وبدأت المعركة بين جيش عبد الرحمن بن عتبة والأمويين ، واستطاع الأمويون هزيمة جيش زهير بن قيس البلوى ، أما الجيش الآخر وكان بقيادة السائب بن هشام ابن كنانة فانسحب من المعركة . وبالنسبة للأسطول البحرى فقد فاجأته عاصفة

فأغرقته ، ولم يتبق أمام عبد الرحمن بن عتبة إلا أنْ يتولى المقاومة بنفسه ، فتحصَّن فى خندق الفسطاط ، والذى كان قد أمر بحفره حول المدينة لحمايتها.

أما عبد العزيز بن مروان فقد سار بجيشه ، حتى وصل إلى مدينة عين شمس فخرج ابن جحدم لمقاتلته ، ولكنه لم ينجح فى وقف زحفه تجاه الفسطاط ، واستمر حصار الأمويين للفسطاط ، حتى لجأ ابن مروان لاستمالة مجموعة من القبائل النازلة فى مصر. وكان قد تواطأ من قبل مع ابن جحدم، ودخل مروان الفسطاط عام ٦٥هـ. وحاول استمالة المعافرى إليه ، ولكنهم أبوا أن يبايعوه ، فقتل حوالى ثمانين رجلاً منهم.

ولاية عبد العزيز بن مروان :

تولَّى مصر بعد دخوله إليها ، وهزيمته لجيش عبد الرحمن بن عتبة ، وعَيَّن على الشرطة رجلاً يسمى عابس بن سعيد المرادى ، وبعد وفاة مروان بن الحكم . وتعيين عبد الملك بن مروان خليفة للدولة الأموية ، أقر عبد العزيز بن مروان بولايته على مصر.

وقد كان لعبد العزيز بن مروان إنجازات كبيرة فى مصر ، مثل إنشاء الدار المذهبة ٦٧هـ ، وهى التى تسمى المدينة بسوق الحمام غرب المسجد الجامع ، كما بنى مدينة حلوان ، وغرس فيها النخيل ، وأنشأ فيها بساتين ، كما أمر بالزيادة فى جامع عمرو بن العاص ، فهدمه وزاد فيه من جوانبه.

وقد حدثت أحداث هامة فى عهد عبد العزيز بن مروان منها : حدوث وباء الطاعون فى مصر على عهده ، وقد بدأ الطاعون ينتشر فى كافة أرجاء مصر ، فخاف عبد العزيز على نفسه ، وحاول السفر للشرقية ، ولكنه نزل حلوان فأعجب بهوائها ، فقرر الإقامة فيها.

وقد مرض عبد العزيز بن مروان وتوفى فى عام ٨٦هـ . فحُمل من حلوان إلى الفسطاط ، ودُفن فيها ، وقد استمرت فترة ولايته على مصر عشرين سنة ، وعشرة

أشهر ، وتعتبر أطول فترة قضاها والٍ فى مصر ، وعلى الرغم من ثرائه ، نتيجة لتخصيص خراج مصر له ، إلا أنه مات فقيراً لا يمتلك سوى سبعة آلاف دينار.

ولاية عبد الله بن عبد الملك :

عُيِّن والياً على مصر من قِبَل أبيه فى عام ٨٦هـ ، وكان عمره حينما تولى على مصر حوالى سبعة وعشرين عاماً ، وفى عهده تم تعريب الدواوين فى مصر ، وأصبحت تُكتب باللغة العربية بدلاً من القبطية ، كما أبعد أثيناس من الديوان ، وعين بدلاً منه يربوع الفزارى ، كما منع الناس من ارتداء البرانس ، وبنى الجامع المعروف بجامع عبد الله.

وفى عهده زادت الأسعار فى مصر ، فتشاءم منه المصريون ، واتهموه بأخذ الرشوة ، وسموه مكسيًا ، وكانت هذه الأزمة أول أزمة يراها المصريون ، وقد سخر الشعراء منه نتيجة هذه الأزمة ، فقال زرعة بن سعد الله :

إذا سار عبد الله من مصر خارجاً ... فلا رجعت تلك البغال الخوارج
أتى مصر والمكيال وَافٍ مُغربل ... فما سار حتى سار والمدّ فالج

ولاية قرة بن شريك :

تولَّى حكم مصر عام ٩٠هـ ، وقد قام بعدة إصلاحات إدارية ، فعين عبد الأعلى ابن خالد قائداً للشرطة ، ثم عزله وعيَّن عبد الملك بن رفاعة ، أما فى الإسكندرية فعيَّن عبد الرحمن بن معاوية على الشرطة سنة ٩١هـ .

وقد حدثت ثورة قام بها الخوارج الشراة ، ضد قرة بن شريك فى الإسكندرية ، وكان زعيم هذه الثورة المهاجر بن أبى المثنى ، وابن أبى أرطأن ، وكان عدد الثوار حوالى مائة ، ولكن أحد الوشاة أبلغ قرة بمؤامرة الخوارج الشراة ، فألقى القبض عليهم عند مغارة الإسكندرية ، وحبسهم فيها ، كما قتل زعماء الثورة.

ومن أعمال قرة بن شريك العمرانية قيامه بالزيادة فى المسجد الجامع (جامع عمرو بن العاص) وعمل منبراً جديداً له ، كما أقر الدواوين ، وبنى له اصطبلاً لخيوله، أخذه من أرض الموات ، وغرسه قصبًا ، وكان يُعرف باسم إسطبل قرة ..

وقيل عن قرة بن شريك : إنه كان يعتقر الخمر ، وذكر الرواة أنه كان بعد أن يفرغ العمال من العمل يدخل المسجد ، ويشرب الخمر ، ويستمع للطبل والمزمار . ويقول : لنا الليل ، ولهم النهار . وقد تُوفِّى قرة بن شريك فى عام ٩٦هـ ، ودُفِن فى مصر ، واستمرت ولايته على مصر ست سنوات .

ولاية عبد الملك بن مروان :

تولَّى الحكم من قِبَل مروان ، وأعطيت له الصلاة والخراج ، وكان والياً على خراجها من قبل . وقد عَيَّن أخاه معاوية على الشرطة سنة ١٣٢هـ ، ثم عزله وعيَّن بدلاً منه عكرمة بن عبد الله ، وفى عهده أمر بإقامة المنابر فى الكور (المحافظات) حيث لم تكُنْ بها منابر.

وقد حدثتْ فى عهده ثورة القبط ، قادها رجل يسمى (يُحنَّس) فى سمنود ، فبعث عبد الملك بن مروان بجيش بقيادة عبد الرحمن بن عتبة المعافرى ، فقضى على الثورة ، وقُتل (يحنس) وكثير من أصحابه ، كما قام بتأديب قبائل قيس . فسيَّر إليهم جيشاً بقيادة موسى بن المهند والى بلبيس ، ودعاهم للصلح ، فانصرفوا .

قدوم مروان بن محمد لمصر :

قدم مروان بن محمد لمصر فراراً من الهجوم العباسى على الدولة الأُموية ، فدخل مصر فى عام ١٣٢هـ ، وقام بعدة أعمال وهى حرق الدار المذهبة التى بناها عبد العزيز ابن مروان ، كما خرق الجسرين على النيل فى الجيزة ، ويبدو أنه قام بذلك حتى لا يعطى العباسيين فرصة لمطاردته .

ولكن جيوش العباسيين طاردته ، ودخلتْ فى معركة معه فى بوصير ، وقُتِل مروان بن عبد الحكم فى المعركة ١٣٢هـ ، وبذلك انتهى عصر ولاة بنى أمية فى مصر، ودخلت مصر فى عصر جديد وهو ولاة الدولة العباسية .

٤ ـ الولاة فى عهد العباسيين

ولاية صالح بن على :

هو صالح بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، تولَّى فى عام ١٣٣هـ . من قِبَل أبى العباس عبد الله بن محمد أول الخلفاء العباسيين ، وقد تولى صالح بن على ولاية مصر مرتين ، والمرة الثانية كانت فى عام ١٣٦هـ .

وفى عهده تمتْ البيعة للدولة العباسية من المصريين ، كما تم أَسْر عبد الملك بن مروان ، ومعاوية بن مروان من البيت الأموى ، كما قام بالتنكيل بمؤيدى الأمويين فى مصر .

ولاية موسى بن عيسى العباسى :

تولَّى من قِبَل هارون الرشيد ، وعيَّن أخاه إسماعيل على الشرطة ، وفى عهده أذن للمسيحيين ببناء الكنائس التى هدمت فى عهد على بن سليمان ، وبُنيتْ الكنائس بعد مشورة الليث بن سعد ، وعبد الله بن لهيعة ، وقد قالا إنها من عمارة البلاد .

ولاية عيسى بن منصور :

تولَّى عام ٢١٦هـ وفى عهده قامت ثورة العرب والأقباط احتجاجاً على ظلم الموظفين ، وكان من نتيجة الثورة طرد الموظفين ، وامتنع العرب والأقباط عن دفع الضرائب ، فأحضر عيسى بن منصور ، الأفشين من برقة للقضاء على الثورة ، واستطاع القضاء عليها .

وفى عهد عيسى بن منصور . زار الخليفة المأمون مصر عام ٢١٧هـ ، وسخط على ما قام به عيسى بن منصور ، وأجرى إصلاحات إدارية فعيَّن أحمد بن بسطام منصب رئيس شرطة الفسطاط . كما أمر بتعمير المقياس . كما أمر بإقامة جسر بدلاً من الجسر المتهدم بالفسطاط ، كما عمل على ضبط الأمن ، وزار الكثير من بلاد مصر فزار سخا ، ثم عاد للفسطاط ، وغادر مصر بعد زيارة استمرت تسعة وأربعين يوماً .

ولاية عنبسة بن إسحاق الضبى :

تولَّى من قِبَل المنتصر على الصلاة ، بينما تولى الخراج أحمد بن خالد ، وقد كان عنبسة يعتنق مذهب الخوارج ، ويقوم إلى الصلاة سائراً على رجليه ، ويتولى النداء على الناس بالسحور فى رمضان .

وقد تعرضتْ دمياط فى عهده لغزو من الروم عام ٢٣٨هـ ، فجهز عنبسة جيشاً لمطاردة الروم الذين فروا إلى تنيس ، فلم يتبعهم عنبسة ، وقام الروم بأعمال إجرامية ضد السكان ، مما حدا بالخليفة المتوكل أن يأمر ببناء حصن دمياط .

وقد عُزل عنبسة بن إسحاق فى عام ٢٤٢هـ ، ويعتبر آخر الولاة العرب الذين تولوا مصر ، لأن الولاة بعد ذلك كانوا من الأتراك ، والذين زاد نفوذهم فى الدولة العباسية، وخصوصاً فى عهد الخليفة المستنصر ، وسنقتصر فى الحديث عن والٍ واحد من الأتراك ، وهو:

ولاية مزاحم بن خاقان :

وُلِّىَ فى عام ٢٥٣هـ من قِبَل المعتز ، وجعل على الشرطة أزجور ، وفى عهد مزاحم قام رئيس الشرطة أزجور بعدة إجراءات كانت جديدة على المصريين، وهى: منْع النساء من الذهاب للحمامات ، والمقابر ، كما منع الناس من الجهر بالبسملة فى الصلوات ، ومنع الناس من استخدام الحصير فى المساجد ، كما أمر أن تكون صلاة التراويح خمس تراويح ، كما منع الناس من التثويب ، وهو تكرار الأذان ، كما أمر بالأذان يوم الجمعة فى مؤخر المسجد .

ويبدو أن أزجور هذا كانت لديه ميول دينية ، وكان يستخدم السلطة فى تنفيذ أفكاره ، فهو لم يكتف بذلك ، بل منع الناس من صلاة الفجر فى الضوء وأمرهم بإقامتها فى التغليس (ظلمة آخر الليل) ، كما أمر الناس بعدم حلق شعورهم ، ومنع النساء والرجال من شَقِّ الثياب على الميت .

الفصل الثاني

١ ـ الدولة الطولونية[1]

مُؤسِّس هذه الدولة هو أحمد بن طولون ، الذى تولى الحكم فى مصر عام ٢٥٤هـ نائبًا عن باكباك التركى ، فقد كانت الدولة العباسية فى أواخر عهدها ضعيفة ، فازداد نفوذ الأتراك ، وكان الولاة حينما يتم تعيينهم على ولاية يرسلون نائبًا عنهم إلى هذه الولاية ، ويظلون قائمين ببغداد ، ومن هؤلاء باكباك الذى أرسل أحمد بن طولون نائبًا عنه إلى مصر .

١ ـ أحمد بن طولون :

وقد بدأ أحمد بن طولون فى بداية ولايته بتعيين بوزان رئيسًا للشرطة ، ثم عزله وولَّى مكانه موسى بن طونيف ، وقد قام ابن طولون بمحاربة الثوار الذين ثاروا عليه فى الصعيد ، وأرسل لهم الجيوش لقتالهم ، فأرسل جيشًا بقيادة ابن أزذاد لمحاربة ابن الصوفى العلوى فى إسنا ، ولكن جيش ابن أزذاد هُزم . فأرسل ابن طولون جيشًا آخر بقيادة بهم بن الحسين . استطاع الانتصار على ابن الصوفى فى الصعيد عند مدينة أخميم، وفَرَّ ابن الصوفى إلى الواحات ، ثم عاد بعد سنتين ، وجدد الثورة ، ولكن ابن طولون استطاع القضاء عليه .

وقد اتسعت الدولة الطولونية فى عهد مؤسسها أحمد بن طولون ، حيث قام الخليفة المعتمد بتعيين أحمد بن طولون على خراج مصر ، وتعيينه واليًا على بلاد الشام، كما استطاع ضمَّ بلاد شمال إفريقيا إلى مصر.

---

(١) انظر : الاسحاق المنوفى: أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٨م .

وفى أثناء دولة أحمد بن طولـون ، قـام بعـدة أعـمال عمرانيـة منهـا بنـاء الجـامع المعروف باسمه فى جبل يشكر فى عام ٢٦٦هـ ، كما استكثر من الجند السـودانيين فى مصر ، وأنشأ مدينة القطائع ، وجعلها عاصمة له .

وقد توفى أحمد بن طولون عام ٢٧٠هـ بعد مرض أصابه جعله يترك بلاد الشام ويتوجه إلى مصر . وتولى من بعده ابنه خمارويه . وقد توفى أحمد بن طولـون ولـه مـن الأولاد ثلاثة وثلاثون ولدًا ، منهم سبعة ذكور ، أما ثروته التـى خلفهـا فقـد كانـت عشرة ملايين دينار ، وعشرة آلاف خيل ، ومائة مركب حربى .

٢ ـ خمارويه (٢٧٠ـ٢٨٢هـ / ٨٨٤ـ٨٩٥م) :

تولَّى الحكم عام ٢٧٠هـ / ٨٨٤م . واشتهر بحب الصدقات والخير ، ومن أهـم أعماله العمرانية توسعة الميدان الذى أنشأه والده ، كما أنشأ بركة من الزئبق ، ينام فيها على وسائد هوائية ، لأنه كان يشكو من الأرق . كما أنشأ دار السباع – أشبه بحديقـة الحيوان– وقد قُتِل خمارويه فى مدينة دمشق عـام ٢٨٢هــ/ ٨٩٥م بعـد أن مكـث فى الحكم مدة ثنتا عشر سنة ، ولخمارويه ابنة مشهورة هى : قطر الندى ، والتى كان لحفل زفافها على الخليفة العباسى المعتضد شهرة كبيرة .

٣ ـ حكام الدولة الطولونية بعد وفاة خمارويه :

بعد وفاة خمارويه ، تولى ابنه أبو العساكر بن خمارويـه عـام ٢٨٢هــ/ ٨٩٥م ، ولكنه لم يمكث كثيرًا ، حيث قُتِل عام ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م بعد فترة قـضاها فى الحكـم لا تزيد عن ثمانية أشهر ، ثم تولى من بعده أخوه أبو موسى بن هارون بـن خمارويـه ، وحكم لمدة ثمانى سنوات وقُتِل .

وقد انتهت الدولة الطولونية بعد إرسال الدولة العباسية جيشًا بقيادة محمد بـن سليمان الكاتب ، الذي دخل مدينة القطائع وأحرقها ، وعادت مـصر ولايـة عباسـية تُحكم مباشرة من قِبَل العباسيين .

٢ ـ الدولة الإخشيدية

(٣٢٣ ـ ٣٥٨هـ / ٩٣٥ ـ ٩٦٩م)

ظهرت هذه الدولة فى مصر بعد انتهاء الدولة الطولونية ، حيث قام الخليفة العباسى بتعيين محمد بن طغج الإخشيدى حاكمًا على مصر ، مكافأةً له على التصدى للفاطميين فى بلاد المغرب .

وقد استطاع محمد بن طغج أن يُوطد أركان الدولة ، وأن يعيد للبلاد الأمن ، كما اتسعت فى عهده الدولة ، فوصل نفوذ مصر إلى بلاد الشام ، والحجاز . وقد توفى الإخشيد. وتولى من بعده ابنه أبو القاسم أنجور.

الدولة فى عهد أبى القاسم أنجور (٣٣٤ـ٣٤٩هـ / ٩٤٦ـ٩٦٠م) :

عندما تولَّى أنجور كان طفلاً صغيرًا ، فعيِّن وصيًا عليه كافور الإخشيدى ، وقد نقل العاصمة إلى مدينة العسكر ، بعد أن كانت مدينة القطائع فى عهد ابن طولون .

وفى عهد أبى القاسم أنجور ، وقع حريق كبير فى سوق البزازين ، بلغت خسائره حوالى عشرة آلاف درهم ، واحترقت فيه حوالى ألف وسبعمائة دار .

ولاية كافور الإخشيدى :

كان يُعرف باسم (أبو المسك كافور) ، وكان عبدًا من كبار قواد الدولة الإخشيدية . وقد كان كريمًا يُجزل العطاء . وفى عهده زار المتنبى الشاعر مصر ، ولم يتخير اللحظة المناسبة لطلب المنح من كافور ، فلم يعطه كافور أموالاً ، فأخذ فى سَبِّ كافور بقصيدة يقول فيها :

مَنْ علَّم الأسْودَ الخَصِيَّ مَكْرُمَةً ... آباؤُه السُّودُ أَمْ أَجْدادُهُ الصيد

وَذَاكَ أنَّ الفُحولَ البِيضَ عَاجزةٌ ... عَن الجميل فَكيْفَ الخصيّة السُّود

العَبْدُ لَيْسَ بِحُرٍّ صَالِحٍ وَأَخ — لَو أنه فى ثِيابِ الخزِّ مَوْلُود

لاَ تَشتَرِ العَبدَ إلا والعَصَا مَعَهُ — إنَّ العبيدَ مناحِيسُ مَناكِيدُ

ومن الطرائف التى تُروى عن كافور الإخشيدى ، أنه كان يسمع الموسيقى ، فهزَّ أكتافه بالرقص مثل الزنوج ، فرآه الناس ، وخاف أنْ ينقدوه فاتخذها عادة فكلما جلس يهز كتفيه ، حتى يعتقد الناس أنها طبع ، ولم يكُنْ يرقص .

وقد استطاع كافور الإخشيدى أن يحافظ على أملاك الدولة الإخشيدية ، وأن يمد سلطانها حتى حدود الدولة البيزنطية ، وقد توفى كافور عام ٣٥٧هـ / ٩٦٨م ، وتولى من بعده أبو الفوارس أحمد بن على .

أبو الفوارس أحمد بن على ٣٥٨هـ / ٩٦٩م :

تولَّى الحكم فترة قصيرة ، وكان عمره اثنتا عشرة سنة ، ولم تتجاوز فترة حكمه سنة واحدة ، وقد سقطت الدولة الإخشيدية فى عهده تحت سيطرة دولة الفاطميين ، وبدأ عهد جديد وهو عهد الدولة الفاطمية .

٣ ـ الدولة الفاطمية فى مصر[١]

(٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ / ٩٦٩ ـ ١١٧١م)

يُنسَب الفاطميون إلى طائفة الشيعة الإسماعيلية ، وسُمُّوا بذلك نظرًا لادعائهم النسب للسيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ ، وقد استطاع هؤلاء الفاطميون تأسيس دولة لهم فى المغرب على يد أبى عبيد الله المهدى فى عام ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م ، وابتنى مدينة المهدية فى تونس لكى تكون عاصمة له .

وكان من أسباب توجُّه الفاطميين ، وتطلعهم شرقًا لمصر ، أن مصر قريبة من بلاد المغرب العربى ، المقر الأصلى للفاطميين ، وكذلك قرب مصر من ناحية الموقع

(١) انظر : المقريزى : اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا . وانظر للمقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .

الجغرافى من مقر الخلافة العباسية السنية ، أعداء الفاطميين الشيعة . كما كان من الأسباب أيضًا رغبة الفاطميين فى التخلص من الثورات التى كانت تقوم ضدهم فى بلاد المغرب ، وأيضًا قرب مصر من بلاد الحجاز ، فقرب الحرمين الشريفين يجعل للدولة الفاطمية قيمة روحية .

لكل هذه الأسباب السابقة ، أرسل الخليفة المعز لدين الله الفاطمى جيشًا إلى مصر بقيادة جوهر الصقلى فى عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م لفتح مصر ، حيث استطاع أنْ يسيطر عليها بكل سهولة نظرًا لضعف دولة الإخشيديين ، والتى كانت قد تفككت بعد وفاة كافور الإخشيدى ، وبسبب الصراع على الحكم نتيجة صغر سِنِّ أبى الفوارس آخر الحكام الإخشيديين.

وقد قام الفاطميون بتأسيس عاصمة جديدة لمصر ، وهى مدينة القاهرة ، وتأسيس الجامع الأزهر عام ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م . وقد استغرق بناؤه حوالى عامين ، وتم الانتهاء منه عام ٣٦١هـ / ٩٧٢م. وكان الغرض من إنشائه هو نشر مبادئ المذهب الشيعى فى مصر، وحتى لا يصطدم المصريون مع الفاطميين بسبب اختلاف المذهب . وقد سُمِّى الجامع الأزهر بهذا الاسم لأنه سُمِّى على اسم السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ . وقيل أيضًا : لأنه سيكون زاهرًا بالعلم . وأيضًا لأن نوافذه كانت زرقاء اللون .

وبعد أن انتهى جوهر الصقلى من فتح مصر ، أرسل للخليفة المعز لدين الله الفاطمى يخبره بأنه تم فتح مصر ، فحضر الخليفة المعز لدين الله الفاطمى ، ونزل فى قصره ، وبدأ حكمه لمصر والذى استمر ثلاث سنوات ، ودُفِن فى قصره بالقاهرة ، وتولّى من بعده العزيز بالله .

فترة حكم العزيز بالله الفاطمى (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) :

تولى الحكم بعد وفاة المعز لدين الله ، وقد بلغت مدة حكمه حوالى إحدى وعشرين عامًا ، وفى عهده تم تحويل الجامع الأزهر لجامعة علمية ، وأول مَنْ تولى التدريس فيه الوزير (يعقوب بن كلس) وكان يُدرِّس من كتاب الرسالة الوزيرية .

الحاكم بأمر الله الفاطمى (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) :

كان الحاكم بأمر الله رجلاً غريب الأطوار ، فقد تميز بصفات متناقضة ، فقد كان شجاعًا وفى نفس الوقت جبانًا ، كان يحب العلماء وفى نفس الوقت يقتلهم . من أشهر أعماله إنشاء مسجد الحاكم ، وإنشاء دارالحكمة لنشر المذهب الشيعى . وكان من أغرب أعماله منع النساء من السير فى الطرقات ، ومنع الناس من أكل الملوخية ، ومنع الناس من العمل نهارًا .

كما أمر أن توقد الفوانيس بالنهار ، وتُطفأ بالليل ، وادعى النبوة ، وادعى معرفته بعلم الغيب ، وقد سخر المصريون منه عندما ادعى علم الغيب ، فألقوا إليه ورقة بها بيت شعر ، يقول :

بـا لجَـوْر وَالظُّلـم قَـدْ رَضـيناَ وَلَـيْسَ بـالكُفْر والحَماقَه

إنْ كنـتَ أُوتيـتَ عِلْـم الغيْـبِ بَـيِّنْ لنَـا صاحبَ البطاقَـه

وقد كان أيضًا يدَّعى شرف النسب ، لأن نسبهم مطعونٌ فيه ، وكان يريد بذلك التعالى على الخلفاء العباسيين ، وقد سخر منه بعض الشعراء بقصيدة يقول مطلعها :

إنَّـا سـمِعْـنَا نبـأً منـكـرًا يُتْـلَى عـلى السَّامع فى الجَامِع

إنْ كُنْـتَ فيمـا قلتَـهُ صَادقًا فَـصِفْ لنَـا نَفسَكَ كالطّالع

أوْ كـان حقـًّا كـلّ مـا تَـدعى فاعـدُدْ لنَـا بعـد الأب السّابع

أَوْ فَـدَعِ الأشـياءَ مَسْتُورةً وَادْخُـلْ بنَـا فى النسَبِ السَّابع

وكان الحاكم بأمر الله الفاطمى يطلب من الناس تعظيمه ، فكان يأمرهم بالوقوف عند سماع اسمه فى المساجد ، كما ألزم المسيحيين بتعليق صلبان ضخمة فى رقابهم ، وفى عهده ظهر رجل ألَّف كتابًا ادعى فيه أن الحاكم نبى ، ووضع له مناظرات وهذا الرجل يُسمى أبو حمزة ، فلما طلبه الناس ليقتلوه فرّ إلى بلاد الشام، وأسس المذهب الدرزى.

وقد قُتِل الحاكم بأمر الله الفاطمى ، على يد أخته ست الملك ، حيث قامت بتدبير اغتياله عند ذهابه للمرصد الحاكمى ، وكان الحاكم بأمر الله مشغولاً بحب الفلك، فاتفقت مع مجموعة من العبيد على قتله عند صعوده جبل المقطم ، فقتلوه عام ٤١١هـ/ ١٠٢٠م . وتولى بعده ابنه الظاهر بن الحاكم بأمر الله ، ومكث فى الحكم حوالى خمسة عشر سنة ، وثمانية شهور .

ثم تولَّى من بعده ، المستنصر بالله معد بن الظاهر ، وحكم لمدة ستين عامًا وحدثت فى عهده الشدة المستنصرية ، وهى عبارة عن موجة غلاء ، حدثت نتيجة نقصان النيل ، لدرجة أن رغيف الخبز وصل ثمنه لخمسين دينارًا ، وأكل الناس جثث الكلاب ، وجثث الموتى ، ولم ينقذ مصر من هذه الأزمة سوى شحنات القمح الآتية من بلاد الشام ، وقدم بها بدر الدين الجمالى ، الذى تولى الوزارة وبنى باب زويلة المشهور حتى الآن .

ثم تولى من بعده ابنه المستعلى بالله ، أبو القاسم . وتولى الوزارة له بدر الدين الجمالى . وفى عهده بنى الجامع الجيوشى بالمقطم ، وجامع الجيزة . وفى عهد المستعلى بالله بدأت الحملات الصليبية، ودخل الصليبيون بيت المقدس عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م. وقد بلغت مدة حكمه سبع سنوات . وتوفى عام ٤٩٥هـ/ ١١٠١م .

وتولَّى من بعده الآمر بأحكام الله ، وفى عهده بنى جامع الأقمر ، وقُتل الآمر بأحكام الله بالجيزة عام ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م . وتولى من بعده الحافظ لدين الله . وحكم لمدة تسعة عشر عامًا . وتوفى عام ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م . ثم تولى الظافر بأعداء الله . وفى عهده بُنِى جامع الفكهانى . كما تولى من بعده الفائز عيسى بن الظافر وكان وزيره الصالح طلائع بن رزيك ، ثم تولى من بعده آخر خلفاء الدولة الفاطمية الخليفة العاضد ، وهو آخر الخلفاء الفاطميين فى مصر . توفى عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م .

٤ ـ الدولة الأيوبية [1]

(٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ/١١٧١ ـ ١٢٥٠م)

فى أواخر عهد الدولة الفاطمية ، شهدتْ صراعًا بين الوزراء ، والذين زاد نفوذهم نتيجة لضعف الخلفاء ، وكان من أشهر الوزراء الذين قام بينهم الصراع شاور وضرغام . وقد استنجد شاور بالصليبيين لمساعدته فى صراعه ضد ضرغام ، بينما استنجد ضرغام بنور الدين محمود ، والذى كان يحكم إمارة الموصل وورث أملاك أبيه عماد الدين زنكى .

وكانت الرغبة فى فتح مصر ، تراود نور الدين محمود لعدة أسباب ، وهى قوة مصر العددية والاقتصادية وحاجته لهذه القوة ، لمؤازرته فى حربه ضد الصليبيين ، ومنها محاولة توحيد العالم الإسلامى للوقوف ضد الصليبيين ، وأيضًا مساندة الوزير ضرغام .

لكل هذه الأسباب أرسل نجم الدين محمود جيشًا بقيادة أسد الدين شيركوه لفتح مصر ، واصطحب معه أسد الدين ابن أخيه صلاح الدين الأيوبى . وبعد وفاة أسد الدين شيركوه تولَّى صلاح الدين الأيوبى الوزارة للخليفة العاضد عام ٥٦٤هـ/ ١٢٦٥م . وقد بدأ عهده بالوزارة بتقوية نفوذه . فأبطل المذهب الشيعى بمصر ، وأوقف صلاة الجمعة بالجامع الأزهر نتيجة فتوى القاضى صدر الدين بن درباس .

وبعد وفاة الخليفة العاضد ، أعلن صلاح الدين الأيوبى قيام الدولة الأيوبية وفى عهده اتسع نفوذ الدولة واستطاع ضم الشام ، واليمن ، وبرقة لحكم مصر ، كما سيطر على بلاد النوبة .

ومن أهم أعماله العمرانية فى مصر بناء قلعة الجبل ، وإنشاء سلسلة من المدارس مثل المدرسة القمحية ، وكان الغرض من إنشاء المدارس هو محاربة الأزهر الشريف،

(١) انظر أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

ومحاولة إيجاد بدائل عنه ، ورغم ذلك ظل الأزهر الشريف يحتل مكانة علمية فى قلوب المصريين ، وشهد إقبالاً شديدًا من الطلاب على الدراسة فيه ، كما بُنِى فى عهده قلعة الجبل .

أما عن أهم أعمال صلاح الدين الحربية ، وهى مهنته الرئيسية فهى انتصاره على الصليبيين فى موقعة حطين ، وفتحه بيت المقدس والذى كان قد سقط فى يد الصليبيين فى عهد الدولة الفاطمية ، فقد تمكَّن من فتحها فى عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م . وقد توفى صلاح الدين الأيوبى فى عام ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م .

وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبى تولَّى من بعده ابنه العزيز عماد الدين ، وبلغت مدة حكمه حوالى خمس سنوات ، وتوفى عام ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م . وتولى من بعده الملك الأفضل نور الدين . وقد ثار ضده عمه العادل أبو بكر الذى تولى الحكم ، وفى عهده نقل الوزارة إلى قلعة الجبل ، وفى عهده اشتدت موجة الغلاء فى مصر ، كما تعرضت مصر لغزو من الصليبيين .

وقد تولَّى من بعده ابنه الملك الكامل ، وبدأ بمحاربة الصليبيين الذين نزلوا دمياط عام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م . وقد أقام جسرًا على النيل شمال دمياط . واستغل فترة الفيضان وأغرق الصليبيين ، وطلبوا الخروج من مصر فتم جلاؤهم من مدينة دمياط ٦١٨هـ/ ١٢٢١م .

وبعد وفاة الملك الكامل ، تولَّى بدلاً منه ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م . وأهم أعماله الحربية هى استرداد بيت المقدس من يد الصليبيين ، والانتصار على الحملة الصليبية السابعة ، والتى قادها ملك فرنسا لويس التاسع ، وقد استطاع جيش الأيوبيين أن يوقع الهزيمة بلويس التاسع ، والذى تم أسره فى دار ابن لقمان ، ولم يُفرج عنه إلا بعد دفع فدية مقدارها ثمانمائة ألف دينار .

ومن أهم أعمال الصالح نجم الدين أيوب : بناء قلعة الروضة ، وإقامته فيها ، ويُعتبر أول من استكثر من شراء المماليك ، وأسكنهم فى قلعة الروضة ، ولذلك سُموا بالمماليك البحرية ، كما بنى قنطرة بالسد ، وبنى مدرسة بين القصرين .

وتولَّى من بعده ابنه تـوران شـاه ، ولم يمكـث فى الحكـم سـوى شـهرين حيـث تعرَّض لمؤامرة من المماليك ، والذين حرضتهم شجرة الـدر عـلى قتلـه ، لأنـه طالـب بأموال أبيه ، فقُتِل بعد أنْ قفز فى النيل ، وأخرجوه ، وضربوه بالسيوف حتى توفى .

ثم تولَّتْ شجرة الدر . وعُيِّن الأمير عز الدين أيبك التركمانى أميرًا على الجيش وقد تزوجته فيما بعد ، ثم تنازلتْ له عن الحكم وبدأت دولة المماليك البحـرية ، وقـد مكثتْ شجرة الدر فى الحكم لمدة ثلاثة شـهور . ويُعتـبر عهـدها آخـر عهـد للدولـة الأيوبية ، والتى استمرت فى حكم مصر اثنين وثمانين عامًا .

وقد كانت الدولة الأيوبية فى مصر من أفضل الدول التـى قامـتْ ، فقـد أحبهـا المصريون ، نظرًا لصلاح حكامها ، وجهادهم ضد الصليبيين ، وحـبهم وتـشجيعهم للعلماء . وفى ذلك يقول الشاعر:

كَـانُوا لُيوثًـا لاَيُـرامُ حمـا هُمـو   فى كُـلِّ ملحمـةٍ وكُـل هيَـاج
فَـانظُر إلى آثـارهم تَلقـى لهـم   علمـًا بكُـلِّ ثَنِيَّـة وفِجَـاج
فَعلـيهم مَـا عـشْتَ لا أدَعُ البُكَـا   مَـعَ كُـلِّ ذِى نظـرٍ وطَـرف نبـاح

٥ ـ الدولة المملوكية فى مصر (١)
(٦٤٨ـ٩٢٣هـ/١٢٥٠ـ١٥١٧م)

المماليك طائفة من الأرقاء البيض ، أول مَن استكثر منهم الملـك الـصالح نجـم الدين أيوب ، والذى أسكنهم فى قلعة الروضة بالمنيل ، ولذلك سُموا بدولة المماليـك البحرية . وينقسم العصر المملوكى فى مصر إلى عصرين ، هما: دولة المماليك البحريـة وحكمتْ فى المدة بـين (٦٤٨هــ/ ١٢٥٠م) إلى عـام (٧٨٤هــ/ ١٣٨٢م) . ودولـة المماليك الجراكسة (البُرْجيـة) وحكمـت منـذ عـام (٧٨٤هــ/ ١٣٨٢م) حتـى عـام

(١) انظر المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك . وانظر إبراهيم طرخان : دولة المماليك الجراكسة . وانظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى محاسن مصر والقاهرة .

(٩٣٩هـ/ ١٥١٧م) . وبلغت مدة حكم دولة الجراكسة حوالى مائة وأحد وعشرين عامًا .

أولاً: دولة المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م) :

حكمتْ هذه الدولة مصر حوالى مائة وثلاثين سنة ، وسبعة أشهر ، وأول مَنْ تولَّى الحكم فيها عز الدين أيبك التركمانى ، وقد قتل بتدبير من زوجته شجرة الدر ، بسبب غيرتها من قيامه بالزواج عليها . وقد بلغتْ مدة حكمه حوالى سنتين ، وإحدى عشر شهرًا . وكان قد تولَّى الحكم فى عام (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) ، وتولَّى من بعده ابنه المنصور لمدة عام واحد .

ثم تولَّى الحكم السلطان سيف الدين قطز ، والذى استطاع الانتصار على المغول فى موقعة عين جالوت عام (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) . وقد أنقذ مصر والعالم من الخطر المغولى ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك ، وبذلك يكون قد أنهى أسطورة المغول . وقد قُتِل قطز على يد الأمراء المماليك عام (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) ، وتولى من بعده الظاهر بيبرس .

السلطان بيبرس هو الظاهر بيبرس البندقدارى العلائى ، تولى السلطنة عام (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) . وله أعمال عظيمة سواء فى الناحية العسكرية ، أو الناحية العمرانية ، أو الناحية السياسية ، فمن أهم أعماله العسكرية القضاء على الخطر المغولى عندما تم تحالف بين مغول فارس ، ومغول القبيلة الذهبية ، ولكن بيبرس أفشل هذا المشروع بقيامه بالزواج من ابنة رئيس قبيلة المغول الذهبية (بركة خان) .

وبعد وفاة هولاكو حاول ابنه (أبغا) التحالف مع الصليبيين ضد المسلمين ، ولكن بيبرس استطاع هزيمة جيش المغول عام ١٢٧٧م . ومن أعمال بيبرس الحربية قضاؤه على بقايا الوجود الصليبى فى بلاد الشام فاستولى فى عام ٦٤٦هـ -١٢٦٥م على قيسارية ، وحيفا ، وأرسوف . كما استولى على أنطاكية أقوى الإمارات الصليبية فى عام (٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م) وهاجم جزيرة قبرص ، وهى محطة تموين للصليبيين .

أما عن أعماله السياسية ، فقد أعاد الخلافة العباسية إلى القاهرة ، حيث أحضر الخليفة العباسى للقاهرة ، وكان اسمه المستنصر ، وأثبت نسبه عند قضاة الشرع ، وأعطى له سلطة تعيين السلاطين ، وآخر خليفة عباسى فى القاهرة هو المتوكل . والذى توفى عام ٩٥٠هـ . وقد سُمى حى الخليفة بمدينة القاهرة بهذا الاسم ، لأنه كان مقرًا للخليفة العباسى .

ومن أعمال بيبرس السياسية إعادته الخطبة للجامع الأزهر بعد أن توقفت فيه لمدة مائة عام ، وأقيمت فيه صلاة الجمعة ، كما استحدث بيبرس منصبًا جديدًا ، وهو منصب ناظر الأزهر ، لمراعاة شئون الجامع .

ومن أعماله العمرانية بناء جامعه المشهور ، باسم جامع الظاهر ، وبناؤه خانقاه. وقناطر أبو منجى فى القليوبية ، كما عمر العديد من المدارس ، وخصَّص لها أوقافًا للإنفاق عليها .

وقد تُوفِّى السلطان بيبرس عام (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) فى مدينة دمشق ، وقد تولَّى من بعده ابنه بركة ، ومكث فى الحكم مدة سنتين وثلاثة أشهر ، وبعده تولى سلامش لمدة مائة يوم ، ثم عُزل .

وبعد عائلة بيبرس تولتْ دولة المماليك البحرية (عائلة قلاوون) ، وأولهم هو الملك المنصور أبو المعالى قلاوون ، ومن أهم أعماله العمرانية بناء مارستان قلاوون ، وقبة قلاوون .

أما أعماله الحربية فهى : مواصلة الغزو ضد الوجود الصليبى فى بلاد الشام ، فتمكن من حصار طرابلس عام (٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م) ، واستولى عليها ، ولم يَبْقَ فى أيدى الصليبيين سوى عكا ، وصيدا ، وصور ، وحيفا ، وقد توفى قلاوون عام (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م) بعد أن استمرت فترة حكمه حوالى إحدى عشر سنة .

وقد تولَّى بعده خليل بن قلاوون ، وقد استطاع فى أولى سنوات حكمه عام (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م) أن يحاصر عكا ويستولى عليها ، وبذلك تكون قد سقطت عكا

وهى آخر قلاع الصليبيين فى بلاد الشام . كما استولى على صيدا ، وصور وحيفا . وبذلك انتهى الوجود الصليبى من بلاد المسلمين ، بعد استمراره لمدة قرنين من الزمان ، وقد توفى الأشرف خليل بن قلاوون فى عام (٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م) . بعد قتله على يد الأمير بيدار .

ثم تولَّى من بعده الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان صغيرًا وتولَّى الوصاية عليه الأمير زين الدين كتبغا ، ثم خلعه وتولى الحكم ، وفى عهده انتشر الغلاء فى مصر وانتشرت الأوبئة قبل كتبغا ، وعاد الناصر بن قلاوون للحكم مرة ثانية .

ونظرًا لطول فترة حكم دولة المماليك البحرية ، وأيضًا الصراعات والمؤامرات التى كانت فى هذه الدولة ، نجد أن عدد السلاطين الذين تولوا الحكم قد ازداد ، ولذلك سنقتصر فى الحديث عن أهم السلاطين الذين تركوا أعمالاً عمرانية هامة ، أو الذين حدثت فى عهدهم حوادثُ مميزة . ومنهم:

الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقد تولَّى الحكم للمرة الثالثة ، وأهم أعماله العمرانية بناء جامع الناصر بمصر القديمة ، وعمارة جامع القلعة ، وبناء خانقاه بسرياقوس ، وحفر الخليج الناصرى المتصل بسرياقوس ، كما أصلح قناطر الجيزة .

ومن أشهر ملوك دولة المماليك البحرية السلطان حسن ، ومن أشهر أعماله العمرانية بناء مدرسته فى حى القلعة بميدان الرميلة ، وهى المعروفة الآن بجامع السلطان حسن . وقد بلغت مدة بناء هذه المدرسة حوالى ثلاث سنوات ، وكان يخصص لها يوميًا مصاريف تبلغ ألف مثقال ذهب . وفى عهد السلطان حسن ، تم بناء جامع شيخون وخانقاه الأمير صرغتمش ، وقد بلغت مدة حكم السلطان حسن ست سنوات وسبعة أشهر ، وكان قد تولى الحكم للمرة الثانية فى عام (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م) .

ومن أشهر الحكام أيضًا ، والذين تولوا الحكم . الملك الأشرف بن شعبان ، وقد بلغت مدة حكمه أربع عشرة سنة ، وفى عهده استحدثت العمامة الخضراء لكى

يلبسها الأشراف عام (٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م) ، وفي عهده خرج تيمورلنك بثورة ضد السكان .

ثم تولَّى من بعد الأشرف بن شعبان ابنه المنصور علي ، ومن بعده الملك المنصور حاجي بن الأشرف ، والذي عزله برقوق ، مُنْهيًا بذلك حكم دولة المماليك البحرية في عام (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م) .

ثانياً: دولة المماليك البُرْجية (الجراكسة) عام (٧٨٤-٩٠٩هـ) :

هم طائفة من الأرقاء من بلاد القوقاز ، وروسيا ، والذي استكثر منهم في مصر هو السلطان قلاوون ، حيث بلغ عددهم في عهده ، حوالي ثلاثة آلاف وسبعمائة مملوك وأسكنهم في أبراج القلعة ، ولذلك عُرِفوا باسم البُرْجية . وقد حكم هذه الدولة العديد من الملوك والسلاطين ، من أشهرهم :

السلطان برقوق :

اسمه عثمان بن آنص . تولى الحكم(٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م) ، وفي عهده زاد عنصر الجراكسة في مصر ، ومن أشهر إنجازاته العمرانية بناء مقبرته بالصحراء ، وهي الموجودة الآن بصحراء المماليك ، ومدرسته التي يقول الشاعر فيها :

قَدْ أنشأ الظَّاهر السُّلطَانُ مدرسةً ... فَاقَتْ عَلَى إرمَ سُرْعة العَمَلِ

يَكْفى الخليل بأنْ جَاءَتْ لِخدمتِهِ ... صُم الجبالِ بها تمشى عَلى عجل

وقد تُوفِّي عام (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) وبلغت مدة حكمه ست عشرة سنة ، وبعد وفاته بَلغت ثروته حوالي ٢ مليون دينار ، وبلغت قيمة الأقمشة والملابس والأثاث مليون دينار ، عدا الخيول التي بلغ عددها حوالي ستة آلاف ، والجمال خمسة آلاف .

وقد تولَّى من بعده ابنه فرج بن برقوق ، والذي مات مقتولاً بدمشق ، وتُركت جثته مُلْقاةً على تل من القمامة فترة ، حتى كفَّنه أحدُ الناس ودفنه ، ومن بعده تولى الملك العادل أبو الفضل العباسي لمدة ستة شهور .

ومن أشهر ملوك دولة الجراكسة فى مصر المؤيد شيخ المحمودى ، وفى عهده حُبِس الخليفة فى القلعة ، ومن أشهر أعماله العمرانية بناء مدرسته ، والتى أخذ بابها من مدرسة السلطان حسن ، وتولَّى من بعده المظفر أبو السعادات بن المؤيد

ومن أشهر الملوك أيضًا الملك الأشرف برسباى ، والذى تولى عام ٨٢٥هـ ، ومن أهم أعماله فتح جزيرة قبرص فى عام (٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م) . وفرض عليهم الجزية ، كما قام بإنشاء مدرسة ، وبنى مقبرة خارج باب النصر ، وتوفى السلطان برسباى فى عام (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م) بعد أن مكث ستة عشر عامًا ، وثمانية أشهر ، وخمسة أيام .

ومن السلاطين الذين أسهموا فى ازدهار دولة المماليك الجراكسة السلطان قايتباى المحمودى ، تولَّى الحكم فى (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) ، وهو من أفضل سلاطين هذه الدولة ، ومن أشهر أعماله العمرانية عمارة المسجد النبوى الشريف ، وعمارة المسجد الحرام ، وخصَّص أوقافًا ، وهى عبارة عن قرى مصرية تحمل الغلال إلى جيران رسول الله ﷺ ، كما بنى مقبرته بالصحراء ، وقد كان هذا الملك محبوبًا من الشعب المصرى.

ومن أشهر السلاطين قنصوة الغورى ، وهو آخر سلاطين دولة المماليك البُرْجية فى مصر . وقد تولى حكم مصر فى عام (٩٠٧هـ/ ١٥٠٧م) ، وقد كان شديد الدهاء ، وله العديد من المنشآت العمرانية منها مدرسته ، ومدفنه . كما بنى المنارة ذات الرأس المزدوجة بالجامع الأزهر ، وعمارة جامع المقياس بالروضة ، وعمارة سبيل المؤمنين بالقرافة ، كما قام بإنشاء سواقى مصر القديمة ، ومجارٍ لنقل المياه ، وبناء قبة برقوق بالقرب من المطرية .

وفى عهد قنصوة الغورى ، تم كشف طريق رأس الرجاء الصالح ، على يد البرتغاليين ، مما أدى لتحول طرق التجارة عن مصر إلى رأس الرجاء الصالح . فنتج عنه تدهور الحياة الاقتصادية فى مصر . وقد حاول قنصوة الغورى محاربة البرتغاليين،

فاشترك مع أهالى البندقية بتجهيز أسطول لمحاربة البرتغاليين ، ولكنه هُزِم فى موقعة ديو البحرية .

وقد دخل الغورى فى صراع مع العثمانيين ، والذين بدأوا فى التوجه شرقًا تجاه العالم الإسلامى بسبب رغبتهم فى السيطرة على العالم الإسلامى ، تحقيقًا للزعامة الروحية التى كانوا يميلون إليها . وأيضًا رغبتهم فى حصار الدولة الصفوية فى إيران، التى كانت تمثل عدوًا رئيسيًّا للدولة العثمانية ، وكان السبب هو الاختلاف المذهبى ، فدولة الصفويين كانت شيعية المذهب ، والدولة العثمانية كانت سنية المذهب ، كما أن الدولة العثمانية اتهمت السلطان قنصوة الغورى بإيواء الأمراء العثمانيين الفارين إلى مصر.

ولذلك أرسل السلطان العثمانى جيشًا تحت قيادته لمحاربة قنصوة الغورى ، والتقى الجيشان فى معركة مرج دابق فى عام (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) . وقُتِل السلطان الغورى تحت أرجل الخيل ، بعد إصابته بالشلل . ثم واصل العثمانيون زحفهم إلى مصر ، وتقابلوا مع طومان باى فى موقعة الريدانية عام (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) . وكانت الهزيمة من نصيب جيش المماليك ، ثم أُعدِم طومان باى شنقًا على باب زويلة ، وبذلك انتهى عصر دولة المماليك الجراكسة ، ودخلت مصر تحت حكم الدولة العثمانية .

ومن الأسباب التى أدَّت لهزيمة المماليك فى معاركهم ضد الدولة العثمانية هى : استخدام العثمانيين لسلاح البنادق ، والتى لم تكُنْ معروفة للمماليك . والسبب الثانى هو اعتماد العثمانيين على سلاح الغدر والخيانة باتفاقهم مع خاير بك ، أحد الأمراء المماليك على توليته حكم مصر ، نيابة عن العثمانيين لو تخلى عن مناصرة قنصوة الغورى .

ولذلك أطلق الشعب على خايربك ، اسم خائن بك . ومن ألوان الخيانة أيضًا التى اعتمد عليها العثمانيون الاتفاق مع قبائل الأعراب ، والتى كانت تعيش فى مصر على تسليم طومان باى للعثمانيين ، وتم شنقه على باب زويلة.

٦ ـ العصر العثمانى فى مصر [1]
(١٥١٧م ـ ١٧٩٨م)

يُعتبر العصر العثمانى فى مصر ، والذى امتدَّ منذ عام ١٥١٧م إلى عام ١٩١٤م من أسوأ العصور التى مرَّت بها مصر ، حيث شهدتْ البلاد فى عهدهم ركودًا ، طال جميع القطاعات ، وأصبحت مصر فى عزلة عن العالم وما يجرى فيه . ويكفى أن مصر فى عهد العثمانيين فقدت استقلالها وأصبحت مجرد إيالة عثمانية ، تدفع الجزية لهم دون أىّ مقابل يعود على مصر .

ويكفى تأخر عصر النهضة فى مصر بسببهم فترة كبيرة ، كما أدى وجودهم فى مصر لسيادة أنماط سيئة ، سواء فى طريقة الحكم أو العلاقات الاجتماعية أو الاقتصادية . وسنعرض أهم ملامح العصر العثمانى فى مصر :

أولاً : الأحوال السياسية :

استخدم العثمانيون فى حكم مصر نظامًا مهلهلاً ، يحمل فى طياته عوامل انحداره وتخلفه ، وكانت فلسفته مبنية ، وتقوم على اعتبار مصر مجرد ضيعة يمتلكها السلطان وتُدرله دخلاً ، ويا ليته اهتم بتحسين أحوالها ، بل استنزف قدرات مصر ، سواء الاقتصادية أو البشرية . وكان من أبرز ملامح هذا النظام هو توزيع السلطة فى مصر بين ثلاثة عناصر، ضمانًا لعدم انفراد إحداها بالسلطة ، مما أدى للصراع بينها. وهذه العناصر الثلاث هى :

(أ) الوالى :

كان يُعتبر ممثلاً للسلطان العثمانى فى مصر ، وانحصرت مسئوليته فى جمع الجزية والضرائب وإرسالها إلى الأستانة مقر الحكومة العثمانية . وكان معيار اختيار الولاة الوحيد هو مدى قدرتهم على تقديم الرشاوى للصدر الأعظم رئيس الوزراء العثمانى

---

(١) انظر : إسحاق المنوفى : مرجع سبق ذكره . وعبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ومظاهر التقديس فى ذهاب دولة الفرنسيس .

ومدى ولائهم للسلطان ، بغض النظر عن كفاءتهم الإدارية أو غيرها ، فهي ليست في حساب العثمانيين .

وكانت مدة الوالي قصيرة للغاية لا تتجاوز في أي حال من الأحوال مدة الثلاث سنوات ، والسبب في ذلك حتى لا ينفرد بشئون الولاية ، وحتى تكون هناك فرصة أخرى لتعيين ولاة ، مما يتيح مزيدًا من الرشاوى للصدر الأعظم . وقد دخل الولاة في صراع مع الزمن أثناء مدة ولايتهم للحصول على أكبر قدر من الأموال تعويضًا لما دفعوه رشاوى ، ولتكوين ثروة ، تاركين أمر الولاية ، تصارعها الأنواء ، ويتنازعها المغامرون .

(ب) الديوان :

كان الديوان يتكون من كبار قواد الجيش العثماني في مصر ، وكانوا خمس فرق أساسية وهم : الانكشارية ، الألبان ، الباش بوزق ، الجراكسة ، الدلاة . وكان للديوان وظيفته ، وهي عبارة عن معاونة الوالي في إدارة شئون الولاية ، هذا في ظاهر الأمر . أما في باطنه فهو مراقبة الوالي ، وقد كان له أيضًا سلطة الاعتراض على قرارات الوالي .

(جـ) المماليك :

هم بقايا العناصر الجركسية ، وقد أمَّنهم السلطان سليم الأول على أموالهم ، وأرواحهم واستعان بهم نتيجة لخبرتهم في حكم مصر ، وفي إدارة شئون الحكم المحلي، فتولوا مناصب الكشوفية وهي تحصيل الضرائب ، ومناصب الصنجفية وهم حكام المماليك ، كما تولوْا منصب مشيخة البلد (حاكم مدينة القاهرة) .

وقد استغلوا ضعف الحكم العثماني في مصر ، وقاموا بمحاولة الاستقلال عن الحكم العثماني ، عندما قام أحد زعمائهم وهو علي بك الكبير والذي كان شيخًا للبلد بتكوين جيش كبير استطاع طرد القوات العثمانية من مصر . وضمَّ إليه بلاد الشام ، وتحالف مع الشيخ ضاهر العمر بفلسطين ، وأطلق على نفسه (خاقان البحرين) .

كما استطاع تحقيق عدة انتصارات على جيش الدولة العثمانية ، ولكن العثمانيين كعادتهم اضطروا لاستخدام سلاح الحيلة للتخلص من على بك الكبير ، وذلك عن طريق الاتفاق مع أحد قواده وهو محمد بك أبو الدهب ، والذى قام باغتيال على بك الكبير .

وبذلك تخلصتْ الدولة العثمانية من حركته ، ويعتبر المؤرخون أن حركة على بك الكبير هى البروفة الأولى لمحمد على ، والذى استطاع فيما بعد الاستقلال بمصر عن الدولة العثمانية .

ثانيًا : الحياة الاقتصادية:

كان الاقتصاد المصرى متدهورًا منذ أواخر عصر دولة المماليك ، ولكن زاد تدهورًا فى العهد العثمانى ، نتيجة لقصر مدة الولاة ، وإهمال شئون الولاية ، ومن أهم ملامح النظام الاقتصادى فى العصر العثمانى هى :

(أ) **الزراعة :**

شهدتْ الزراعة تدهورًا بسبب إهمال العثمانيين لشأنها ، ومن مظاهر التدهور اعتبار الأرض كلها ملكًا للسلطان ، والمزارعون يزرعونها طبقًا لحق الانتفاع ، وأيضًا قيام العثمانيين بتطبيق نظام الالتزام ، وهو نظام كان يعتمد على قيام شخص بسداد الضرائب مقدَّمًا للدولة ، مقابل إعطائه أرضًا يزرعها الفلاحون بالسخرة ، وكانت تسمى أرض الوسية .

وبعد أنْ أصبح نظام الالتزام مصدرًا من مصادر الثراء ، أصبح شديد الإقبال عليه ، ولذلك كانت تعقد حلقات مزادات لتوزيع الالتزامات لمن يتعهد بالدفع أكثر. وكان الالتزام غالبًا من نصيب المماليك ، ومشايخ العربان . وقد أعطى الملتزمون لأنفسهم حقوقًا إدارية وقضائية فى نطاق مناطق التزامهم ، وأصبحوا دولة داخل دولة .

ومن مظاهر التدهور الذى أصاب القطاع الزراعى فى عهد العثمانيين إهمال حفر الترع ، والاعتماد على المحاصيل الغذائية فقط ، وإهمال المحاصيل النقدية ، وقد ترتب على هذا النظام هجرة كثير من الفلاحين أراضيهم هربًا من مطالبات الملتزمين، كما تراخى الفلاحون فى عملية الزراعة .

(ب) **الصناعة** :

لم تكن الصناعة أحسن حالاً من الزراعة ، والتى ترتبط بها ارتباطًا شديدًا ، فقد تدهورت الصناعة نتيجة تدهور الزراعة ، كما سادت الحرف البدوية البسيطة، وقام رؤساء طوائف الحرف بالعمل كجامعى ضرائب للدولة من أبناء حرفهم دون أنْ يقوموا بتطويرها .

(جـ) **التجـارة** :

تدهورت التجارة بسبب انعدام الأمن ، حيث كانت تقوم القوات العثمانية بنهب القوافل ، بالإضافة لقيام العربان بمهاجمة القوافل أيضًا ، وكأنما تحالف العثمانيون مع الأعراب على دمار الاقتصاد . وكان من مظاهر تدهور التجارة تدهور قيمة العملة العثمانية ، واعتماد الناس على ريال مارى تريزا باعتباره عملة محترمة . كما اختلفت المكاييل والموازيين من جهة لأخرى ، وأيضًا من مظاهر تدهور التجارة عدم انتظام الأسواق ، والتى كانت تتعرض للنهب المنظم من العناصر العثمانية .

ثالثًا : الحياة الاجتماعية :

كان المجتمع المصرى فى عهد العثمانيين ، يعانى من عدم العدالة الاجتماعية والتى كانت نتيجة تقسيم المجتمع إلى طبقتين متفاوتتين من حيث الحظوظ ، والأرزاق ، فقد انقسم المجتمع المصرى إلى:

(أ) **طبقة الحكام** :

تتكون هذه الطبقة من الأتراك ، والمماليك ، وكانت تمتلك كل الامتيازات ، فهم الملتزمون ، وهم القواد العسكريون ، وهم أمراء الأقاليم ، وكانوا يمتلكون معظم

الأراضى الزراعية ، ويمتلكون القصور الفاخرة ، وكانوا مُعْفَوْنَ من الضرائب ، وغيرها .

(ب) طبقة عامة الشعب :

وهى تتكون من العمال والفلاحين ، وليست لهم أية امتيازات ، فكانوا يدفعون الضرائب والتى تفنن الأتراك والمماليك فى فرضها ، فهناك ضريبة الميرى ، والبرانى ، والجوانى ، إلى آخر هذه الحيل الشيطانية لجباية الأموال ، كما كانت هذه الطبقة تعيش فيما يشبه الأكواخ .

وتتوسط هاتين الطبقتين طبقة علماء الدين من رجال الأزهر الشريف ، والذين كانوا بمثابة مدافعين عن الطبقة الفقيرة أمام الطبقة الغنية ، ولذلك كان الشعب يحترمهم ويُجلهم ، وقد قامت هذه الطبقة بجهود كبيرة فى سبيل تنوير الشعب المصرى ، وكان الأتراك والمماليك يخشوْنَ سطوة هؤلاء العلماء ، وكانوا يستجيبون لهم ، مما أعلا من شأن هذه الطبقة فى نظر المصريين .

٢ ـ الأحوال الصحية :

نتيجة لتدهور الأحوال السياسية والأحوال الاقتصادية ، كان من الطبيعى تدهور أحوال الصحة العامة فى العهد العثمانى ، فقد تعرضتْ مصر لأوبئة مثل وباء الطاعون ، والذى كاد يفتك بالسكان نتيجة انتشار البرك المتخلفة من مياه النيل فى فترة الفيضان ، وعدم قيام السكان بردمها ، بالإضافة لطبيعة مناخ مصر الحار ، الرطب .

وجد الطاعون الفرصة مناسبة للنمو وللفتك بالسكان ، كما كانت الخدمة الصحية ، والمتمثلة فى المستشفيات والمحاجر الصحية تكاد تكون منعدمة ، ولذلك تناقص عدد الشعب المصرى ، ووصل حتى مجىء الحملة الفرنسية على مصر إلى حوالى مليونين ونصف المليون نسمة .

٣ ـ التعـــليم :

ما يقال عن الصحة ، ويُقال عن الاقتصاد ، يقال أيضًا عن التعليم ، فقد تدهور التعليم ، وظل قاصرًا على بعض الكتاتيب ، وعلى الجامع الأزهر الشريف والذى ظل محافظًا على اللغة العربية من الضياع ، وظل بمثابة الشمعة التى تضىء ظلمات الليـل ، وكان من نتيجة تدهور التعليم انتشار الدجل والشعوذة ، وسيادة الأفكار المتخلفـة ، بالإضافة لانتشار عملية استخدام كتابة الأحجبة والتمائم لتفادى الأمراض .

ولعل القارئ يتساءل : هل الدولة العثمانيـة ، لم تحـاول أبـدًا الإصـلاح ؟ وهـل كانت متخلفة فى عقر دارها ؟ والإجابة على السؤال الأول : نعم لم تحاول الإصلاح ، لأنها كانت تنظر إلى الولايات على أنها خزانة نقـود فقـط ، بالإضـافة لعـدم تـأهلهم حضاريًا وثقافيًا للرقى بأحوال الولايات ، نظرًا لطبيعة نشأتهم الرعوية .

أما الإجابة عن السؤال الثانى فقد اعتمدت الدولة العثمانية على أبناء الولايـات فى بناء معالم النهضة فى استانبول .

فعندما دخل سليم الأول مصر ، أخذ معـه كـل الـصناع المهـرة لكـى يبنـوا لـه عاصمته ، وعنـدما زار مصر وقـف مبهـورًا أمـام العمـارة الإسـلامية المـصرية ، ويقال : إنه عندما شاهد مسجد السلطان حسن قال : هذا حـصار عظـيم . وعنـدما شاهد مدرسة السلطـان المؤيَّد قال : هذه عمـارة المـلوك ، وعندما شـاهــد مدرسـة الغورى ، قال : هذه عمارة تاجر .

❊ ❊ ❊

الباب الثالث

العصر الحديث

١ ـ الحملة الفرنسية على مصر[1]

(الصراع بين الشرق والغرب)

لم تكُنْ الحملة الفرنسية على مصر مجرد صراع عسكرى بين الدولة العثمانية وفرنسا ، وإنما كانت فى حقيقتها صراعًا بين الحديث ممثلاً فى الفرنسيين ، والقديم ممثلاً فى العثمانيين ، وكانت صراعًا بين الديكتاتورية العثمانية والليبرالية الأوروبية . كانت صراعًا بين أفكار العصور الوسطى وأفكار العصر الحديث .

وكانت مصر محطَّ أنظار فرنسا منذ قديم الزمان ، وتعود هذه الأطماع إلى فترة الحروب الصليبية عندما أرسلت فرنسا حملة بقيادة لويس التاسع ليهاجم مصر ولكن الحملة فشلت ، وتم أسْر لويس التاسع ، وسجنه فى دار ابن لقمان فى المنصورة ، حتى افتدته زوجته بمبلغ من المال .

وفى عهد لويس الرابع عشر تجددت الأطماع الفرنسية فى مصر ، وكان الغرض منها ضرب التجارة الهولندية فى آسيا ، وفى عهد لويس الخامس عشر حاول إقناع الدولة العثمانية بالتنازل له عن مصر ، ولكن السلطان العثمانى رفض هذا الاقتراح .

وكذلك جرتْ محاولة أخرى فى عهد لويس السادس عشر ، ولكن قيام الثورة الفرنسية فى عام ١٧٨٩م حال دون ذلك ، وبعد استقرار الحكم فى فرنسا ، وفى عهد حكومة الإدارة استطاعت فرنسا تحقيق أحلامها فى غزو مصر .

ولم تكُنْ مصر مجهولة بالنسبة لفرنسا ، فوجود التجار الفرنسيين فى مصر ، وقيام الرحّالة الفرنسيين بزيارة مصر ، كلها عوامل ساعدت على معرفة الفرنسيين لمصر معرفة جيدة .

---

(١) عن الحملة الفرنسية انظر : عبد العظيم رمضان : تاريخ الهجمة الاستعمارية على الوطن العربى ، مكتبة الأسرة .

أما عن أسباب الحملة الفرنسية على مصر فيمكن تلخيصها فى أسباب حقيقية ، وهى رغبة فرنسا فى تكوين مستعمرة فرنسية فى الشرق مبتدأة من مصر ، وأن تقطع طريق مواصلات انجلترا عن مستعمرتها فى الهند ، وأن تكتشف طريقًا بديلاً عن طريق رأس الرجاء الصالح ، والذى كانت تسيطر عليه انجلترا .

بالإضافة لفتح أسواق جديدة لتصريف منتجاتها ، والتى تراكمت نتيجة الثورة الصناعية فى فرنسا ، أما الأسباب الغير حقيقية فهى كما أعلنتها فرنسا ، وتتمثل فى محاولتهم تأديب المماليك وتأييد السلطان العثمانى فى صراعه ضد المماليك .

وقد خرجت الحملة الفرنسية من فرنسا سرًا ، متجهة إلى مصر ، خوفًا من مباغتة الأسطول الإنجليزى لها ، ونزلت الإسكندرية ولكن الشعب المصرى قاومها بقيادة السيد محمد كريم محافظ المدينة ، ولكن تمكَّن الفرنسيون من القضاء على المقاومة ، وتم إعدام السيد/ محمد كريم ، وتعيين كليبر حاكمًا على الإسكندرية . وبعدها تقدمتْ الحملة تجاه الدلتا ، وهزمت المماليك فى موقعة شبراخيت شرَّ هزيمة، ثم واصلت زحفها تجاه القاهرة . وتقابلوا مرة ثانية مع المماليك بقيادة مراد بك ، وإبراهيم بك عند إمبابة .

وبعد ربع ساعة بالتمام انتصر الفرنسيون على هؤلاء المماليك ، وأنهوا أسطورتهم، وشرورهم من مصر ، أما عن موقف المماليك فطبيعتهم الفرار ، ولذلك فرَّ إبراهيم إلى الشام ، ومراد بك إلى الصعيد . ودخل نابليون مدينة القاهرة ، ثم قام بمطاردة إبراهيم بك ، وأرسل ديزيه على رأس جيش لمطاردة مراد بك فى الصعيد.

أما عن موقف الأهالى من الفرنسيين ، فقد تولوْا الدفاع عن أنفسهم بعد فرار فئة الجرذان والمسماة بالمماليك ، فقد قاوم الشعب المصرى الباسل الحملة فى الحسينية ، وفى كل أنحاء الدلتا . أما فى الصعيد فلم يتمكن الفرنسيون من تثبيت أقدامهم ، نتيجة بسالة أهالى الصعيد . والذين قادوا عدة معارك ضد الفرنسيين فى كل من سد منت ، بنى سويف ، وجرجا ، وطهطا ، وفرشوط ، ودشنا ، الرديسية جنوب إدفو ، بنى عدى ، أبو جرج فى المنيا ، وإسنا .

وقد صرخ الجنرال ديزيه طالبًا النجدة من بونابرت قائلاً له : إن علينا أن نحارب ثلاث قوى مجتمعة وهم : الأهالى، والعرب القادمون من القصير، والمماليك . فليس من السهل إخضاع هذه البلاد .

وقد تكبدت القوات الفرنسية ما يقرب من سبعمائة قتيل عدا الجرحى فى معارك الصعيد ، ولكى نعرف مدى قوة مقاومة الصعيد للحملة الفرنسية ننظر إلى تواريخ القتال وهى : ٥مارس معركة الصوامعة جنوب طهطا – ٨مارس معركة قفط بقنا ، ٨–١٠مارس معركة أبنود بقنا - ٢أبريل معركة وادى عنبر - ٦ أبريل معركة برديس - ٧ أبريل معركة جرجا - ١٠أبريل معركة جهينة - ١٨أبريل معركة بنى عدى فى أسيوط - ٢٣ أبريل معركة أبو جرج فى المنيا - ١٦ مايو معركة أسوان.

ويتضح من استعراض تواريخ هذه المعارك أنها تكاد تكون يومية ، والفاصل الزمنى بينها قصير مما يدل على عدم تقبُّل الأهالى للفرنسيين ، ومدى شدة المقاومة التى أبدوها ، كما يتضح أيضًا طول المسافة الجغرافية التى دارت فيها هذه المعارك ، فمن أسيوط والمنيا شمالاً حتى أسوان جنوبًا ، الكل كان بطلاً ويقاوم بدون خوف ، ودون الاعتماد على قوى خارجية .

وقد وضع نابليون سياسة جديدة فى مصر ، وأعلن احترامه للدين الإسلامى وعيَّن حاكمًا لمدينة القاهرة وهو الجنرال ديبوى ، كما قام بإنشاء ديوان الغرض منه تدريب المصريين على الحكم الدستورى والنيابى . كما بدأ يتودد إلى المصريين ، فبدأ يرتاد الموالد المشهورة فى مصر ، ويرتدى أحيانًا أزياء المصريين ، ولكن هذه الحيل التى لجأ إليها نابليون لم تنطل على المصريين .

وقد حدث فى نفس العام ، الذى جاءتْ فيه الحملة على مصر ، موقعة أبى قير البحرية عام ١٧٩٨م . والتى ترتب عليها تحطيم الأسطول الفرنسى ، وأوقع الحملة فى مأزق ، وهو عبارة عن فقدانها الإمدادات من فرنسا ، مما أدى بنابليون لفرض ضرائب على الشعب تغطية لخسائره ، مما حدا بالأهالى للقيام بثورة القاهرة الأولى .

ثورة القاهرة الأولى سنة ١٧٩٨م :

كانت الضرائب التى فرضها نابليون على المصريين ، وسلوك الحملة الفرنسية تجاه الأهالى من حيث تفتيش البيوت والدكاكين ، بحجة البحث عن الأسلحة وهدم أبواب الحارات بحجة توسيع القاهرة سببًا فى قيام ثورة القاهرة الأولى ، التى قام الأزهر الشريف بقيادتها . وفيها هجم الأهالى على الجنود الفرنسيين ، وقتلوا الجنرال ديبوى حاكم القاهرة ، فقام نابليون بضرب القاهرة بالمدافع ، ودخل الجامع الأزهر بالخيول ، مما كان له الأثر السلبى على الحملة فى مصر، حيث عرف المصريون أن نابليون مجرد مُدَّع ولا يحترم الدين الإسلامى ، أما نابليون من جانبه فقد فرض غرامة باهظة على الأهالى ، وألغى الديوان .

وقد حاول نابليون القيام بحملة على بلاد الشام فى عام ١٧٩٩م ، ولكنه فشل فى فتح عكا بسبب قوة تحصيناتها، وبسالة أهلها فى الدفاع عنها ، فعاد بالحملة مرة ثانية ، ثم غادر مصر تاركًا الحملة تحت قيادة كليبر . ولكن كليبر لم يُحبِّذ البقاء فى مصر ، ولذلك وقَّع مع العثمانيين صلح العريش فى عام ١٨٠٠م ، ولكن التدخل الإنجليزى أفشل هذا الصلح .

وقد تجددت الثورة مرة ثانية فى حى بولاق ، فحاصر كليبر الحى ومنع الإمدادات عنه حتى استسلم الثوار ، كما اتفق مع مراد بك على حكم الصعيد ، نيابة عن الفرنسيين . ولكن كليبر لم يعش طويلاً ، حيث تم اغتياله على يد شاب من سوريا اسمه سليمان الحلبى ، كان يدرس فى الأزهر . وتولى من بعده جاك مينو الذى أعلن إسلامه ، وسمَّى نفسه عبد الله جاك مينو ، وقد خرجت الحملة الفرنسية من مصر فى عهده عام ١٨٠١م .

وقد ترتب على وجود الحملة الفرنسية فى مصر ، العديد من النتائج سواء على المستوى السياسى ، أو الاقتصادى أو العلمى . فمن حيث المستوى السياسى ، أيقظت الحملة الفرنسية الشعور الوطنى عند المصريين ، والذى تمخض عنه قيام

الثورات ضد الحملة الفرنسية ، كما أن فكرة الدواوين والتى أوجدتها الحملة ، كانت بمثابة فرصة لتدريب المصريين على المشاركة فى حكم بلادهم لأول مرة منذ فترة كبيرة .

وقد قام الفرنسيون بعدة تغييرات فى مجال القضاء ، حيث ألغوا مبدأ الدية فى الدم ، وحددوا رسوم التقاضى ، واستبدلوا القضاة الأتراك بقضاة مصريين ، كما حددوا ضريبة التركات ، وخصصوا لكل طائفة من الطوائف الأجنبية ، والتى كانت تعيش فى مصر محكمة ، وجعلوا المحكمة الإسلامية هى المهيمنة على هذه المحاكم .

كما قدَّم مينو مشروعه العظيم ، والذى كان يرغب فيه أن يصلح من أحوال الفلاحين المصريين ، فى دفع الضرائب ، وأن يتساوى الكل فى مصر عند دفع الضرائب ، مع إلغاء الضرائب التى ابتدعها المماليك بدون وجه حق ، وأيضًا حرمان الملتزمين من الحقوق القضائية والإدارية التى كانوا يعطونها لأنفسهم على حساب الشعب .

أما من ناحية الاقتصاد ، فقد أصلح الفرنسيون الزراعة ، وأدخلوا محاصيل جديدة فى مصر ، وقاموا بتطهير الترع ، وشق القنوات ، وضبط نهر النيل ، وبالنسبة للصناعة أدخلوا صناعة الساعات فى مصر ، وصناعة النسيج . وأصلحوا ترسانة الجيزة . وبالنسبة للتجارة فتحوا أسواقًا جديدة لتصريف المنتجات المصرية فى إفريقيا ، وشبه الجزيرة العربية ، وكسروا حدة الحصار الاقتصادى الذى ضربه الإنجليز على الشواطئ المصرية .

ومن الناحية العلمية ، قام الفرنسيون برسم أول خريطة لمصر ودراسة كافة أوجه الحياة فى مصر وضموها فى كتاب (وصف مصر) ، وأيضًا يرجع لهم الفضل فى اكتشاف حجر رشيد ، الذى ساعد على فك رموز اللغة الهيروغليفية ، كما درسوا مشروع توصيل البحر الأحمر بالبحر المتوسط ، ولكن خطأ فى المقياس الذى قام به لبير أرجأ تنفيذ المشروع .

٢ ـ عصر محمد على وخلفائه[١]

بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر ، تصارع على حكم مصر العديد من القوى السياسية ممثلة فى الأتراك ، والمماليك ، والإنجليز . وكلٌّ كان يدَّعى وجود حق له فى حكم مصر ، فمنهم مَنْ يستند إلى أقدمية حكمهم لمصر وهم المماليك ، ومنهم من يستند إلى أنه كان يحكم مصر قبل الحملة وهم العثمانيون ، ومنهم من يرى أنه صاحب الفضل فى إخراج الفرنسيين وهم الإنجليز ، ودار صراع بين الفرق الثلاث ، ولكن الأمر فى النهاية آل إلى العثمانيين .

وكان السبب الرئيسى فى عودة مصر للعثمانيين هو أن المماليك كان موقفهم ضعيفًا بسبب نقصانهم العددى ، وانقسامهم فى توجهاتهم السياسية ، أما الإنجليز فرفضوا الدخول فى الصراع مباشرة ، وإنما كانوا يرغبون فى هذا عن طريق إيجاد عملاء لهم مثل محمد بك الألفى . ولكن توقيع فرنسا صلح إميان مع الدولة العثمانية جعل الإنجليز يُرجئون فكرة التدخل فى شئون مصر ، حرصًا على مصالحهم مع الدولة العثمانية ، وخوفًا من حصول فرنسا على امتيازات من الدولة العثمانية .

وقد بدأت مسيرة الحكم العثمانى الثانية بتعيين مجموعة من الولاة ذوى السيرة السيئة من أمثال خسرو باشا ، وخورشيد باشا والذين أساءوا التصرف نتيجة فرضهم الضرائب الباهظة على الشعب ، وخصوصًا فى عهد خورشيد مما ترتب عليه قيام ثورة ضده ، قادها الشعب ، الذى حاصر خورشيد فى القلعة . وقد وقف بجوار الشعب فى ذلك الوقت محمد على قائد الفرقة الألبانية .

شخصية محمد على :

وُلد محمد على فى بلدة قولة عام ١٧٦٩م ، وعمل فى شبابه تاجرًا للدخان ، ثم التحق بالجيش العثمانى بدرجة نفر ، وترقى حتى رتبة شرشمة (مقدم) فى الفرقة الألبانية ، وقدم إلى مصر مع الجيش العثمانى الذى أتى لمحاربة الفرنسيين .

---

(١) انظر : عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، دار الهلال ، القاهرة وانظر سهير حلمى : أسرة محمد على ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٣م .

وقد صعد نجم محمد على سريعًا ، نتيجة عدة مؤامرات دبرها ، بدأت بتحريض الجنود ضد خسرو باشا ، للمطالبة بدفع الرواتب المتأخرة للجنود ، وعندما رفض خسرو باشا دفع الرواتب ، ثار ضده الجنود وعزلوه ، وتولى بدلاً منه طاهر باشا قائد الفرقة الألبانية ، فصعد محمد على إلى منصب قائد الفرقة الألبانية وبعد ذلك قُتِل طاهر باشا ، وعُيِّن بدلاً منه أحمد باشا الجزايرلى .

وفى أثناء أزمة فيضان النيل ١٨٠٣م ، والتى ترتب عليها انخفاض الإنتاج الزراعى ، وانتشار الغلاء فى مصر ، بدأ البرديسى يفرض ضرائب على المصريين ، فثار الشعب ضده ، ووقف محمد على بجوار الشعب مما رفع أسهمه بين الزعامات الشعبية .

وبعد عزل البرديسى ، عُيِّن خورشيد باشا حاكمًا على مصر ، وبدأ فى سلسلة إجراءات أثارت غضب الشعب ، وهذه الإجراءات هى: فرض ضرائب باهظة على الشعب. استدعاء فرقة الدلاة للقضاء على الشغب فى مصر. ولكن الشعب ثار ضده. ووقف محمد على ثانية مع الشعب . فأرسل الشعب يطلب من السلطان العثمانى تعيين محمد على واليًا على مصر فى عام ١٨٠٥م . فصدر مرسوم بذلك وأصبح محمد على أول والٍ يُعيَّن طبقًا لإرادة شعبية ، وطبقًا لشروط أملاها الشعب عليه .

وقد استهلَّ محمد على حكمه لمصر بالتخلص من مشكلات واجهته بعد توليته الحكم وهى مشكلة المال ، والذى كان يحتاجه لدفع رواتب الجند . ومشكلة انجلترا والتى كانت تسعى جاهدة لدى السلطان لعزل محمد على ، على اعتبار أنه قد يصبح عائقًا فى سبيل تحقيق أحلامها فى مصر ، ولأنه عدو للمماليك حلفائها العملاء . وأيضًا محاولة السلطان عزله ، لأن السلطان يرفض أن يُفرض عليه والٍ وإنْ كان قد قَبِل فى البداية محمد على ، فعلى سبيل تهدئة خواطر الشعب ليس إلا ، وكان ينتهز الفرصة لعزله .

وقد تخلص محمد على من مشكلة المال عن طريق التبرعات ، التى قدمها له كبار التجار والأعيان ، وبالنسبة للسلطان ، والذى كان قد أصدر فرمانًا بنقل محمد على

إلى ولاية سالونيك باليونان فى عام ١٨٠٦م ، فقد استنجد محمد على بالزعامة الشعبية والتى طلبت من السلطان الإبقاء عليه ، فرضخ السلطان لهم ، وصدر فرمان بتثبيت محمد على واليًا على مصر فى نفس العام .

أما بالنسبة لانجلترا ، فقد استغلَّت قيام حرب بين تركيا وروسيا ، وحاولت إرسال حملة إلى مصر للسيطرة عليها ، وتُعرف باسم حملة (فريزر) عام ١٨٠٧م ، ولكن الشعب المصرى قاوم الحملة فى رشيد وانتصر عليها كما انتصر عليها مرة ثانية فى الحماد ، بينما كان محمد على فى الصعيد ، يحارب المماليك ، ولما سمع بقدوم الحملة الإنجليزية تقاعس عن الحضور ، حتى يتم وضوح الأمر ، ويعيد ترتيب حساباته بناء على نتيجة الحرب .

فلما سمع بانتصارات الشعب المصرى ، حضر إلى القاهرة ووقَّع صلحًا مع فريزر قائد الحملة ، وخرجت الحملة تجر أذيال الخيبة ، وفى نفس التوقيت توفى محمد بك الألفى ، عدو محمد على التقليدى ، فأصبح الأمر مُستتبًّا لمحمد على .

وقد بدأ محمد على يعمل على توطيد حكمه فى مصر ، ولتحقيق هذا العمل كان ينبغى عليه أن ينفرد بالحكم دون مشاركة من أحد ، ولذلك قرر التخلص من الجند الألبان ، والزعامة الشعبية ، والمماليك .

وكان سبب عداء محمد على للجند الألبان ، هو رفضهم الانصياع لأوامره نتيجة لروحهم المتمردة ، والتى ترفض التغيير ، ونتيجة لنظرتهم لمحمد على والتى لم تتَعدَّ فى نظرهم أن محمد على فرد منهم ، خدمه الحظ ووصل به إلى الحكم . ولذلك كان من المستحيل التعاون معهم ، ولذلك بدأ محمد على يتخلص منهم عن طريق إرسالهم للحروب فى شبه الجزيرة العربية ، أو حروب السودان ، أو إرسالهم للثغور البعيدة عن القاهرة مثل دمياط ، وأسوان .

وبالنسبة للزعامة الشعبية ، فقد استغل محمد على أزمة فيضان النيل عام ١٨٠٨م ، وما ترتب عليه من انخفاض الإنتاج الزراعى ، فقام ببعض الإجراءات مثل فرض ضرائب جديدة مثل التمغة على المنسوجات . وفرض ضريبة الميرى على

أراضى الأوقاف ، وألزم الملتزمين بتقديم نصف العائد ، وهذه الإجراءات تعارضت مع مصالح بعض الفئات من الزعامة الشعبية وعندما طالبوا محمد على بتخفيف هذه الإجراءات قرر عزل بعض العلماء ونفيهم مثل السيد عمر مكرم الذى نُفى إلى دمياط ، أما بقية الزعامات الشعبية فقد لجأ لاستخدام سلاح الفتنة فى الإيقاع بينهم.

ولم يتبق لمحمد على فى سبيل توطيد حكمه سوى التخلص من المماليك ، والذين كانوا يسببون له إزعاجًا مستمرًا ، فانتهز فرصة سفر جيشه إلى بلاد العرب لمحاربة الوهابيين ، فقرر عقد حفل فى القلعة لتوديع الجيش ، ودعا إليه زعماء المماليك ، وبعد انتهاء الحفل ، وأثناء خروج المماليك من القلعة أغلق عليهم أبواب القلعة ، وأمر الجند الألبان بإطلاق الرصاص عليهم ، حتى فَنِى معظمهم عدا أمين بك ، والذى سقط بحصانه من فوق أسوار القلعة .

والسبب الذى دعا محمد على للقيام بهذه المذبحة هو خوفه من أن يستغل المماليك فرصة ذهاب جيشه لمحاربة الوهابيين ، فيقومون بقتله ، وقد كان محقًّا فى ذلك ، فلو ظل المماليك بنفس قوتهم ، ولم يتم التخلص منهم لتوقفت عملية بناء مصر الحديثة ردحًا من الزمان .

فهؤلاء المماليك كان لا يُرْجى منهم أيُّ أمل للإصلاح ، ولم يستفيدوا من التجارب التى مرت بهم ، بل جعلوا من أنفسهم مراكز استقطاب للقوى المعادية لمصر ، فمنهم مَنْ كان يوالى انجلترا مثل محمد بك الألفى ، ومنهم من كان عميلاً لفرنسا مثل البرديسى ، ومنهم من كان عميلاً لتركيا مثل عثمان بك حسن .

كما أن المماليك قد استحبوا العيش الرغد ، على حساب الشعب المصرى ، ولم يحاولوا رد الجميل لهذه البلاد التى استضافتهم ، وهم أطفال مشردون ، وأعطتهم مالم يحصلوا عليه فى بلادهم الأصلية ، بل كانوا أشبه بالطيور الجارحة شكلاً ومضمونًا ، وبرعوا فى خطف اللقمة من حلوق الشعب المصرى ، وعاشوا أشبه برؤساء العصابات ، يمارسون البلطجة فى حق الشعب المصرى .

٣ ـ بناء الدولة الحديثة

أولاً : الإصلاح السياسى :

قبل عصر محمد على كان نظام الحكم مبنيـًا على ثلاث سلطات كما عرفنا من قبل ، ثم فى عهد الحملة الفرنسية ، تغيَّر نمط الحكم ، ولو بقدر يسير ، فأصبحت هناك مجالات لمشاركة المصريين فى الحكم ، وذلك عندما قرر نابليون إنشاء ديوان عمومى ، وديوان خصوصى . وقد أكمل محمد على إدخال نظم سياسية جديدة منها إصداره القانون الأساسى فى عام ١٨٣٧م ، وكان يعتبر أول دستور ينظم العلاقة بين الدواوين الحكومية واختصاصاتها ، كما أنشأ محمد على عدة مجالس جديدة ، وهى :

(أ) الديوان العالى :

وقد حصر محمد على اختصاصات هذا الديوان فى التباحث مع أعضائه فى كل ما يتعلق بالمشروعات الحكومية ، وهو أشبه بمجلس الوزراء حاليًا ، كما أعطى محمد على لنائبه فى الديوان سلطات واسعة ، فى كل ما يتعلق بالحكومة .

(ب) الدواوين :

وهى تعتبر بمثابة وزارات ، فهناك ديوان للجهادية ، وديوان للمدارس ، وديوان للفابريقات (الصناعة)، وديوان التجارة، وديوان البحرية، وديوان الخارجية. وقد تحولت هذه الدواوين فيما بعد إلى نظارات ، ثم إلى وزارات فى عهد إسماعيل .

(جـ) المجلس العالى :

يعتبر بمثابة مجلس وزراء أيضًا ، وأُنشىء نتيجة التوسع فى أعمال الحكومة ، ويتكون من نظّار الدواوين ، واثنين من العلماء يختارهم شيخ الأزهر ، واثنين من التجار يختارهما نقيب التجار ، واثنين من الأعيان عن كل مديرية من المديريات ، واثنين كتبة للحسابات .

(د) المجلس الخصوصى :

وظيفة هذا المجلس ، تشريع اللوائح والقوانين ، وإصدار التعليمات لجميع المصالح ، ويصدر التعليمات للمجلس العمومى ، وعلى العموم قد تميزت هذه بأنها

مجالس صورية ، وإنما كان محمد على فى جوهره حاكمًا مطلقًا يمسك بكل السلطات فى يده .

ثانيًا : الإصلاح الاقتصادى :

اهتم محمد على بالإصلاح الاقتصادى ، وهدفه من ذلك بناء اقتصاد قوى يساعده على تحقيق طموحاته التى كان يرنو إليها ، وقد أدخل نظامًا اقتصاديًا جديدًا فى البلاد ، مبنيًّا على سياسة الاحتكار ، وهى قيامه بتحديد أسعار بيع وشراء المحاصيل ، وتحديد أثمان المصنوعات ، ومن أمثلة الإصلاحات التى تمت فى مجال الاقتصاد :

(أ) الزراعة :

أعاد محمد على تنظيم ملكية الأراضى الزراعية ، حيث قسّم الأراضى إلى ثلاثة أنواع من الملكية ، وهى : ملكية كبيرة وخُصِّصت لأفراد أسرته ، وكبار قواده . والنوع الثانى هى الملكية المتوسطة ، وتنقسم بدورها إلى قسمين أراضى المسموح ، وتعادل ٥٪ من زمام كل قرية تُرِكت تحت تصرف العُمَد والمشايخ للإنفاق منها على موظفى الحكومة الزائرين لهم فى المهمات .

والنوع الثانى من الملكية المتوسطة هى أرض الوسية ، وتُرِكت فى يد الملتزمين أثناء حياتهم فقط . والنوع الثالث من الملكية هو: الملكية الصغيرة ، وهى مساحات من ثلاثة إلى خمسة أفدنة وُزِّعت على صغار الفلاحين .

أما عن مجال تطوير الزراعة ، فقد قام محمد على بتنظيم الرى عن طريق إنشاء القناطر الخيرية ، وعن طريق حَفْر الترع مثل ترعة المحمودية ، كما أدخل محمد على محاصيل نقدية مثل التبغ ، والقطن . وأرسل بعثات إلى أوروبا لتعلم الزراعة على أسس حديثة ، كما أمدَّ الفلاحين بالبذور ، وكافة مستلزمات الزراعة مقابل شراء المحصول منهم بالسعر الذى يحدده ، وتُخصم أثمان ما أخذه الفلاح من المحاصيل وغيرها ، ويترك للفلاح ما يكفيه لمدة عام ، والباقى يذهب لشونة الحكومة .

(ب) الصـــناعة :

اهتم محمد على بالصناعة ، ومظاهر الاهتمام هى: إدخال التعليم الصناعى عن طريق تدريب الصبية اليتامى فى مصانع الدولة . وإرسال البعثات لأوروبا للتعلم . ومن المظاهر أيضًا التى تدل على اهتمام محمد على بالصناعة إنشاء مصانع قطاع عام ، وخصص لها ديوان الفابريكات . كما أمد الصُّناع بالمواد الخام ، وشراء المنتجات منهم بالسعر الذى يحدده .

(جـ) التجــارة :

كانت التجارة بنوعيها من أبرز اهتمامات محمد على ، فقد أنشأ توكيلات تجارية تبيع المنتجات المصرية لصالحه فى الموانئ الأوروبية ، وأنشأ أسطولاً تجاريًّا للعمل على نقل التجارة عبر البحر الأحمر .

وقد ترتب على الإصلاح الاقتصادى عدة نتائج اجتماعية ، كان من أبرزها ظهور شرائح اجتماعية جديدة ، مثل كبار ملاك الأراضى الزراعية ، وظهور طبقة عمال الصناعة ، وانتهاء نفوذ طبقة التجار ، كما تضاءل نفوذ علماء الأزهر ، وانتهى نفوذ المماليك كطبقة حاكمة .

ولكن للأسف نتيجة ضغوط الدول الاستعمارية الأوروبية على محمد على . وقيام الدولة العثمانية بتوقيع معاهدة بلطة ليمان عام ١٨٣٨م ، والتى كانت تنصُّ على حرية التجارة فى الولايات العثمانية، انتهت سياسة الاحتكار فى مصر ، وترتب عليها: إغلاق مصانع الدولة ، وتدهور الصناعات الصغيرة . كما تغير نظام ملكية الأراضى فأصبحت ملكية رقبة بدلاً من ملكية انتفاع ، كما أصبح المزارعون يزرعون ما يشاؤون من محاصيل ، كما دخل الأجانب فى مجال الاستثمار الزراعى .

ثالثًا : الإصلاح التعليمى :

اهتم محمد على بالتعليم ، وكان دافعه إلى ذلك الرغبة فى توفير كوادر تقود الدولة الحديثة ، وتوفير ضباط للجيش على قدر من الثقافة ، وقد انحصرت سياسة محمد على التعليمية فى مجالين ، وهما :

(أ) إرسال البعثات إلى أوروبا :

أرسل محمد على بعثات لأوروبا ، لتعلم العلوم الحديثة مثل الطب، والعسكرية، والزراعة ، وكانت معظم هذه البعثات تتجه إلى أوروبا ، وخصوصًا فرنسا صديقة محمد على ، ومن أبرز المبعوثين فى عهد محمد على ، الشيخ رفاعة الطهطاوى أول من أسس مدرسة للترجمة فى مصر (الألسن) .

(ب) إنشاء المدارس :

أنشأ محمد على المدارس العالية أولاً ، لتوفير كوادر قادرة على قيادة التعليم ، وكان الرافد الذى يمد محمد على بالمتعلمين هو الأزهر الشريف ، الذى قاد الحركة العلمية فى مصر ، ومن أشهر المدارس التى أنشأها محمد على مدرسة الفنون والصنائع ، مدرسة الطب ، ومدرسة المهندسخانة ، ومدرسة الألسن . ولعل أبرز ما يثبت مدى اهتمام محمد على بالتعليم قيامه بإنشاء ديوان خاص للمدارس فى عام ١٨٣٧م .

رابعًا: إنشاء الجيش والأسطول :

محمد على شخصية ذات طموح قوى ، فهو لم يكتف بكونه مجرد والٍ فقط ، بل كان يرنو ببصره لأنْ يصبح سلطانًا ، يقود امبراطورية ، وكان يدرك تمامًا مدى حاجة الحلم الذى يراوده بتكوين الامبراطورية للجيش ، ولذا اهتم بتطوير وإنشاء جيش حديث على النمط الأوروبى .

ولذلك استدعى الكولونيل (سيف) والذى عُرف بعد إسلامه باسم سليمان باشا الفرنساوى لتنظيم جيش على النمط الأوربى ، فاختار سليمان باشا أن يقيم أول مدرسة حربية فى أسوان ، والبعيدة عن جو المؤامرات والفتن ، وقد نجح فى تخريج دفعة من الضباط ، رغم المعاناة التى وجدها فى تعليمهم .

وبقى لمحمد على أنْ يقوم بتجهيز الجنود ، وكان يراعى فى ذلك عدم تجنيد الجند الألبان نظرًا لميلهم الطبيعى للتمرد ، وعدم طواعيتهم للأوامر العسكرية ، وكان يرفض تجنيد المصريين ، حتى لا يثوروا ضده ، وحتى يتفرغوا لأعمال الزراعة ،

ولذلك أحضر جندًا من السودان ، ولكن بعد فشل تجنيد السودانيين اضطر محمد على لتجنيد المصريين ، والذين أثبتوا كفاءة عالية أثناء تجنيدهم وحروبهم التى خاضوها .

أما عن الأسطول ، فقد أنشأ محمد على ترسانة لصناعة السفن فى الإسكندرية ، وجعل على رأسها مهندسًا فرنسيًا يعاونه رجل مصرى اسمه الحاج لطفى فى إدارة هذه الترسانة ، كما قام بإنشاء مدرسة بحرية لتخريج الضباط البحريين ، وقد أصبح هذا الأسطول مصدر إزعاج للدول الأوروبية ، والتى لم تهدأ حتى أتيح لها تحطيمه فى موقعة نوارين البحرية عام ١٨٢٧م .

وقد خاض الجيش المصرى عدة معارك ، قام بها الجنود المصريون وكان النصر حليفهم ، منها فتح السودان عام ١٨٢٠ ، ١٨٢٢م . حيث كانت دوافع هذا الفتح إحضار جند للجيش من أهل السودان ، ومطاردة المماليك الفارين للسودان ، وكشف منابع النيل ، وتنشيط التجارة بين البلدين ، وقد سيطر الجيش المصرى على السودان بعد عدة معارك ، كان من نتائجها ضم السودان لمصر ، وتعيين حكمدار على السودان .

ومن المعارك أيضًا التى نجح الجيش المصرى فى الانتصار فيها معركة المورة، وهى بلاد كانت خاضعة للسلطان العثمانى ، وقد ثارت ضد السلطان فاستنجد بمحمد على ، والذى أرسل بدوره جيشًا بقيادة إبراهيم باشا بن محمد على ، واستطاع القضاء على ثورة أهالى المورة ، وكان من أبرز نتائج هذه المعركة ضم جزيرة كريت لمصر .

وعلى رأس المعارك الهامة التى خاضها الجيش المصرى ، معركة نزيب فى عام ١٨٣٩م واستطاع المصريون الانتصار على الجيش التركى ، وتحطيمه تحطيمًا وصل إلى درجة إفنائه . وأصبح الجيش المصرى على أبواب استانبول ، وكاد أن يسقط الدولة العثمانية ، لولا تدخُّل الدول الكبرى ، وتوقيع اتفاقية لندن عام ١٨٤٠م . وما تلاها من فرمان ١٨٤١م . والذى أصبحت بمقتضاه مصر تُحكم وراثيًّا من أفراد أسرة محمد على ، ولولا هذه الاتفاقية لأصبحت مصر تحكم كل الممتلكات العثمانية .

٤ ـ خلفاء محمد على

١ ـ عباس الأول :

تولى عباس طبقًا لنظام وراثة عرش مصر ، وأهم الأعمال فى عهده مدّ خطوط السكك الحديدية بين القاهرة والإسكندرية عام ١٨٥٦م ، وبين القاهرة والسويس عام ١٨٥٨م . كما قام بتحويل منطقة صحراء الحصوة إلى حى سكنى وهو العباسية ، وكانت ميوله السياسية تتجه إلى انجلترا .

٢ ـ سعيد :

من أشهر الأعمال التى تمت فى عهده توقيع عقد امتياز حفر قناة السويس ١٨٥٩م ، وكان العقد ينص على أن تقوم مصر بتقديم أربعة أخماس العمال اللازمين للحفر ، وتتنازل عن جميع الأراضى اللازمة للحفر ، واللازمة لإنشاء ترعة للمياه العذبة لريّ أراضى القناة .

كما ستكون مدة العقد تسعة وتسعين عامًا ، مقابل أن تُقسم الأرباح بنسبة خمسة عشر بالمائة لمصر ، وعشرة بالمائة لمؤسسى الشركة ، وخمسة وسبعين بالمائة مصاريف تشغيل ، وبُدِئ فى الحفر عام ١٨٥٩م ، وقدمت مصر العمال اللازمين للحفر .

ومن أشهر أعمال سعيد . تحديد فترة الخدمة العسكرية للمجندين ، مع تجنيد أبناء العُمَد والأعيان ، وكانوا يُعفون من التجنيد ، ويُحسب له أيضًا أنه أول مَنْ رقَّى الضباط المصريين للرتب الأعلى فى الجيش ، مع السماح لهم بالالتحاق بالمدرسة الحربية .

٣ ـ إسماعيل[١] :

تولى الحكم بعد وفاة سعيد ، وفى عهده تم افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م ، بعد أن قام بتعديل شروط عقد امتياز قناة السويس ، واسترد الأراضى التى استولت

(١) انظر الرافعى : عصر إسماعيل ، دار الهلال ، القاهرة .

عليها شركة قناة السويس ، وألغى السخرة فى أعمال حفر القناة ، ودفع مقابل ذلك مبلغ ثلاثة ملايين جنيه تعويضًا للشركة بسبب تعديل عقد قناة السويس . وقد أقام حفلاً لافتتاح القناة دعا إليه كل ملوك وأمراء أوروبا ، وبلغت تكاليف الحفل مليونًا ونصف المليون جنيه .

كما يعتبر إسماعيل من أول الحكام الذين أدخلوا الحكم النيابى الصحيح فى مصر عن طريق إنشاء مجلس شورى النواب عام ١٨٦٦م ، وكان أعضاؤه من كبار ملاك الأراضى الزراعية ، كما أدخل نظام المجالس المحلية فى المديريات ويأتى أعضاؤها بالانتخاب والتعيين ، كما أنشأ المحاكم المختلطة .

وقد حاول إسماعيل التوسع فى استقلال مصر عن طريق شراء الفرمانات المؤدية لذلك ، منها فرمان ١٨٦٦م لجعل ولاية مصر فى أبنائه الذكور فقط ، ومنها فرمان ١٨٦٧م والذى حصل بمقتضاه على لقب خديوى . ثم توجت بفرمان ١٨٧٣م . والذى أعطى مصر استقلالاً فى كل أمورها عدا عدم عقد معاهدات سياسية مع الدول ، واستمرار دفع الجزية للدولة العثمانية ، والتى أصبحت سبعمائة وخمسين ألفًا من الجنيهات .

وقد نتج عن هذه الفرمانات زيادة عدد الجيش إلى ثلاثين ألف جندى ، بعد أنْ كان ثمانية عشر ألفًا بعد صدور فرمان ١٨٤١م ، وأصبحت مصر تضرب النقود باسمها ، وأصبح من حق إسماعيل إعطاء رتب مدنية .

ويأتى على رأس أعمال إسماعيل فى مصر التوسع تجاه الجنوب ، حيث شدد سيطرته على السودان ، وضمَّ إقليم دارفور ، والصومال . وحارب الحبشة ولكنه لم يُوفق ، وقد أصبح لمصر امبراطورية إفريقية ، كما قام إسماعيل بمحاربة تجارة الرقيق ، حتى قضى عليها .

ومن إصلاحات إسماعيل فى مجال الحكم والإدارة تقسيم مصر إلى محافظات ومديريات ، وحوَّل النظارات إلى وزارات ، كما تم فى عهده تمصير معظم الوظائف

الإدارية ، فأصبحت معظم المديريات يتولاها مديرون مصريون ، بينما كان فى عهد محمد على يتولاها الأتراك .

كما قام إسماعيل بتطوير القاهرة ، فقام برصف الطرق ، وأقام دارًا للأوبرا ، ومَدَّ خطوط الترام ، وأضيئت القاهرة بمصابيح الغاز ، كما أنشأ الحدائق والمتنزهات مثل حديقة الأزبكية ، ومد خطوط المياه النقية إلى المنازل ، وأنشأ سلسلة من القصور ، وبدأ الناس فى عهده يرتدون الملابس الافرنجية

كما كان لإسماعيل أيضًا اهتمامات تعليمية وثقافية ، ففى عهده أُنشئت أول مدرسة لتعليم البنات فى العالم الإسلامى (المدرسة السَّنية) ، وأيضًا أُنشئت فى عهده الجمعية الخيرية الإسلامية لتعليم أبناء الفقراء المسلمين ، وأيضًا زاد التعليم الأجنبى فى عهده ، وأعاد إنشاء مدارس عسكرية واهتم بالتثقيف العسكرى ، فأنشأ الجريدة العسكرية ، وكان رائد التعليم فى عهده على باشا مبارك .

أما عن الإنجازات الثقافية فى عهده فهى : قيامه بإنشاء جمعية المعارف فى عام ١٨٦٨م ، وكان الغرض منها نشر الثقافة العربية والإسلامية ، وقد قامت الجمعية بنشر العديد من أمهات الكتب فى كافة المجالات ، كما تم فى عهده أيضًا إنشاء متحف للآثار المصرية .

وظهرت عدة صحف ما زالت موجودة حتى الآن مثل صحيفة الأهرام ، والوطن ، وروضة المدارس . وكان من نتائج هذه النهضة الثقافية ارتقاء مستوى المتعلمين ، وخصوصًا طبقة الموظفين .

وقد شهد عهد إسماعيل أحداثًا خطيرة ، أثرت على مجرى التاريخ المصرى ، ولعل من أبرزها التدخل الأجنبى فى شئون مصر ، والذى أدى فى النهاية لوقوع مصر تحت سيطرة الاحتلال الإنجليزى .

وقد كان سبب هذا التدخل هو أزمة الديون ، والتى حدثت فى عهد إسماعيل بسبب إنفاقه الأموال فى التعويض الذى دفع لشركة قناة السويس (ثلاثة ملايين من

الجنيهات) وأموال حفل افتتاح قناة السويس (مليون ونصف) . وكما أنفق أيضًا على المشروعات العملاقة التى قام بها مثل تحديث القاهرة ، وإقامة سلسلة من القصور الفاخرة لإقامته .

وقد اتخذ التدخل الأجنبى فى مصر ، نتيجة أزمة الديون ، عدة صور منها إرسال بعثة كييف لدراسة الأحوال المالية فى مصر ، وتأسيس صندوق الدَّيْن وقدوم لجنة التحقيق إلى مصر ، وما ترتب عليها من نتائج ، كان من أبرزها تشكيل حكومة برئاسة نوبار باشا الأرمنى، وعضوية وزير إنجليزى للمالية ، ووزير فرنسى للأشغال، مما ترتب على هذه الأمور قيام حركة الضباط الأولى١٨٧٥م . فاضطر إسماعيل لعزل وزارة نوبار ، كما أدَّت تداعيات الأحداث فى النهاية لعزل إسماعيل عام ١٨٧٥م ، ونفيه لاستامبول ، وتعيين ابنه توفيق بدلاً منه .

٤ ـ عهد توفيق :

بدأ توفيق عهده بسلسلة من الإجراءات أثارت غضب الشعب منها : عزل وزارة شريف وتعيين نفسه رئيسًا للوزراء ، وإعادة المراقبة الثنائية ، وزاد من اختصاصات المراقبين الإنجليزى والفرنسى ، واللذان قدما مشروع بيع حصة مصر فى قناة السويس ، ووضع أملاك الدومين ، والدائرة السنية رهنًا للدين ، وإصدار قانون تصفية الديون ، وقانون المقابلة . واللذان ترتب عليهم اضطراب أحوال البلاد الاقتصادية ، ونتيجة للضغط الشعبى تخلى توفيق عن رئاسة الوزراء ، وعين رياض باشا رئيسًا للوزراء .

ولعلَّ من أبرز الأحداث التى حدثت فى عهد توفيق ، قيام الثورة العرابية ، والتى قادها الزعيم أحمد عرابى ، تحقيقًا لمطالب الشعب المصرى ، وتعتبر هذه الثورة هى الحركة الثانية للجيش بعد الحركة التى حدثت فى أواخر عصر إسماعيل .

وكان من أسباب الثورة العرابية : استمرار التدخل الأجنبى فى شئون مصر الداخلية ، وصدور قانون المقابلة ، والذى تسبَّب فى تدهور أحوال المزارعين ،

بالإضافة لأسباب تتعلق بالجيش منها : رفض وزير الحربية الجركسى عثمان ، رفض ترقية الضباط المصريين ، وإيثار العناصر التركية والجركسية عليهم فى الترقيات ، وأيضًا نقل الأميرالاى عبد العال حلمى لوزارة الحربية بدلاً من قيادة آلاى طرة .

وقد بدأت مقدمات الثورة عندما رفع زعماؤها عريضةً لتوفيق يطلبون فيها عزل عثمان رفقى من وزارة الحربية ، وإصلاح أحوال الجيش ، ولكن توفيق قام بوضع أحمد عرابى ورفاقه فى السجن بثكنات قصر النيل ، فقام الضباط بحصار الثكنات وأفرجوا عن أحمد عرابى ورفاقه بقوة السلاح .

وفى ٩ سبتمبر عام ١٨٨١م . قام الجيش بمظاهرة عابدين ، وعرض فيها على توفيق مطالب الشعب والجيش ، وهى :

١- إسقاط وزارة رياض باشا .

٢- إصدار دستور للبلاد .

٣- زيادة عدد الجيش إلى ١٨ ألف جندى .

فاستجاب توفيق لمطالب الجيش ، وتم عزل رياض باشا ، وتشكيل حكومة برئاسة شريف باشا . وعيّن فيها محمود سامى البارودى وزيرًا للحربية ، ولكن الدولتين انجلترا وفرنسا أرسلتا مذكرة مشتركة أعلنا فيها وقوفهما بجوار توفيق .

ونتج عن هذه المذكرة استقالة وزارة شريف ، وتعيين وزارة جديدة برئاسة محمود سامى البارودى ، وعُيِّن فيها عرابى وزيرًا للحربية ، وقامت الوزارة بعدة إصلاحات للجيش ، وأصدرت دستورًا وأعطت النواب سلطة حق مناقشة الديون. ولكن تدخُّل انجلترا وفرنسا عن طريق إرسال مذكرة مشتركة يطلبان فيها عزل وزارة البارودى. ونَفْى أحمد عرابى خارج البلاد كان سببًا داعيًا لاستقالة حكومة البارودى ، وظل عرابى وزيرًا للحربية .

وقد حدثت مجموعة أحداث أدت إلى التعجيل باحتلال مصر ، وهذه الأحداث هى قيام مشاجرات بين السكان الوطنيين فى الإسكندرية والأجانب المقيمين بالمدينة : نتيجة الاختلاف على أجرة ركوب الحمار ، والذى رفض الراكب المالطى دفعها إلى المصرى ، وقد استغلت انجلترا هذه الحادثة ودعَتْ لعقد مؤتمر الأستانة .

مؤتمر الأستانة :

عُقد هذا المؤتمر بتحريض من انجلترا ، وحضرته الدولة العثمانية ، وفرنسا ، وبعض الدول الأوروبية لمناقشة الأوضاع فى مصر ، وقد تعهدت الدول الحاضرة فى المؤتمر بعدم التدخل فى شئون مصر ، إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك ، وهى العبارة التى أضافها مندوب انجلترا .

وقد اتخذت انجلترا من قيام أحمد عرابى ، بتحصين مدينة الإسكندرية وادعت أن أحمد عرابى يهدد الأمن ، والسلم العالمى . فأرسل قائد الأسطول الإنجليزى رسالة تحذير إلى أحمد عرابى بوقف التحصينات ، ولما رفض أحمد عرابى ، قام الأسطول الإنجليزى بضرب مدينة الإسكندرية واحتلها .

أما أحمد عرابى فرفض مقابلة توفيق ، وشكَّل مجلسًا عرفيًّا لإدارة البلاد ، وانسحب إلى مدينة كفر الدوار ، وقام بتحصينها ، وعند كفر الدوار انتصر المصريون على الإنجليز ، فاضطر الإنجليز للدخول إلى مصر عبر قناة السويس ، فحاول عرابى ردم القناة ، ولكن ديليسبس أقنعه بحياد القناة .

وبعد ذلك سمح للسفن الإنجليزية بالمرور ، وتقابل الجيش المصرى مع الإنجليزى فى موقعة القصاصين ، ولكن تمكن الإنجليز من إحراز النصر على المصريين ، ثم حدثت المعركة الفاصلة ، وهى معركة التل الكبير ، وأحرز الإنجليز فيها أيضًا الانتصار، وتقدم الإنجليز تجاه مدينة القاهرة ، واحتلوها فى عام ١٨٨٢م، وأُلقى القبض على أحمد عرابى ، وحُوكم أمام محكمة عسكرية قضت بإعدامه ، ثم خُفِّف الحكم بنفيه إلى جزيرة سرنديب (سيلان حاليًا) .

ولعل القارئ يتساءل عن أسباب هزيمة الجيش المصرى فى معركة التل الكبير ، وأسباب الهزيمة تعود إلى تفوق الأسلحة الإنجليزية ، وخيانة قبائل البدو لجيش عرابى ، وإعلان السلطان العثمانى عصيان عرابى مما أضعف من عزيمة الجنود .

بالإضافة لعدم توحد الاتجاهات تجاه عرابى فبعض الاتجاهات ترى أن عرابى يجب عليه محاربة الإنجليز فقط ، وعليه أن يكون مواليًا للخديوى . والاتجاه الآخر يرى أن سبب البلاء هو الخديوى والإنجليز ، وبناء عليه يجب محاربتهما .

وقد اتبعت انجلترا سياسة فى مصر مبنية على استخدام أسلوب الحكم الغير مباشر فى مصر ، مع الإبقاء على تبعيتها للدولة العثمانية خوفًا من إثارة غضب العثمانيين ، كما أصدرت القانون الأساسى عام ١٨٨٣م لرسم ملامح السياسة الإنجليزية فى مصر .

وعيَّنت اللورد كرومر مندوبًا ساميًا فى مصر ، وأعطيت له صلاحيات واسعة ، كما قامت انجلترا بحلِّ مجلس النواب واستبدال مجالس صورية بدلاً منه ، وهى الجمعية التشريعية ، ومجلس شورى القوانين ، والمجالس المحلية .

كما سُرِّحت أعداد كبيرة من الجيش الذين شاركوا فى الثورة العرابية ، وجعلت الجيش غير قادر على الدفاع ، باتباع أساليب تدريب لا تمكنه من أداء واجباته المنوط بها .

٥ ـ عهد عباس حلمى الأول :

تولَّى بعد توفيق ، وفى عهده ظهرت الحركة الوطنية لمناهضة الإنجليز بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد ، وقد استهل عباس حلمى حكمه بالصدام مع الإنجليز حينما عزل رجل الإنجليز مصطفى فهمى من رئاسة الوزراء ، وتعيين حسين فخرى بدلاً منه ، فاعترض كرومر على هذا التعيين ، فاضطر عباس للمهادنة ، فتمَّ تكليف رياض باشا بالوزارة .

أما من حيث علاقته بالشعب ، فقد تقرَّب عباس حلمى للشعب ، ومن مظاهر هذا التقارب الإفراج عن مسجونى الثورة العرابية ، والإفراج عن عبد الله النديم زعيم وخطيب الثورة العرابية ، وقد كان من نتائج هذا التقارب بثّ الروح فى نفوس الشعب ، ضد الاحتلال الإنجليزى ، وتبلور ذلك فى ظهور صحف مثل العروة الوثقى للإمام محمد عبده ، وظهور جمعيات سرية لمحاربة الإنجليز مثل (جمعية الانتقام) .

٥ ـ ظهور مصطفى كامل

من الشخصيات الوطنية ، والتى قادت الكفاح ضد الإنجليز ، شخصية مصطفى كامل ، والذى انتهج فى كفاحه سياسة مبنية على التنسيق مع عباس حلمى فى مواجهة الإنجليز ، وتنسيق العمل مع السلطان العثمانى ، والاتصال بالجمعيات ، والصحافة الفرنسية ، لفضح ممارسات الاستعمار البريطانى فى مصر .

وقد قام مصطفى كامل بإصدار جريدة اللواء فى عام ١٩٠٠م . وجريدة العالم الإسلامى فى عام ١٩٠٥م . وكان الغرض من إصدار الجريدتين مواجهة الاستعمار الإنجليزى ، كما دعا مصطفى كامل لإنشاء الجامعة الأهلية ، وأسس الحزب الوطنى فى عام ١٩٠٧م .

ولكن الأمر لم يكُنْ سهلاً أمام مصطفى كامل ، نتيجة سياسة الوفاقات والتحالفات ، والمصالح المشتركة بين الدول الأوروبية ، ولذلك تأثر مصطفى كامل بتوقيع الاتفاق الودى عام ١٩٠٤م بين انجلترا وفرنسا مما اضطر فرنسا للتخلى عن مناصرة مصطفى كامل ، كما أن تراجع عباس حلمى عن مناصرة الحركة الوطنية أدى لضعف موقف مصطفى كامل .

حادثة دنشواى سنة ١٩٠٦م :

دنشواى قرية من قرى محافظة المنوفية ، وقد قام مجموعة من الضباط الإنجليز برحلة لصيد الحمام ، فأصابت إحدى الرصاصات سيدة مصرية ، فتجمع الأهالى ، وهرب الإنجليز وأثناء هروبهم هلك أحدهم بضربة شمس . فشكلت محكمة صورية برئاسة أحد عملاء الإنجليز ، وقضت بإعدام خمسة ، وجلد خمسة ، ومعاقبة اثنى عشر بالأشغال لمدد متفاوتة . فبدأ مصطفى كامل حملته فى الصحف ، ومخاطبة الضمير العالمى . ونجح فى ذلك ، حيث قامت انجلترا بعزل كرومر ، والإفراج عن مسجونى دنشواى .

وقد تُوفى مصطفى كامل (رحمه الله تعالى) فى عام ١٩٠٨م وحمل لواء الكفاح من بعده الزعيم محمد فريد . ومن أقوال مصطفى كامل الوطنية (لو لم أكُنْ مصريًّا ، لوددتُ أن أكون مصريًّا) . وأيضًا (بلادى - بلادى - لكِ حبى ، أنت الأمل يا مصر) .

محمد فريد

كان نائبًا لمصطفى كامل ، وتولى رئاسة الحزب الوطنى بعد وفاته ، وكان محمد فريد يطالب بجلاء الإنجليز عن مصر ، وإصدار دستور للبلاد ، وإنشاء نقابات للعمال ، وقد واجهت محمد فريد عدة أحداث ، أثَّرت على مسيرته الكفاحية وهى إصدار قانون المطبوعات عام ١٩٠٩م ، والذى اعتبر المقالات السياسية التى تهاجم الإنجليز جناية ، وكانت من قبل تُعتبر جنحة ، ولكن هذا القانون لم يُوهِن عزيمة محمد فريد ، وإنْ كان قد أدى لسجنه لمدة ستة أشهر .

أما الحدث الثانى فهو محاولة انجلترا ، مدّ امتياز قناة السويس فتصدى لهذا المشروع محمد فريد ، وهاجم الفكرة ، وكان من نتائج هذا الصمود اغتيال رئيس الوزراء بطرس غالى ، الذى كان يحاول مدَّ هذا الامتياز تنفيذًا لرغبة انجلترا .

وقد تم سجن محمد فريد ستة أشهر ، وذلك بعد قيامه بكتابة مقدمة لديوان وطنيتى ، حثّ فيها الشعب على حب الأوطان ، وبعد خروجه من السجن ، سافر إلى ألمانيا ، وظل يكافح ، وينفق من أمواله حتى صار فقيرًا ، وقد أصابه المرض ، وتوفى (رحمه الله تعالى) فى ألمانيا ، ودُفن هناك . وقد تبرع الأعيان المصريون لإحضار جثمان محمد فريد من ألمانيا ، وأُعيد دفن الجثمان فى مصر . (رحم الله سبحانه وتعالى محمد فريد رحمةً واسعة) .

٦ ـ الحرب العالمية الأولى وأثرها على مصر
(١٩١٤ـ ١٩١٨م)

اندلعت الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤م ، وكانت بين طرفين وهما مجموعة دول الوفاق (انجلترا – فرنسا – إيطاليا – روسيا) . ضد مجموعة دول الوسط (ألمانيا – النمسا – المجر – الدولة العثمانية) . وكان سبب هذه الحرب هى اغتيال ولى عهد النمسا فى مدينة صربيا ، فأعلنت النمسا الحرب على صربيا ، ووقف الروس بجوار صربيا ، وبالتالى أيدت انجلترا روسيا ، أما الدولة العثمانية فقد دخلت الحرب أملاً فى استرداد ولاياتها التى سُيطِر عليها من قِبَل فرنسا وانجلترا .

وقد قامت انجلترا بعدة إجراءات فى مصر ، أثناء الحرب العالمية الأولى ، وهذه الإجراءات كانت ترغب من ورائها ضمان حيادية مصر أثناء الحرب ، فقد عزلت عباس حلمى الثانى من الحكم ، وعيَّنت بدلاً منه (حسين كامل) سلطانًا على مصر ، مع إلغاء السيادة العثمانية على مصر .

وكان الغرض من ذلك إيجاد سلطتين فى العالم الإسلامى ، والانتقام من تركيا لاشتراكها فى الحرب ، كما أعلنت انجلترا الأحكام العرفية فى مصر ، واستولت على المحاصيل والدواب خدمة للمجهود الحربى ، وكوَّنتْ فيلقًا من العمال المصريين للعمل على مدِّ خطوط السكك الحديدية ، وإنشاء الطرقات وعطلتْ مصالح المصريين .

وقد انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار دول الوفاق على دول الوسط ، وقد انضمت الولايات المتحدة الأمريكية ، إلى دول الوفاق وأعلن رئيسها ويلسون مبادئه، والتى كان منها حق تقرير المصير للشعوب المحتلة ، والتى ساعدت دول الوفاق فى الحرب العالمية الأولى .

ثورة ١٩١٩م [1]

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م ، وانطلاقًا من مبدأ الرئيس الأمريكى ويلسون ، وهو حق كل شعب فى تقرير مصيره ، ذهب وفد مصرى مكوَّن من سعد زغلول ، ومحمد الباسل ، وإسماعيل صدقى إلى دار (ونجت) المندوب السامى البريطانى فى مصر ، للسماح لهم بالسفر إلى باريس لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح .

ولكن السيرونجت رفض بحجة أن سعد زغلول ليس وكيلاً عن الأمة ، فبدأ سعد زغلول حملة جمع التوكيلات ، والتى نجح من خلالها فى الحصول على توكيلات تتيح له التفاوض نيابةً عن المصريين ، وعندما ذهب بها إلى دار المندوب السامى لعرضها عليه . أمر بنفى سعد زغلول ورفاقه إلى جزيرة مالطة ، ومن هنا اشتعلت ثورة ١٩١٩م .

وقد اشتعلت الثورة فى جميع أنحاء مصر ، وشارك فيها المسلمون والمسيحيون ، والنساء ، والأطفال ، والشباب ، وطلاب المدارس والعمال ، والفلاحون . وانتشرت الثورة فى جميع أنحاء مصر ، وقد حاولت انجلترا التصدى للثورة مرة بالقوة المسلحة، ولكنها فشلت فلجأت لسلاح الفتنة وقالت : إنها ثورة متعصبين مسلمين ، ولكن المسيحيين المصريين اشتركوا فى الثورة ، وكان اشتراكهم ردًا على ادعاءات انجلترا الكاذبة ، بأنهم مضطهدون ، وأحيانًا تدعى انجلترا أن زعماء ثورة ١٩١٩م . كانوا شيوعيين .

ولكن كل هذه الدعاوى لم تجد آذانًا مُصغية لدى المصريين ، بل واصل الأهالى الثورة ، لحدِّ إثارة إعجاب العالم ، والذى كان يرى كيف كان الشعب المصرى يتحدى بريطانيا ، والتى كانت منتصرة فى الحرب العالمية الأولى ، مما أثار إعجاب العالم كله بشجاعة هذا الشعب .

---

(١) انظر : عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩م .

وتحت ضغط الثورة اضطرت انجلترا ، للإفراج عن سعد زغلول ، والسماح له بالسفر لمؤتمر الصلح فى باريس ، ولكن مؤتمر الصلح خيَّب آمال المصريين حيث وافقت الدول الأوروبية على الحماية الإنجليزية على مصر ، كما قامت انجلترا بإرسال لجنة (ملنر) لمفاوضة المصريين .

وبعد عودة الوفد من باريس ، تجددت الثورة مرة ثانية ، ونفى سعد زغلول إلى جزيرة (سيشل) فى المحيط الهندى ، كما فشلت المفاوضات مع عدلى يكن رئيس الوزراء ، فاستقال ، وتم تشكيل وزارة جديدة برئاسة عبد الخالق ثروت ، وفى عهد هذه الوزارة صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م .

تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م :

من أهم البنود التى نص عليها التصريح إلغاء الحماية البريطانية على مصر ، واعتبارها دولة مستقلة ، تهيئة البلاد للحكم الدستورى وإلغاء الأحكام العرفية ، ولكن التصريح شمل أربعة تحفظات وهى : تأمين مواصلات بريطانيا فى مصر ، الدفاع عن مصر ضد أىِّ هجوم ، حماية الأقليات فى مصر ، استمرار أوضاع السودان كما هو عليه.

وقد أثار التصريح جدلاً منذ صدوره ، فقد اعتبره الشعب استقلالاً صوريًّا بسبب وجود التحفظات الأربعة ، والتى أصبحت نقاطًا للمجادلة ، ودخلت الحكومات المصرية فى مفاوضات مع انجلترا ، لتعديل هذه الشروط . وسواء اختلف أو اتفق الشعب مع التصريح ، إلا أنه ترتبت عليه نتائج هامة ، وهى صدور دستور ١٩٢٣م .

وقد أشاع صدور هذا التصريح نوعًا من الهدوء والأمان فى مصر، ولو إلى حين، كما ترتب على هذا التصريح عودة وزارة الخارجية مرة ثانية إلى مصر .

دستور ١٩٢٣م :

شُكِّلت لجنة من ثلاثين عضوًا لوضع دستور لمصر ، وصدر الدستور فى ١٩ أبريل سنة ١٩٢٣م ، وأهم ما نص عليه الدستور الجديد هو أن الأمة هى مصدر

السلطات ، وأن الملك يملك ولا يحكم ، ويمارس سلطته من خلال الوزارة ، كما أن له حقَّ إعفاء الوزراء من مناصبهم . وله أيضًا حق حلّ البرلمان .

كما نصّ الدستور على قيام برلمان مكوّن من مجلسين ، وهما مجلس النواب ، وأعضاؤه منتخبون ، وهو الذى يحق له سحب الثقة من الوزراء ومراقبة أعمال الوزارات ، ومجلس شيوخ يتكوَّن من ثلاثة أخماس أعضائه بالانتخاب ، والباقى بالتعيين لمدة عشر سنوات ، كما اعتبر الدستور أن السلطة القضائية مستقلة ، ولا يتدخل فيها أحد .

وكان من نتائج دستور ١٩٢٣م إجراء انتخابات جديدة ، فاز بها حزب الوفد ، وشكَّل سعد زغلول أول وزارة منتخبة فى تاريخ مصر ، عُرِفت باسم وزارة الشعب ، وقد وُجِّه نقد كثير لدستور ١٩٢٣م . أنه أعطى للملك حق حلِّ البرلمان ، وإقالة الوزارة ، مما جعل السلطة التشريعية تحت رهن إشارة الملك ، ولكن كانت هناك جوانب إيجابية منها تمصير الوظائف ، وإلغاء وظائف المستشارين الأجانب .

وقد بدأ سعد زغلول عهد وزارته فى الدخول مع الإنجليز فى مفاوضات حول نقاط أربعة ، وهى التحفظات التى جاءت فى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م والنقاط الأربعة هى : الاستقلال التام ، وجلاء الإنجليز عن البلاد ، وقيام مصر بمسئوليتها فى حماية قناة السويس ، وحرية مصر فى رسم سياستها الخارجية ، وحريتها فى تولِّى شئون الأقليات والأجانب ، ولكن بريطانيا رفضت هذه المطالب .

حادثة السير لى ستاك :

ملخص هذه الحادثة هى قيام مجموعة من الشباب الثوار ، باغتيال لى ستاك سردار الجيش المصرى ، وحاكم السودان فى القاهرة ، فاستغلت انجلترا هذا الحادث وأرسلتْ إنذارًا لحكومة سعد زغلول يتضمن أربعة بنود ، وهى :

١ – تدفع مصر غرامة مقدارها نصف مليون جنيه .

٢ – سحب القوات المصرية ، والموظفين من السودان .

٣- زيادة الأراضى المزروعة قطنًا فى السودان .

٤ - تشديد العقوبة على قتلة السردار .

والمتتبع لهذا الإنذار يجد فيه تعنتًا ، فبالنظر إلى البند الثانى ، وهو سحب الموظفين والجيش من السودان ، يرى أن انجلترا تحاول الانفراد بالسودان . والبند الثالث الذى ينص على زيادة مساحة الأراضى المزروعة قطنًا فى السودان . يوضح أن انجلترا تريد ضرب الاقتصاد المصرى ، ومن أجل هذه الأسباب قدم سعد زغلول استقالته .

وقد تولَّى بعد سعد زغلول أحمد زيوار رئيسًا للوزراء ، فاستجاب لمطالب الإنذار الإنجليزى ، وقد حاول أعضاء البرلمان طرح عدم الثقة فى حكومة أحمد زيوار وعقدوا اجتماعًا فى فندق الكونتننتال ، فقام الإنجليز بإرسال قطع بحرية وهددوا بضرب مدينة الإسكندرية ، وحتى لا يتكرر الأمر كما حدث مع الثورة العرابية رفض سعد زغلول العودة لمنصب رئيس الوزراء . وقد توفى سعد زغلول (رحمه الله تعالى) فى أغسطس عام ١٩٢٧م ، وخلفه فى زعامة الوفد مصطفى النحاس باشا .

وقد دخلت البلاد بعد وفاة سعد زغلول فى دوامة حكومات الأقليات ، فشكَّلت وزارات ، مرة برئاسة عدلى يكن ، ومرة برئاسة عبد الخالق ثروت ، والذى دخل فى مفاوضات مع تشمبرلين ، كما شهدتْ البلاد تشكيل حكومات إئتلافية برئاسة مصطفى النحاس ، ولكنها انهارت تحت شدة وطأة مناورات الملك ، وأُقيلت عام ١٩٢٨ .

وتشكلت وزارة برئاسة محمد محمود عطلت الحياة النيابية ، واضطربت أحوال البلاد فشكلت حكومة برئاسة مصطفى النحاس بعد إجراء انتخابات ، ولكن الملك عاملها معاملة الخصم ، فاضطر النحاس لتقديم استقالته .

وكانت أخطر الحكومات التى شُكِّلت فى مصر ، حكومة إسماعيل صدقى ، والذى ألغى دستور ١٩٢٣م ، واستبدل به دستور عام ١٩٣٠م ، مما أدى لإثارة

غضب الشعب ، فنظم المظاهرات ، والتى حدث من خلالها صدام بين الشعب ، والشرطة . واتجه إسماعيل صدقى لاستخدام أساليب البطش ، ولكن كلّ مساعيه باءت بالفشل ، فاستقال فى عام ١٩٣٣م ، وأعيد العمل بدستور ١٩٢٣م .

وقد حدثت متغيرات دولية كان لها الأثر على مصر ، وهى قيام إيطاليا فى عام ١٩٣٥م بغزو الحبشة ، وأصبحت تهدد انجلترا من الشرق ، حيث كانت إيطاليا تحتل اريتريا ، والصومال ، فأصبح الوجود البريطانى فى السودان مهددًا بالخطر ، كما كانت تحتل إيطاليا ليبيا منذ عام ١٩١١م .

وبذلك أصبحت بريطانيا مهددة بالخطر من جهة الغرب ، مما أدى لتوقع بوادر حرب عالمية جديدة ، مما حدا ببريطانيا أن تحاول إيجاد صيغة جديدة للتعامل مع مصر ، فبدأت تفكر فى طرح مشروع معاهدة جديدة ، تنظم من خلالها العلاقات المصرية البريطانية ، فكان مشروع معاهدة ١٩٣٦م .

معاهدة ١٩٣٦م :

كانت الأسباب الداعية لتوقيع هذه المعاهدة ، هى بشائر الحرب العالمية الثانية ، وقد عُقدت لجنة للتفاوض مع انجلترا لتوقيع هذه المعاهدة ، وقد نصَّتْ المعاهدة على بنود ، وهى :

١ - إنهاء الاحتلال الإنجليزى لمصر مع بقاء قوات إنجليزية فى قاعدة قناة السويس.

٢ - عودة الجيش والموظفين المصريين إلى السودان .

٣ - تساعد انجلترا مصر على التخلص من الامتيازات الأجنبية .

٤ - تتولى انجلترا تدريب الجيش المصرى .

٥ - تتعهد مصر بتقديم مساعدات لانجلترا أثناء الحرب .

٦ - مساعدة مصر على الانضمام لعصبة الأمم .

٧ - حرية مصر فى توقيع أية معاهدات لا تتعارض مع هذه المعاهدة .

وقد تعرضت هذه المعاهدة لنقد ، وأيضًا انقسم المصريون تجاهها إلى فريقين ، وهما فريق معارض يرى أن مصر اعترفت بالاحتلال الإنجليزى فى هذه المعاهدة ، وأنها معاهدة أبدية . بينما الفريق المؤيد يرى أنها اعتراف من انجلترا باستقلال مصر ، وأن المعاهدة حققت مكاسب وهى عودة الجيش والموظفين للسودان .

وقد ساعدت المعاهدة مصر فعلاً فى إلغاء الامتيازات الأجنبية ، والتى أُلغيت فى مؤتمر مونترو بسويسرا عام ١٩٣٧م ، كما أن إبعاد العناصر الأجنبية من البوليس المصرى يعتبر من مكتسبات المعاهدة .

وبعد قيام الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩م . قدَّمت مصر مساعدات لانجلترا وحلفائها أثناء الحرب ، وقامت بإنشاء العديد من الطرق للمجهود الحربى البريطانى ، وتُعرف هذه الطريق حتى الآن باسم طريق المعاهدة ، وهى طريق مصر / السويس . مصر / الإسماعيلية . وكان من نتيجة تقديم المساعدات لانجلترا. أنْ تعرضت مصر لغارات من الألمان وحلفائهم .

وفى أثناء اشتعال الحرب العالمية الثانية، دخل الملك فى صراع مع حكومة الوفد، أدى إلى عزل مصطفى النحاس من الحكومة فتدخلت انجلترا لإعادة النحاس للحكم فيما عُرف باسم حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢م ، عندما قامت الدبابات الإنجليزية بحصار قصر عابدين ، واجبار فاروق على إعادة حكومة النحاس ، أو عزله شخصيًّا من الحكم ، فأعاد الملك حكومة النحاس .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، عزل فاروق النحاس للمرة الثانية ، ولم تتدخل انجلترا لإعادته ، وقد حكمت البلاد عدة حكومات أقلية ، ومن أشهر هذه الحكومات حكومة أحمد ماهر (أكتوبر ١٩٤٤م حتى فبراير ١٩٤٥م) . وحكومة النقراشى (٢٤ فبراير ١٩٤٥م إلى ٥ فبراير ١٩٤٦م) ، وإسماعيل صدقى (١٧ فبراير ١٩٤٦ إلى ٩ ديسمبر ١٩٤٦م)، ومن (٩ديسمبر ١٩٤٦م إلى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م). ثم حكومة النقراشى الثانية (٩ ديسمبر ١٩٤٩ م إلى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م) وإبراهيم

عبد الهادى (من ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م إلى ٢٥ يوليو ١٩٤٩م) ، وحكومة حسين سرى (من ٢٥ يوليو ١٩٤٩م إلى ١٢ يناير ١٩٥١م) .

أما أهم الأحداث التى مرت بها مصر فى هذه الفترة فهى تأسيس جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥م فى عهد حكومة النحاس ، وتعيين عبد الرحمن عزام أول أمين للجامعة ، ومن أشهر الأحداث فى تلك السنوات دخول مصر حرب فلسطين عام ١٩٤٨م بالاشتراك مع الجيوش العربية لدفع العصابات الصهيونية عن فلسطين ، وقد أبلى الجيش المصرى بلاءًا حسنًا فى هذه الحرب ، كما ظهرت قضية الأسلحة الفاسدة .

وقد دخلت مصر فى مفاوضات مع انجلترا لتعديل معاهدة ١٩٣٦م فى عهد حكومة النقراشى ، ولما فشلت هذه المفاوضات عُرِضت قضية مصر على مجلس الأمن ، الذى لم يتخذ أىّ قرار ، بل ترك القضية معلقة .

وقد أُجريتْ انتخابات عامة ، فاز فيها حزب الوفد عام ١٩٥٠م وتم تشكيل وزارة جديدة برئاسة مصطفى النحاس ، حاولتْ تعديل معاهدة ١٩٣٦م ، فى الفترة من ١٩٥٠ — ١٩٥١م . وعندما فشل التعديل قام مصطفى النحاس بإلغاء معاهدة ١٩٣٦م من طرف واحد .

وكان من نتائج إلغاء المعاهدة بداية الكفاح المسلح ، والذى تولاه الفدائيون فى قناة السويس ، وبدأوا فى مهاجمة المعسكرات الإنجليزية فى القناة ، مما أقلق مضاجع الجيش الإنجليزى .

ونتيجة لأعمال الفدائيين ، قام الإنجليز بالهجوم على مبنى محافظة الإسماعيلية فى ٢٥ يناير ١٩٥٢م ، وقاوم رجال الشرطة البواسل بأسلحتهم البسيطة ، القوات الإنجليزية المدججة بالأسلحة ، مما أدّى إلى استشهاد الكثير من رجال الشرطة ، فاشتعلت المظاهرات فى القاهرة تندد بالاحتلال الإنجليزى ، مما أدى لاندلاع الحرائق بالقاهرة ، وهى الحادثة المشهورة بحريق القاهرة فى يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢م .

وكان من نتائج حادثة حريق القاهرة ، عزل حكومة مصطفى النحاس ، وتعيين وزارة جديدة برئاسة على ماهر ، ولكنها لم تمكث فى الحكم سوى شهر واحد ، ثم شُكِّلت وزارة برئاسة نجيب الهلالى ، الذى قام بحلِّ البرلمان . واستقال فى ٢٨ يونيه ١٩٥٢م . وبعده تشكلت وزارة برئاسة حسين سرى ، واستمرت لمدة ثمانى عشر يومًا فقط ، ثم عُيِّنَ الهلالى رئيسًا للوزراء للمرة الثانية ، ولكن قامت الثورة بعد تولِّيه الوزارة بيوم واحد .

٧ ـ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م [1]

(عودة الروح)

عوامل قيام ثورة ١٩٥٢م :

١ – استمرار الاحتلال الإنجليزى .

٢ – قضية الأسلحة الفاسدة فى حرب فلسطين .

٣ – سوء الأحوال الاقتصادية .

٤ – سوء الأحوال الاجتماعية .

٥ – فساد النظام الملكى .

مقدمات الثورة :

نتيجة السياسات الخاطئة ، والتى تعرَّض لها الجيش المصرى فى عهد الملكية ، منها استمرار الإشراف عليه من الضباط الإنجليز ، والذين حاولوا إضعافه بشتى الطرق ، بالإضافة لإهمال الحكومة شئون التسليح ، واتضح ذلك خلال حرب فلسطين ١٩٤٨م . كل هذه النتائج كانت سببًا رئيسيًّا فى قيام مجموعة من الضباط الوطنيين فى الجيش بتكوين تنظيم الضباط الأحرار ، والذى أخذ على عاتقه تخليص مصر من كل ما تعانيه .

وقد تم تكوين تنظيم الضباط الأحرار ، فى سبتمبر ١٩٤٩م ، برئاسة الزعيم الراحل (جمال عبد الناصر) وكان التنظيم فى بدايته سريًّا ، نظرًا لأن قوانين الجيش تمنع العمل السياسى ، وخوفًا من عيون المخابرات العسكرية المصرية والإنجليزية .

وكانت أولى بدايات عمل تنظيم الضباط الأحرار ، هو قيادة انتخابات نادى الضباط ، حيث رشح الضباط الأحرار اللواء (محمد نجيب) ليكون مرشحًا ضد مرشح السراى (حسين سرى عامر) ، وقد استطاع الضباط الأحرار الفوز فى هذه

(١) انظر عبد الرحمن الرافعى : مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، مكتبة الأسرة .

الانتخابات ، والتى جرتْ فى عام ١٩٥١م ، وعندما حاول الملك فاروق تمثيل سلاح الحدود فى مجلس إدارة النادى ، رُفِض اقتراحه ، وبذلك يكون قد فقد السيطرة على الجيش . وكان لهذه الانتخابات نتيجة هامة وهى خروج تنظيم الضباط من السرية إلى العلانية .

قيام الثورة :

كان الميعاد المحدد للثورة هو عام ١٩٥٥م ، ولكن الأحداث التى مرت بها مصر كانت سببًا فى الإسراع بقيام الثورة ، وهذه الأحداث هى حريق القاهرة فى ٢٩ يناير ١٩٥٢م ، وحالة الفوضى التى سادت عقب الحادث بالإضافة لعدم استقرار الحكومات ، والتى وصل عددها إلى أربع وزارات فى مدة لا تتجاوز ستة أشهر .

كما أن قيام الملك فاروق بحلِّ مجلس نادى الضباط ، وكشف أسماء تنظيم الضباط الأحرار ، بالإضافة لتعيين حسين سرى عامر وزيرًا للحربية ، حيث كان يرغب فى التنكيل بالثوار ، ولذلك قدَّمت الثورة ميعادها ليكون فى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م .

وكانت خطة الثورة مبنية على : احتلال دار الإذاعة ، بالإضافة لقيام قوات بمحاصرة مقر القيادة العامة للقوات المسلحة ، حتى لا تجد القوات المناوئة للثورة ، قيادةً تحركها ، بالإضافة لإغلاق مداخل القاهرة من الشرق ، والشمال .

وقد تقدمت قوات عسكرية ، خرجت من معسكر (الهايكتسب) بقيادة المقدم (يوسف صديق) واستطاع هذا البطل حصار مقر قيادة القوات المسلحة بكوبرى القبة ، رغم المرض الذى كان يعانيه فى صدره ، واستطاع هذا البطل إلقاء القبض على معظم القواد الذين كانوا مجتمعين ، ثم توالى وصول القوات لدعم قوات الاقتحام .

وفى تمام الساعة السابعة والنصف ، أُذيع بيان الثورة من الإذاعة المصرية ، وكان نص البيان من اللواء محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة إلى الشعب المصرى :

(اجتازت مصر فترة عصيبة من تاريخها الأخير من الرشوة ، والفساد ، وعدم استقرار الحكم . وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش . وتسبب المرتشون والمغرضون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين . وأما فترة بعد الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد ، وتآمر الخونة على الجيش . وتولَّى أمره إما جاهل ، أو خائن ، أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها .

وعلى ذلك قمنا بتطهير أنفسنا وتولَّى أمرنا فى داخل الجيش رجال نثق فى قدرتهم ، وفى خلقهم ، وفى وطنيتهم ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب ، أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر ، وسيُطلق سراحهم فى الوقت المناسب . وإنى أؤكد للشعب المصرى أن الجيش كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور ، مجردًا من أية غاية .

وأنتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف ، لأن هذا ليس فى صالح مصر ، وأن أى عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل ، وسيلقى فاعله جزاء الخائن فى الحال . وسيقوم الجيش بواجبه متعاونًا مع البوليس ، وإنى أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم ، وأرواحهم ، وأموالهم ، ويُعتبر الجيش مسئولاً عنهم والله ولى التوفيق) .

وقد تداعتْ الأحداث بعد ذلك سريعًا ، حيث قدمت وزارة نجيب الهلالى استقالتها ، وشُكلت وزارة جديدة برئاسة على ماهر ، وكانت هذه الوزارة بناءً على طلب الثوار ، وقد اتخذ الثوار قرارًا بإرسال قوات للإسكندرية لإجبار الملك فاروق على التنازل عن العرش ، فوقَّع أمرًا ملكيًّا بالتنازل عن العرش .

ونص الأمر هو : (أمر ملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢م . نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان – لما كنا نتطلب الخير دائمًا لأمتنا ، ونبتغى سعادتها ، ورقيها ، ولما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنيب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة ، ونزولاً على إرادة الشعب قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد ،

وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه) .

وقد غادر فاروق سراى رأس التين فى ٤ من ذى القعدة سنة ١٣٧١هـ / ٢٦ يوليو ١٩٥٢م . وبذلك خرج آخر ملوك أسرة محمد على من مصر نهائيًّا ، وانتهى دورهم فى الحياة السياسية المصرية .

مبادئ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م :

١ - القضاء على الاستعمار وأعوانه .

٢ - القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .

٣ - القضاء على الإقطاع .

٤ - إقامة عدالة اجتماعية .

٥ - إقامة جيش وطنى قوى .

٦ - إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

وقد استطاعت الثورة تحقيق مبادئها الستة ، فتم إجبار الإنجليز على الجلاء من مصر بعد توقيع معاهدة الجلاء فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤م ، وخرج آخر جندى إنجليزى من مصر ١٣ يونيو ١٩٥٦م .

كما تم القضاء على النظام الملكى ، عندما أعلنت الجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٣م . وتم تعيين اللواء محمد نجيب كأول رئيس لجمهورية مصر ، وفى عهده صدر قانون الإصلاح الزراعى ، ولكن أحداث أزمة مارس ١٩٥٤م ، أبعدت محمد نجيب عن الحكم ، وتولّى بدلاً منه الرئيس جمال عبد الناصر .

أما فى المجال الاجتماعى ، فقد تم القضاء على الإقطاع بصدور قانون الإصلاح الزراعى فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢م ، والذى حدد الملكية الزراعية بحد أقصى ٢٠٠ فدان ، ثم صدرت قوانين أخرى وصلت بأقصى حدٍّ للملكية خمسين فدانًا ، ووزع

الباقى على الفلاحين . كما أرستْ الثورة دعائم العدالة الاجتماعية عن طريق تطبيق مجانية التعليم ، وإصدار قوانين التأمينات الاجتماعية ، وتحديد ساعات العمل بسبع ساعات يوميًا ، مع إشراك العمال فى مجالس إدارات الشركات ، وتخصيص نسبة من الأرباح لهم .

أما فى المجال الاقتصادى فقد تم إنشاء السد العالى والتوسع فى الإنتاج الزراعى والصناعى وإقامة صناعات ثقيلة مثل الحديد والصلب ، ومصنع الأسمدة .

أما فى المجال الدولى فقد تبنت الثورة سياسة عدم الانحياز ؛ ولذلك اشتركت مصر فى تأسيس منظمة عدم الانحياز ، والذى تم إعلانه فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥م . كما ساعدت مصر الثورات التحررية والتى حدثتْ فى العالم النامى مثل ثورة الجزائر ، وثورة اليمن . كما ساعدت السودان على الاستقلال من انجلترا ، وساعدت معظم الثورات فى إفريقيا ، كما كانت مصر تحارب سياسة الأحلاف مثل حلف بغداد .

٨ ـ معارك حدثت بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م

معركة بورسعيد (العدوان الثلاثى على مصر) سنة ١٩٥٦ :

تعود أسباب هذه المعركة ، لرغبة الدول الاستعمارية ، ممثَّلة فى انجلترا وفرنسا وإسرائيل فى محاولة ضرب الثورة المصرية ، وقد كان لكل دولة أسباب جعلتها تدخل الحرب ، فبالنسبة لانجلترا كان للخروج البريطانى المخزى من مصر بعد توقيع معاهدة الجلاء عام ١٩٥٤م . وتأميم شركة قناة السويس مبرر للقيام بالعدوان .

وبالنسبة لفرنسا ، اعتبرت مساعدة مصر لثورة الجزائر سببًا للعدوان ، أضف إلى جانب ذلك تأميم شركة قناة السويس ، وبالنسبة لإسرائيل تلاقت رغباتها مع رغبات انجلترا وفرنسا فى تحطيم قدرات مصر العسكرية ، وخصوصًا بعد اتجاه مصر لتسليح الجيش من دول الكتلة الشرقية .

وكانت خطة العدوان مبنية على قيام إسرائيل بهجوم برى على شبه جزيرة سيناء ، يتزامن مع إسقاط جوى يقوم به سلاح المظلات الإنجليزى والفرنسى على قاعدة قناة السويس بحجة الدفاع عنها ضد العدوان .

ولكن الشعب والجيش المصرى تصدوا لقوى العدوان ، وظهرت بطولات شعبية ، خُلدت أسماؤها على مرِّ العصور ، فسجل الشرف يحتوى على الكثير من المصريين سواء العسكريين أو المدنيين ، فمن الأبطال العسكريين يبرز اسم الضابطين البحريين جلال الدسوقى وعلى صالح . اللذين استطاعا إغراق مدمرتين فرنسيتين أمام بحيرة البرلس . ومنهم الشاويش محمد الذى استطاع هو وقواته تدمير اثنى عشر مصفَّحة ، وقتل مائتى إسرائيلى وإسقاط قاذفة قنابل إسرائيلية أثناء الدفاع عن التبَّة ١٨٣ .

وأما الأبطال المدنيون فظهر الكثير منهم ، ولعل أشهرهم جواد حسنى طالب الحقوق الذى استطاع الصمود أمام فرقة عسكرية بمفرده ، واستطاع قتالهم طول

الليل ، حتى أغمى عليه من نزيف دمائه الطاهرة ، وأُخِذ أسيرًا وعُذِّب حتى يبوح بأسرار زملائه ، ولكنه رفض حتى أعدمه الأعداء .

لقد صنع الجيش والشعب فى بورسعيد ملحمة رائعة ، أنهت أسطورة بريطانيا التى أصبحت الأسد العجوز ، وأنهت عجرفة الفرنسيين ، فقد تحولت جثث الأعداء إلى رمم ملقاة فى الصحراء والمياه .

حرب ٥ يونيو سنة ١٩٦٧م

كان من أسباب هذه الحرب رغبة إسرائيل فى تحطيم قدرات مصر العسكرية ، والتى كانت تؤرق العدو ، وأيضًا تطبيق مصر لمبدأ الدفاع المشترك ، فعندما حشدت إسرائيل قواتها على الحدود السورية ، بدأت مصر فى اتخاذ عدة إجراءات منها طرد قوات الطوارئ من سيناء ، وغلق خليج العقبة أمام السفن الإسرائيلية .

انتهزت إسرائيل الفرصة وقامت بضربة جوية مفاجئة للمطارات المصرية ، وفى نفس التوقيت قامت بالهجوم على سوريا ، وقد استمرت الحرب لمدة ستة أيام ، ونتج عنها استيلاء إسرائيل على سيناء من مصر ، وعلى هضبة الجولان من سوريا ، والضفة الغربية لنهر الأردن من فلسطين .

وقد اجتمع مجلس الأمن وأصدر قراره الشهير رقم ٢٤٢ والذى يقضى بالآتى:

١ – انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧م .

٢ – عدم استخدام القوة أو التهديد بها لحل المنازعات .

٣ – حرية الملاحة فى الممرات البحرية .

٤ – تعيين وسيط دولى لحلِّ القضايا بين العرب وإسرائيل .

٥ – حل مشكلة اللاجئين .

وقد استجابت مصر لقرار مجلس الأمن ، أما إسرائيل فزادت فى عجرفتها وغرورها ، وقد عقد العرب مؤتمرًا للقمة فى الخرطوم عام ١٩٦٧م . وأصدر قرارًا بدعم دول المواجهة مع إسرائيل وهى : مصر وسوريا والأردن ولبنان .

ولم يستسلم المصريون للهزيمة فى حرب سنة ١٩٦٧م ، وإنما خاضوا معارك ضد الإسرائيليين لعل من أشهرها حرب الاستنزاف والتى بدأت من عام ١٩٦٨م . وكبدت العدو خسائر فادحة فى الأرواح والأموال . وكان من أشهر هذه الحروب هى حرب شدوان ، وإغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات ، وتدمير ميناء إيلات الإسرائيلى . وهذه الحروب كانت بداية للملحمة الكبرى ، ألا وهى معركة العاشر من رمضان ، السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م .

حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ / ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣

قبل نشوب حرب أكتوبر قامت مصر بعدة إجراءات سواء على المستوى السياسى والعسكرى والاقتصادى ، فعلى مستوى السياسة الخارجية بدأت مصر تعيد علاقاتها مع الدول العربية ، وتنسق مع سوريا للحرب ، كما عملت مصر على تهيئة الرأى العام العالمى لتقبل قضايا العرب .

أما على المستوى العسكرى فقد تم تدريب الجنود وتسليحهم بالأسلحة الحديثة، كما طردت مصر الخبراء الروس من الجيش حتى يكون النصر مصريًا خالصًا ، وحتى لا يدَّعى أحد بأن الروس كانوا من أسباب الانتصار ، بالإضافة لعدم قيام هؤلاء الخبراء بعملهم على أتم وجه ، ولذلك كان طردهم قرارًا صائبًا .

وعلى المستوى الداخلى استقرت الأوضاع الداخلية ، وخصوصًا بعد ثورة التصحيح فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ م ، وإصدار الدستور الدائم لمصر ، وغلق المعتقلات وتعبئة الشعب للمعركة المصيرية .

وقبل التحدث عن الحرب ، ينبغى أن نعرف مدى الصعوبات التى كانت تواجه الجنود المصريين ، فقد أقامت إسرائيل ساترًا ترابيًا على الخط الشرقى لقناة السويس بارتفاع عشرين مترًا لمنع الوصول لسيناء . ومدَّتْ مواسير النابالم أسفل القناة حتى تحرق مَنْ يحاول العبور .

وقد سُمِّى هذا الخط بخط بارليف ، وكلف ما يقرب من مليون دولار بأسعار هذا الزمان ، ويعادل حاليًّا مليار دولار . وخلف الخط توجد تحصينات مزودة بأسلحة مثل المدافع ذاتية الحركة . وقد كان هذا الخط يعتبر من أكبر العوائق العسكرية ، ولم يماثله سوى خط ماجينو الشهير فى فرنسا .

وقد كان وزير الدفاع الإسرائيلى (موشيه ديان) يقول : إن مصر لو أرادت عبور خط بارليف تحتاج إلى سلاح المهندسين الروسى والأمريكى معًا . وهناك من يقول : إن هذا الخط لا يكفيه أقل من شهر لمجرد الاقتراب منه . ولكن كل هذه الأوهام والترهات والأحلام الزائفة حطمها الجيش المصرى فى ست ساعات فقط.

وقد بدأت حرب أكتوبر فى تمام الساعة الثانية ظهرًا من يوم السبت الموافق ١٠ رمضان سنة ١٣٩٣هـ / ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ م . عندما قام سلاح الطيران المصرى بقيادة الرئيس محمد حسنى مبارك بتوجيه ضربة جوية مكثفة حققت أكثر من تسعين بالمائة من أهدافها . ونتج عنها تدمير مطارات العدو فى سيناء ، ومحطات الرادار ، ومدفعية العدو . وكان عدد الطائرات المصرية حوالى مائتين وعشرين طائرة أقلعت من عشرين قاعدة جوية .

وفى تمام الساعة الثانية وخمس دقائق قامت المدفعية المصرية بقصف العدو بمعدل ألفى قذيفة فى الدقيقة ، وقد حققت ضربات المدفعية أعلى معدل تمهيد نيرانى فى العالم ، ونتج عنها اختباء الإسرائيليين فى الخنادق وعدم مغادرتها مما سهَّل عملية العبور .

ثم عبرت موجات العبور الأولى مكوّنة من جنود المشاة بقوارب المطاط القناة ، واستطاعت تسلق الساتر الترابى ، ورفْع علم مصر فوق خط بارليف ، بينما تمكن سلاح المهندسين من فتح ثغرات فى الساتر الترابى وإقامة رؤوس كبَارٍ لعبور الدبابات والمعدات ، ومع اقتراب صلاة المغرب كان المصريون قد استطاعوا السيطرة على خط بارليف ، ثم تطوير الهجوم شرقًا .

وقد ظهرت فى حرب أكتوبر بطولات لا تسعها آلاف المجلدات ، ولكن من أبرزها تحطيم اللواء المدرع الإسرائيلى بقيادة عساف ياجورى الذى سقط فى الأسْر ، وقد استطاع جندى مصرى بمفرده أن يحطم اثنتين وعشرين دبابة باستخدام مدفع مضاد للدبابات محمولاً على الكتف ، واسم هذا الجندى عبد العاطى ، وأُطلِق عليه صائد الدبابات .

وقد حاولت إسرائيل فتح ثغرة فى القوات المسلحة عن طريق احتلال مناطق فى غرب القناة لحصار الجيش المصرى ، وعن طريق احتلال مدينة السويس ، ولكن أهالى مدينة السويس ، والجيش الثالث المصرى استطاعوا هزيمة إسرائيل فى ٢٤ أكتوبر عام ١٩٧٣م . وخرج العدو الإسرائيلى يجرُّ أذيال الخيبة بعد أن لقَّنه أهالى السويس درسًا لن ينساه .

وقد سارعت الدول الكبرى لإنقاذ إسرائيل ، عن طريق مدِّها بالأسلحة والدعم الفنى والمادى ، وصدر قرار من مجلس الأمن بوقف إطلاق النيران ، وكلما حاولت إسرائيل انتهاكه تلقت ضربة عسكرية حطمت كبرياءها .

وقد بلغت خسائر الإسرائيليين فى حرب أكتوبر ثلاثة آلاف قتيل وألوف الجرحى ، وأعداد لا تُحصى من المعدات والطائرات ، كما استولت مصر على حوالى خمسة عشر كيلو مترًا شرق القناة . كما هزَّت حرب أكتوبر ثقة الإسرائيليين فى أنفسهم حتى رئيسة وزرائهم (جولدا مائير) أصيبت بالاكتئاب وتحطمت أسطورة الجيش الذى لا يُقهر ، والذى أصبح هشيمًا تذروه الرياح .

وقد ترتب على حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣م عدة نتائج هامة وهى : أصبحت نقطة تحول فى مسار الصراع العربى الإسرائيلى، حيث تحول ميزان القوى تجاه العرب، كما أنهت حرب أكتوبر حالة اللا سلم واللا حرب ، فقد أرغمت الدول الكبرى على احترام حقوق العرب ، كما كان لحرب أكتوبر أثرها الاقتصادى ، حيث رفعت أسعار البترول العربى ، نتيجة وقف العرب لإمدادات البترول عن أوربا ، مما جعل الدول الغربية تلجأ للتضامن مع مصالح العرب .

٩ ـ معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل

بدأت بوادر السلام بين مصر وإسرائيل عندما قام الرئيس الراحل محمد أنور السادات بزيارة إسرائيل فى عام ١٩٧٧م ، وكان هدفه من هذه المبادرة تجنيب منطقة الشرق الأوسط خطر الحروب المدمرة ، وتحقيق الاستقرار اللازم لعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية . وقد زار إسرائيل فى يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩٧٧م ، وألقى خطابًا فى الكنيست الإسرائيلى ، وضَّح فيه رؤياه للسلام القائم على العدل .

مؤتمر كامب ديفيد ـ ١٧ سبتمبر سنة ١٩٧٨م :

حضر هذا المؤتمر الرئيس الراحل محمد أنور السادات ، ومناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل ، وبحضور جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد وضع المؤتمر إطارًا للسلام القائم على الأسس الآتية :

١ – الانسحاب الكامل من سيناء .

٢ – تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل .

٣ – تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

معاهدة السلام فى ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩م :

تحتوى هذه المعاهدة على عدة بنود ، وأهمها :

١ – إنهاء حالة الحرب والامتناع عن التهديد بها ، وحلّ المشاكل بالطرق السلمية .

٢ – الانسحاب الإسرائيلى التام من شبه جزيرة سيناء .

٣ – الاعتراف بسيادة كل طرف من أطراف النزاع على أرضه .

٤ – إقامة علاقات طبيعية سياسية واقتصادية وثقافية بين الطرفين .

٥ – إقامة مناطق محدودة السلاح على جانبى الحدود .

٦ – بدء مفاوضات الحكم الذاتى للضفة الغربية وقطاع غزة بعد شهر من التصديق على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية .

٧ – الأساس الذى قامت عليه اتفاقية كامب ديفيد سنة ١٩٧٨م ، ومعاهدة السلام ١٩٧٩م هو قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

وقد بدأ الجانبان تنفيذ المعاهدة ، فتم جلاء الإسرائيليين عن شبه جزيرة سيناء فى ٢٥ أبريل سنة ١٩٨٩م . وبقيت مشكلة طابا فلجأت مصر للتحكيم ، والذى أقر بحقها فى طابا سنة ١٩٨٩م ، وبذلك عادت كامل الأراضى المصرية لمصر .

وبالنسبة للجزء المتعلق بالفلسطينيين ، رَعَتْ مصر مؤتمر مدريد ، والذى أرسى مبدأ الأرض مقابل السلام ، ثم مؤتمر أوسلو بالنرويج والذى نتج عنه قيام سلطة وطنية فلسطينية فى قطاع غزة وأريحا .

كما دعتْ مصر لعدة مؤتمرات الغرض منها نَزْع أسلحة الدمار الشامل من المنطقة ، ودعتْ أيضًا لمحاربة الإرهاب قبل أنْ يستشرى خطره فى كل مكان فى العالم.

* * *

مراجع مختارة

أولاً : مراجع التاريخ القديم :

١ - أدولف إرمان :

- ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، مكتبة الأسرة - القاهرة ١٩٩٧ .

٢ - ج - جنير :

- الحياة أيام الفراعنة ، ترجمة أحمد زهير ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ١٩٩٨م .

٣ - جورج بوزنر وآخرون :

- معجم الحضارة المصرية القديمة ، مكتبة الأسرة ، القاهرة .

٤ - حسن الرزاز :

- طرق مصر المقدسة ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ١٩٩٧ .

٥ - سليم حسن :

- موسوعة مصر القديمة ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٠م ، جـ١ .

- أبو الهول تاريخه فى ضوء الكشوف الحديثة ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

٦ - شارلزورث :

- الامبراطورية الرومانية ، ترجمة : رمزى عبده ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ١٩٩٩.

٧ - فلندر :

- الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة، ترجمة : حسن محمد جوهر، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٥م .

ثانيًا : مراجع التاريخ الإسلامى :

١ - الإسحاق المنوفى :

- أخبار الأُوَل فيمن تصرف فى مصر من أخبار الدول ، هيئة قصور الثقافة مصر .

٢ - ابن تغرى بردى :

- النجوم الزاهرة فى محاسن مصر والقاهرة . وزارة الثقافة مصر .

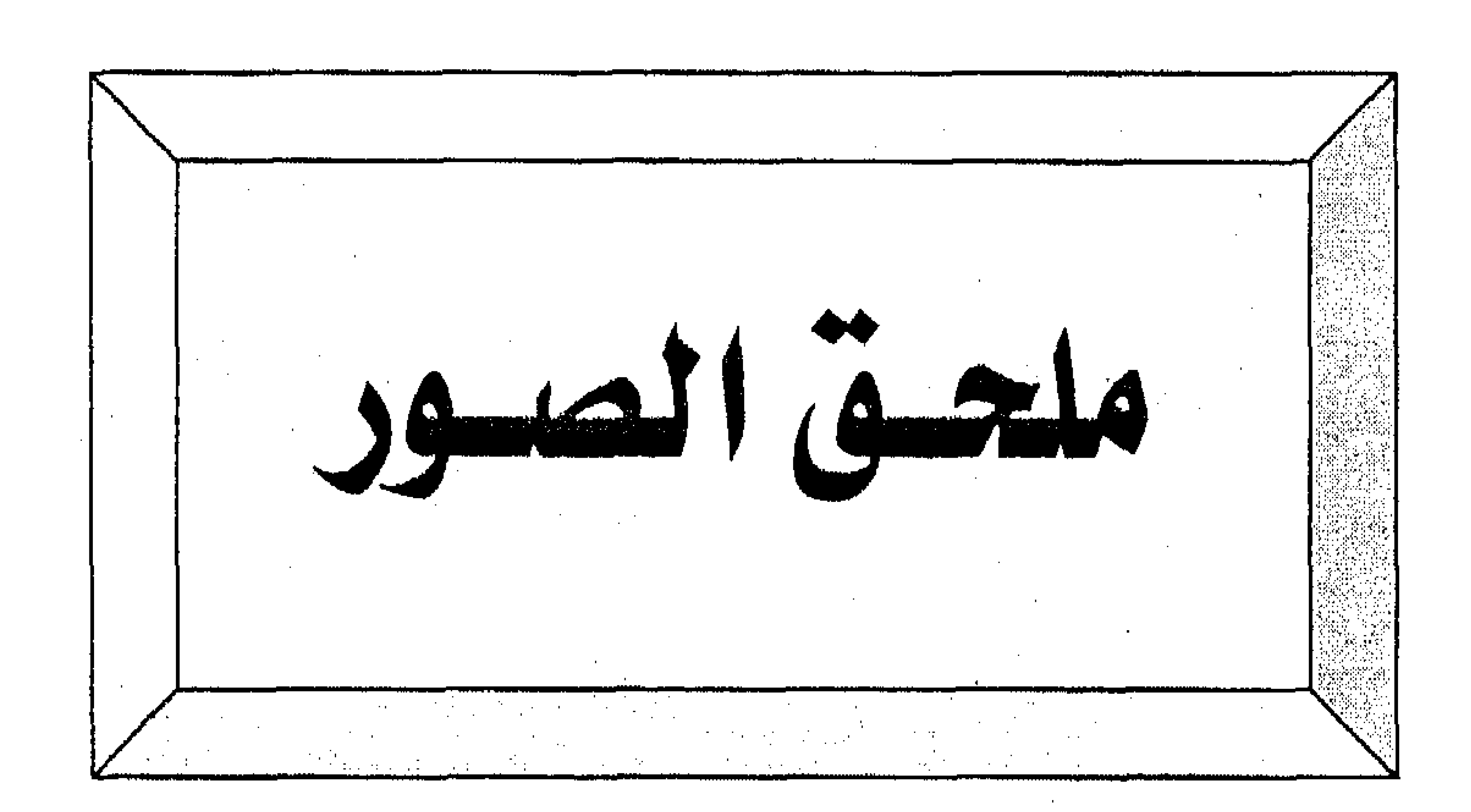
٣ - السيوطى :

- حُسْن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة .

٤ - ابن شامة :
- الروضتين فى أخبار الدولتين، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٢ .
٥ - عبد الله خورشيد :
- القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى من الهجرة . القاهرة .
٦ - الكندى :
- ولاة مصر ، تحقيق : حسين نصار ، هيئة قصور الثقافة ، مصر .
٧ - المقريزى :
- البيان والإعراب عمن حلَّ بمصر من الأعراب ، تحقيق عبد النعيم ضيفى عثمان ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار التحرير ، القاهرة .
- اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة .
- السلوك لمعرفة دول الملوك ، الهيئة العامة للكتاب .
٨- ابن إياس الحنفى :
- بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، دار الشعب . القاهرة .

ثالثًا : العصر الحديث :

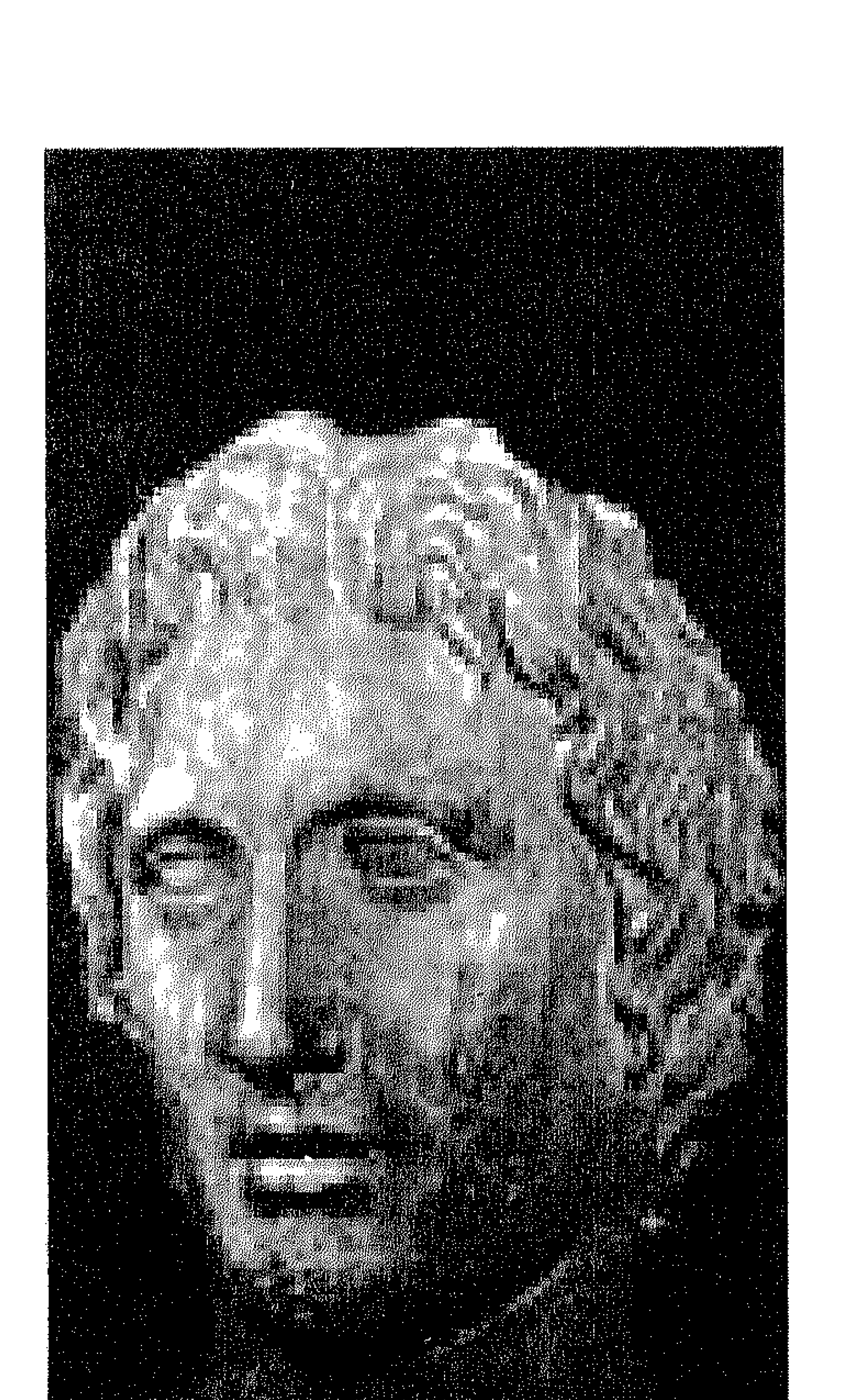
١ - الجبرتى :
- عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، دار الشعب . القاهرة .
٢ - سهير حلمى :
- أسرة محمد على ، مكتبة الأسرة ، القاهرة .
٣ - عبد الرحمن الرافعى :
- عصر محمد على ، دار الهلال ، القاهرة .
- عصر إسماعيل ، دار الهلال ، القاهرة .
- الثورة العرابية ، دار الهلال .
- ثورة سنة ١٩١٩م ، دار الشعب .
- مقدمات ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م .
٤ - عبد العظيم رمضان :
- الهجمة الاستعمارية على الوطن العربى ، مكتبة الأسرة ، القاهرة .
- تاريخ النهب الاستعمارى لمصر (ترجمة) .



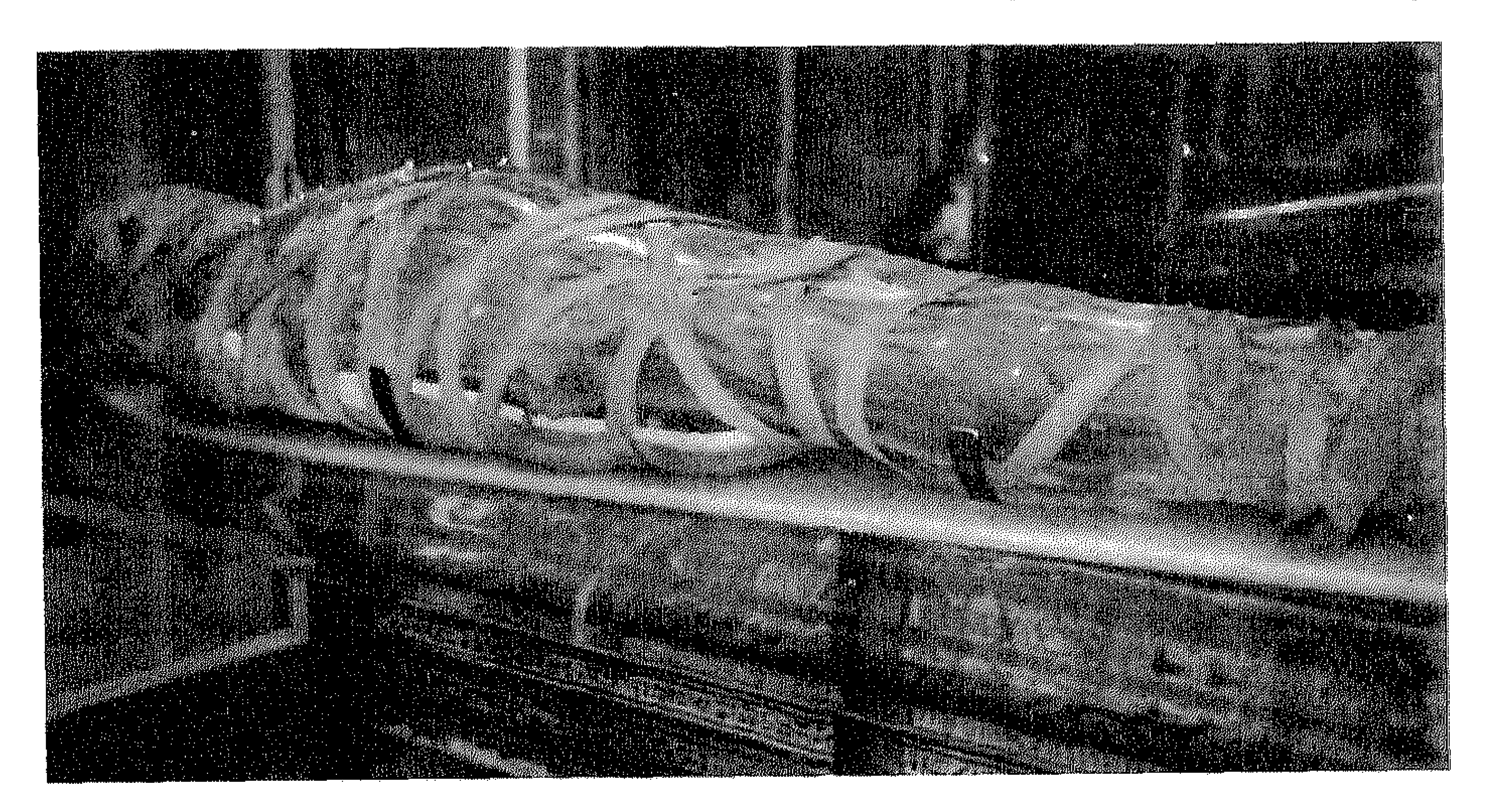
ملحق الصور



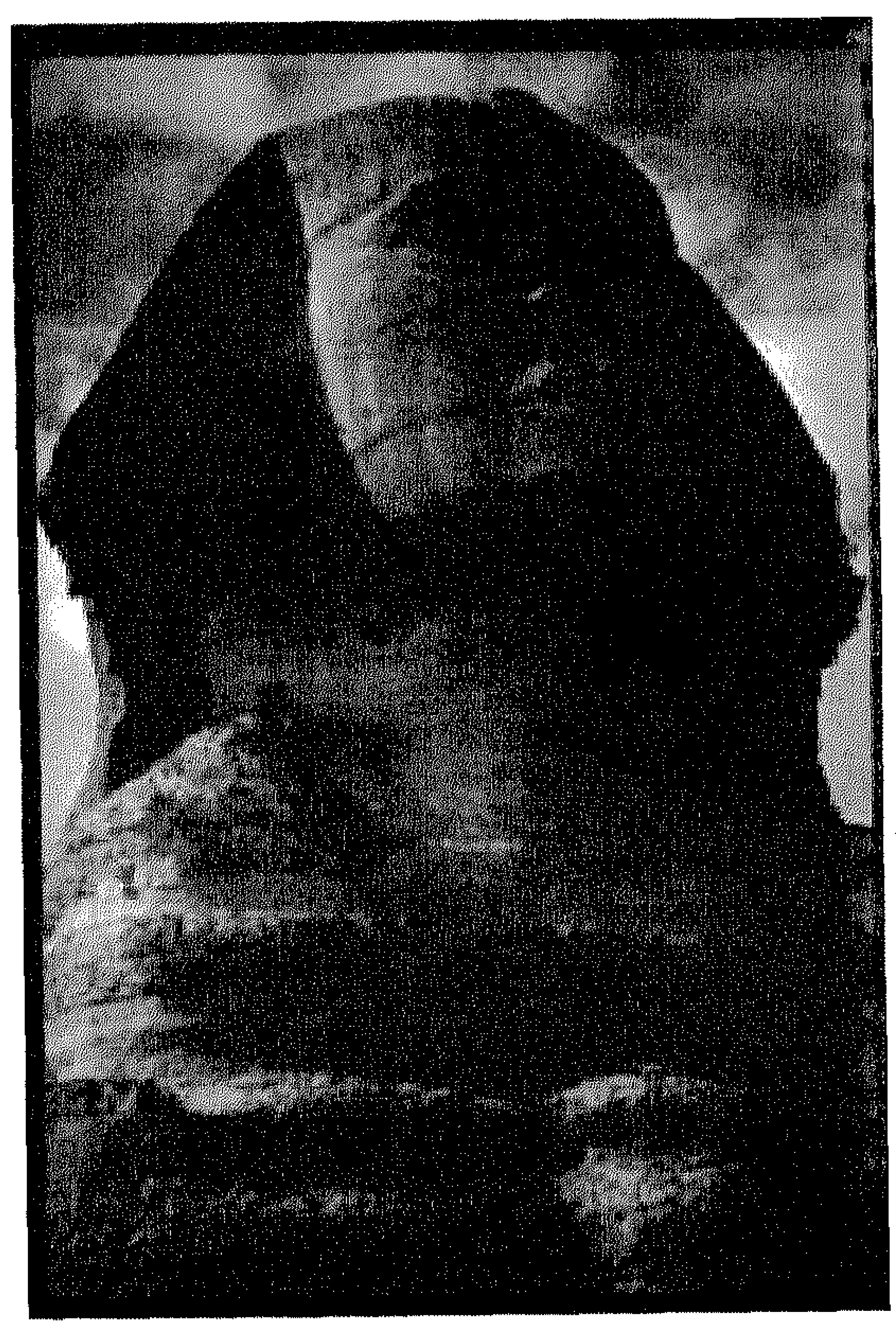
لوح مينا نارمر



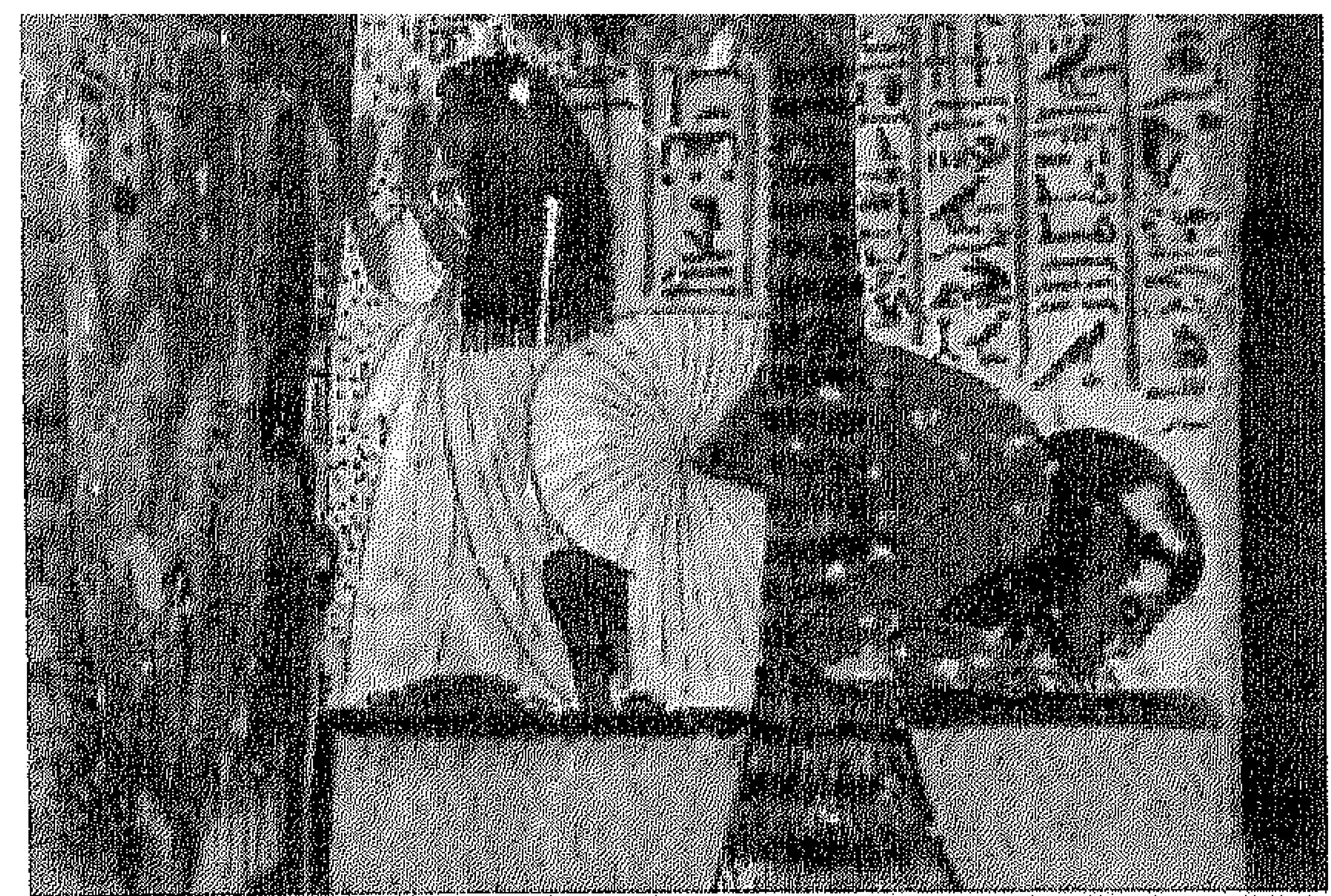
الإسكندر المقدونى



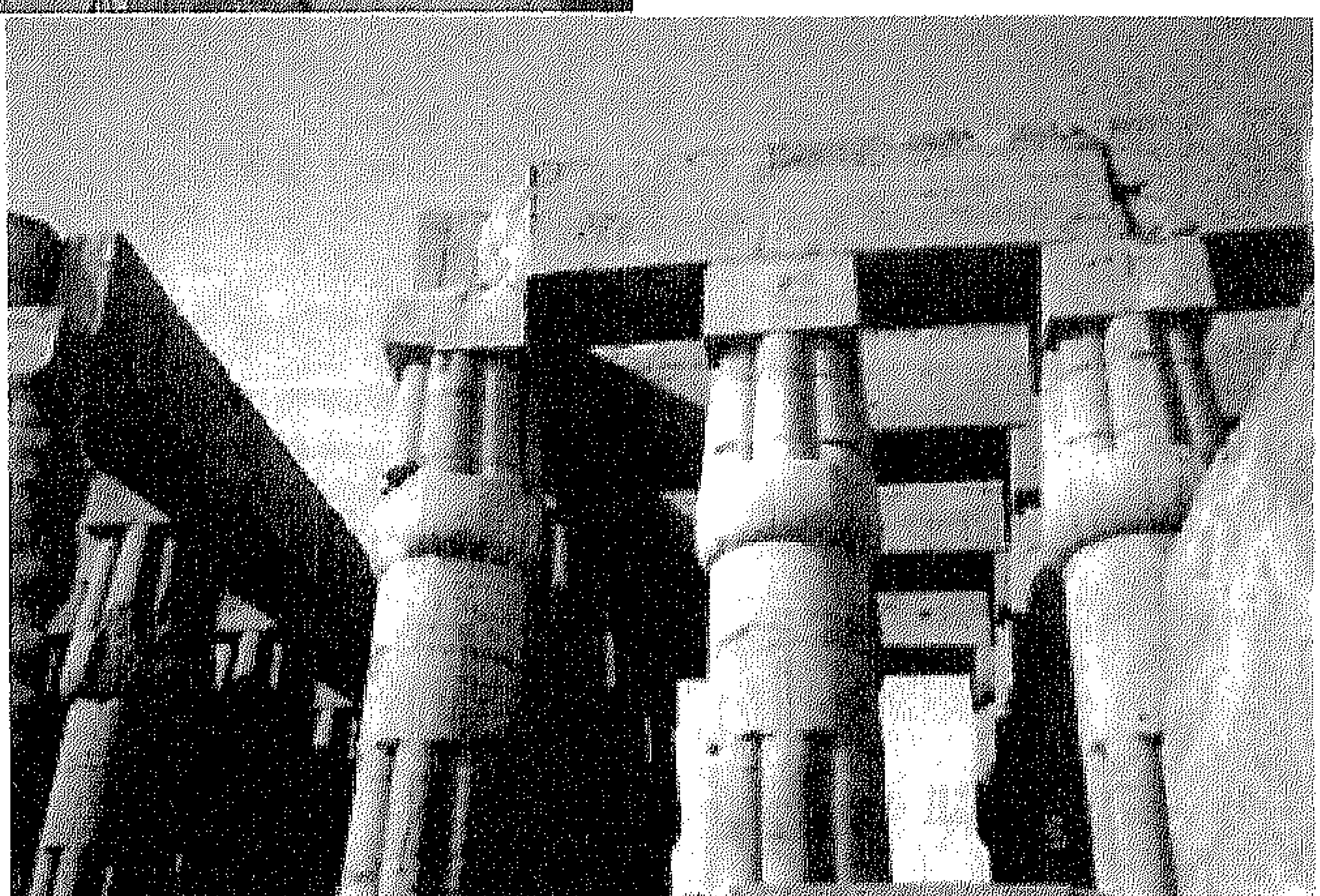
egyptian-mummy مومياء مصرية



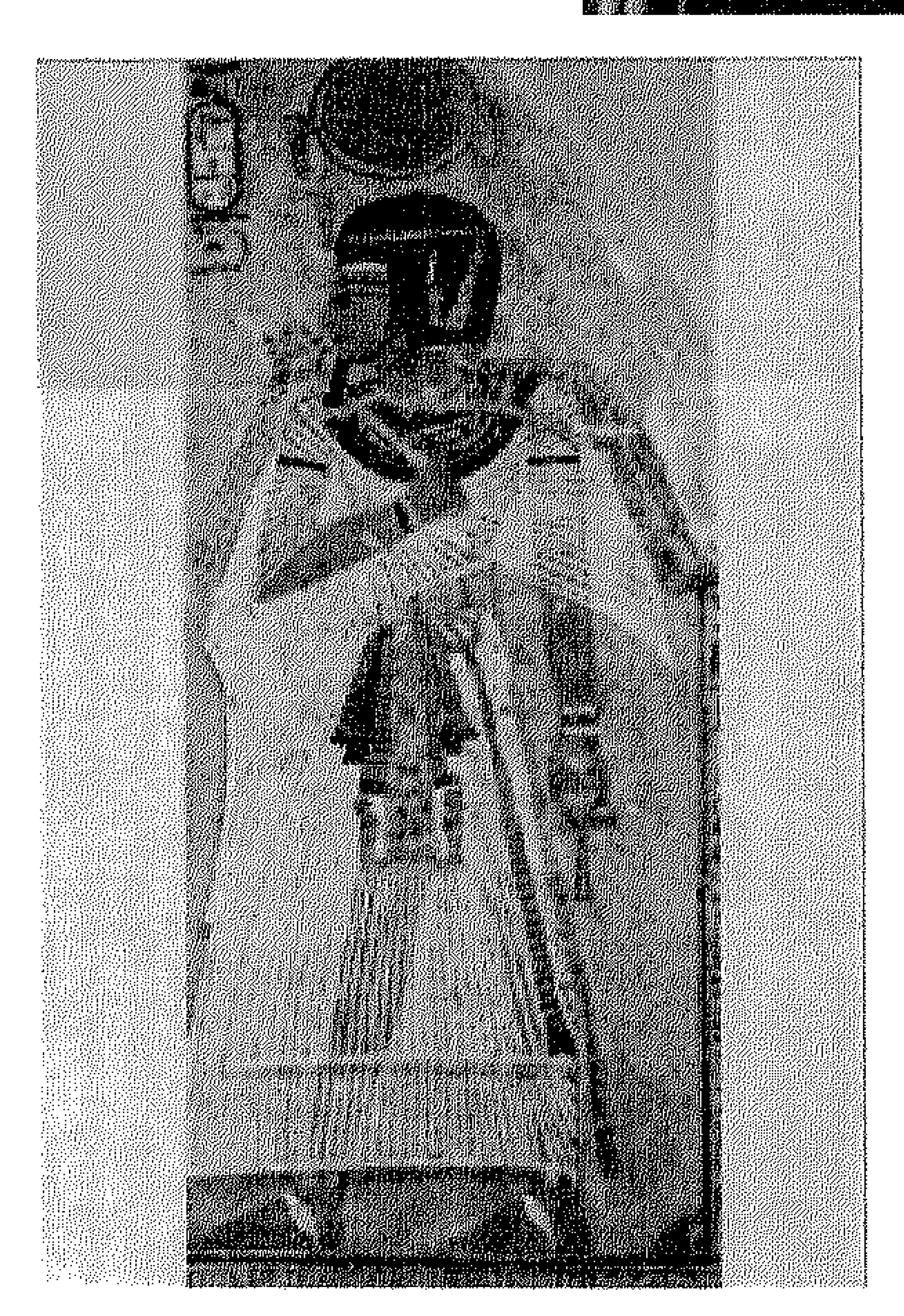
أبو الهول منظر من اليسار



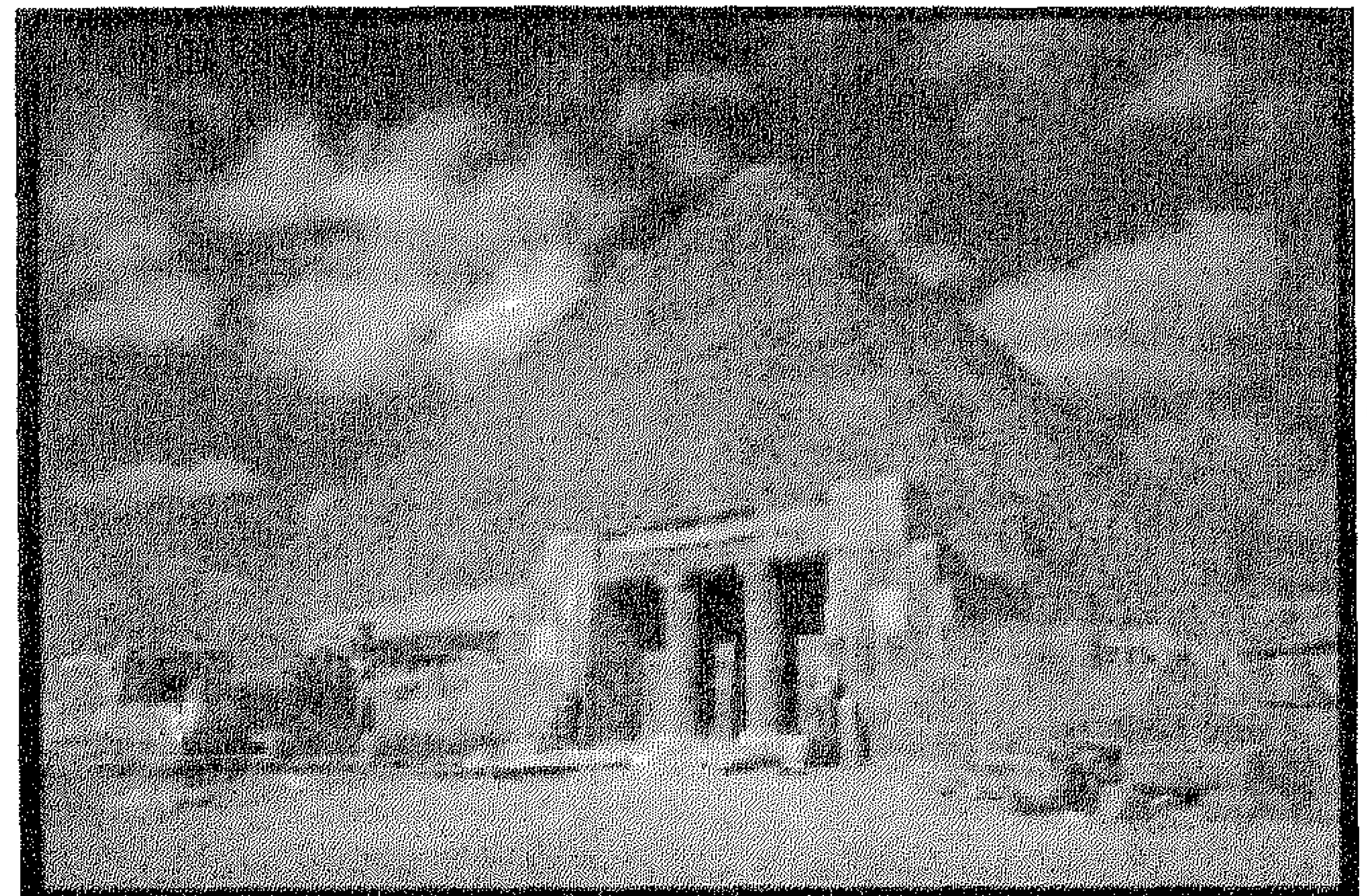
إحدى جدران المقابر



أعمدة معبد الأقصر



امنوفيس



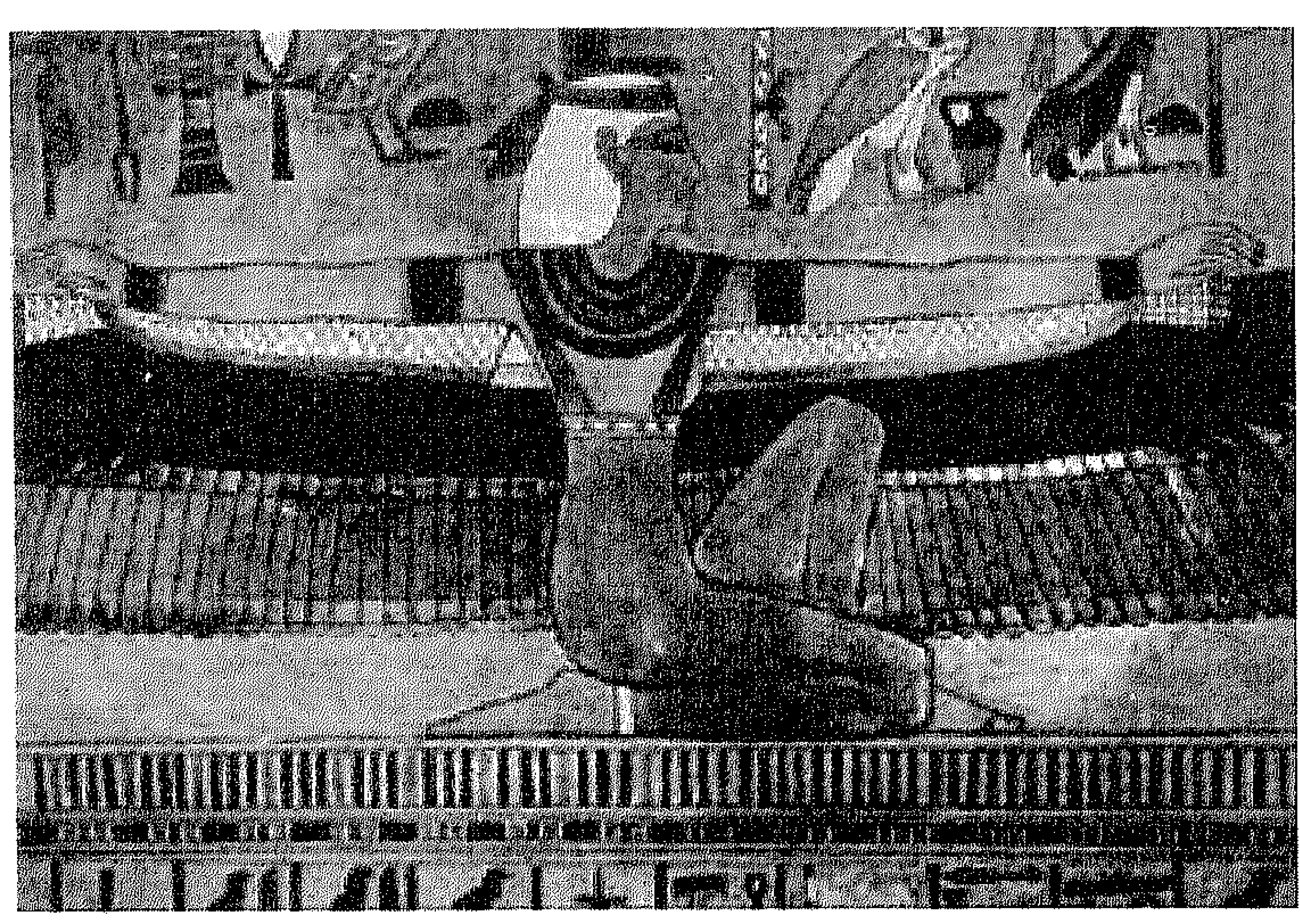
الهرم والمعبد الجنائزى



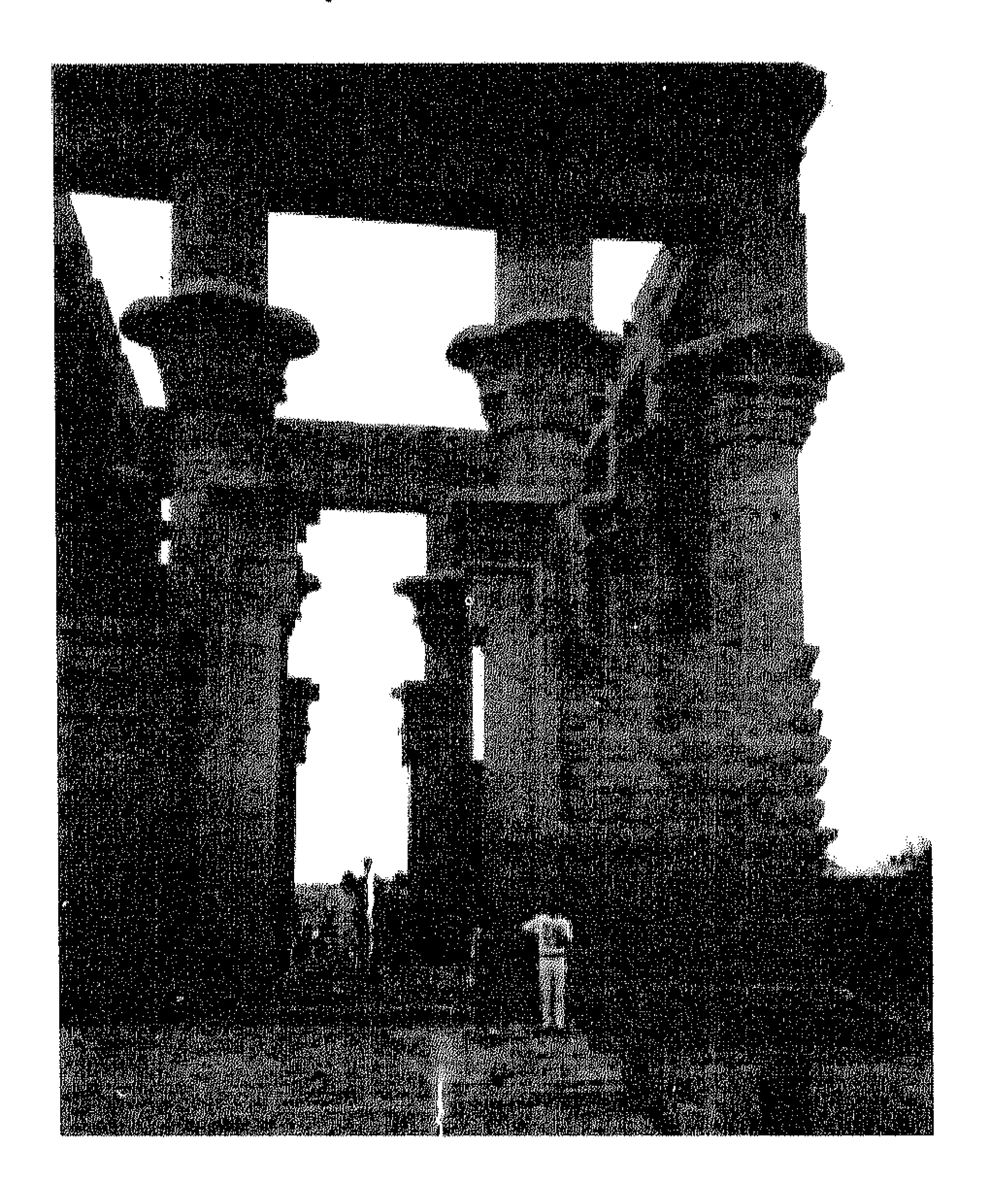
الأهرامات الثلاث



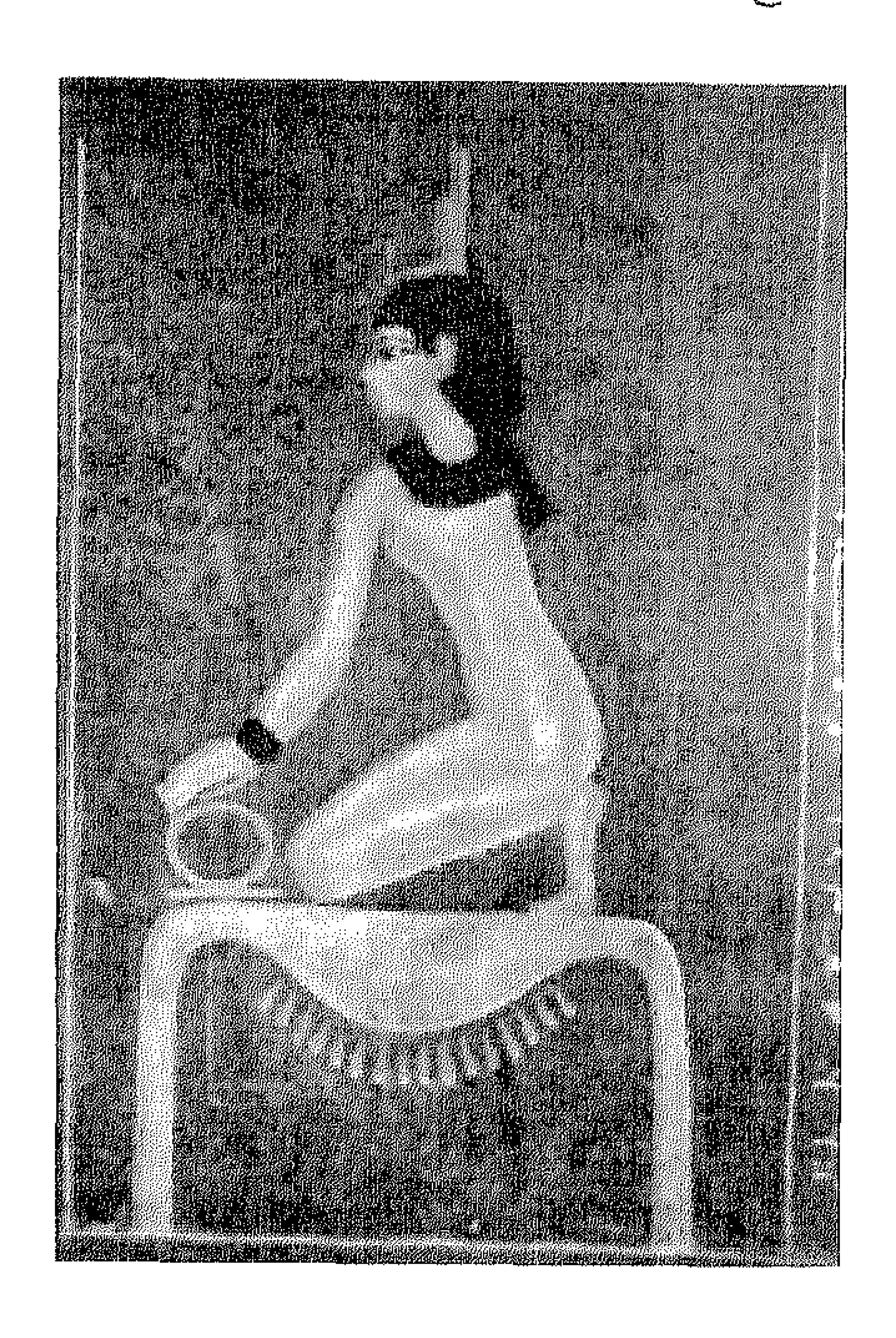
ألعاب الفتيات

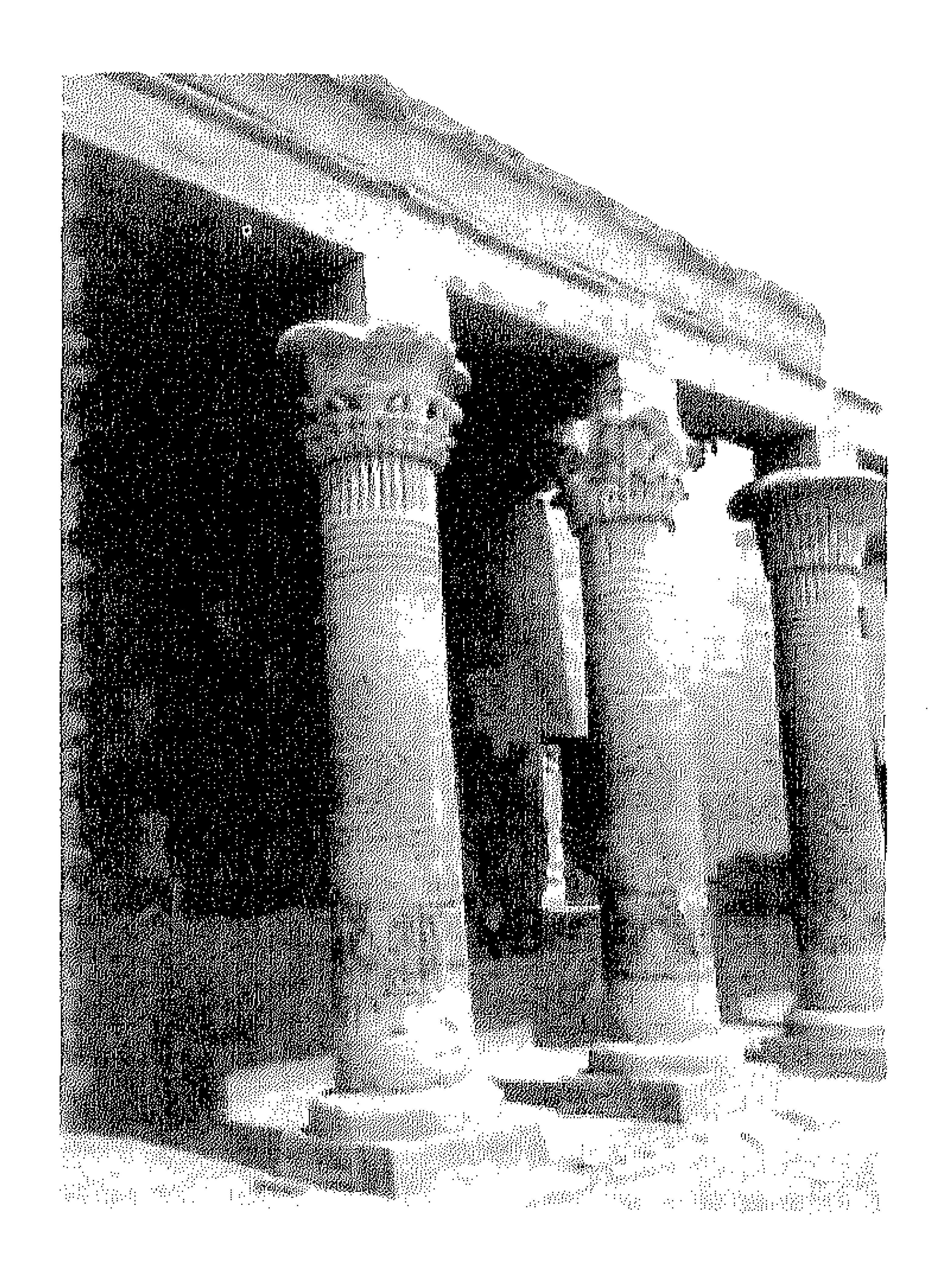


تمثال إيزيس تبسط حمايتها



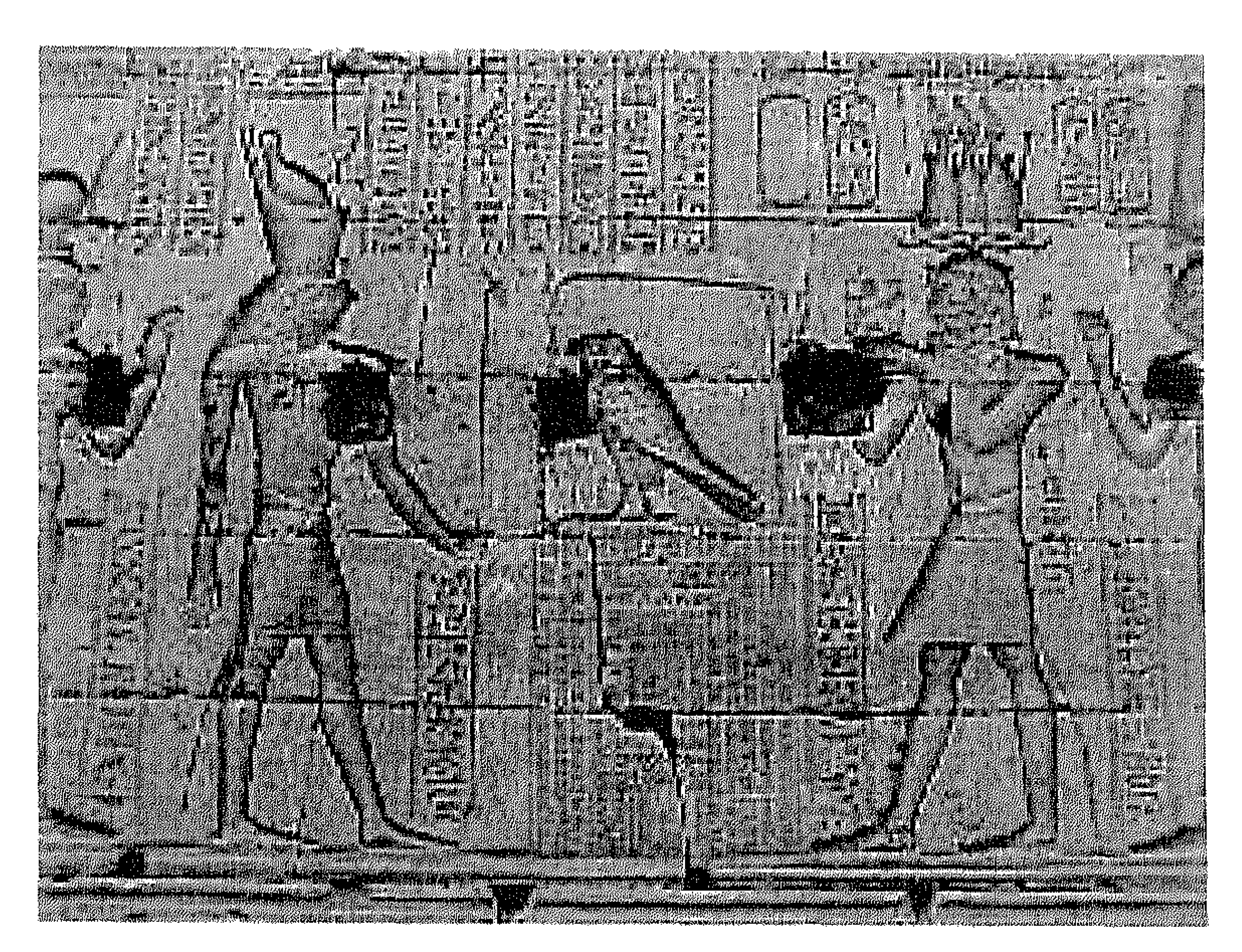
بهو الأعمدة بمعبد الكرنك





إيزيس

بهو الأعمدة



داخل معبد إدفو

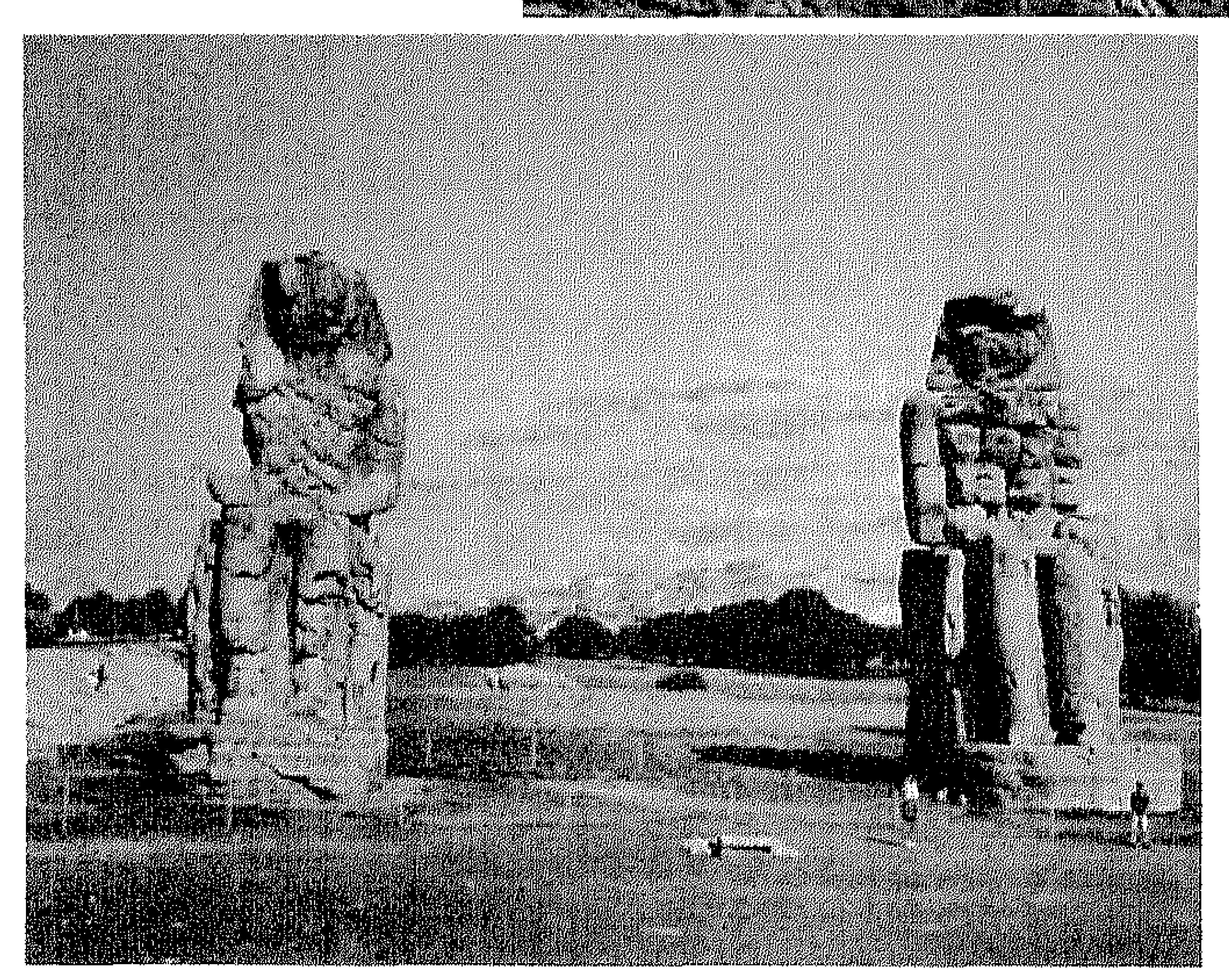


جداريات

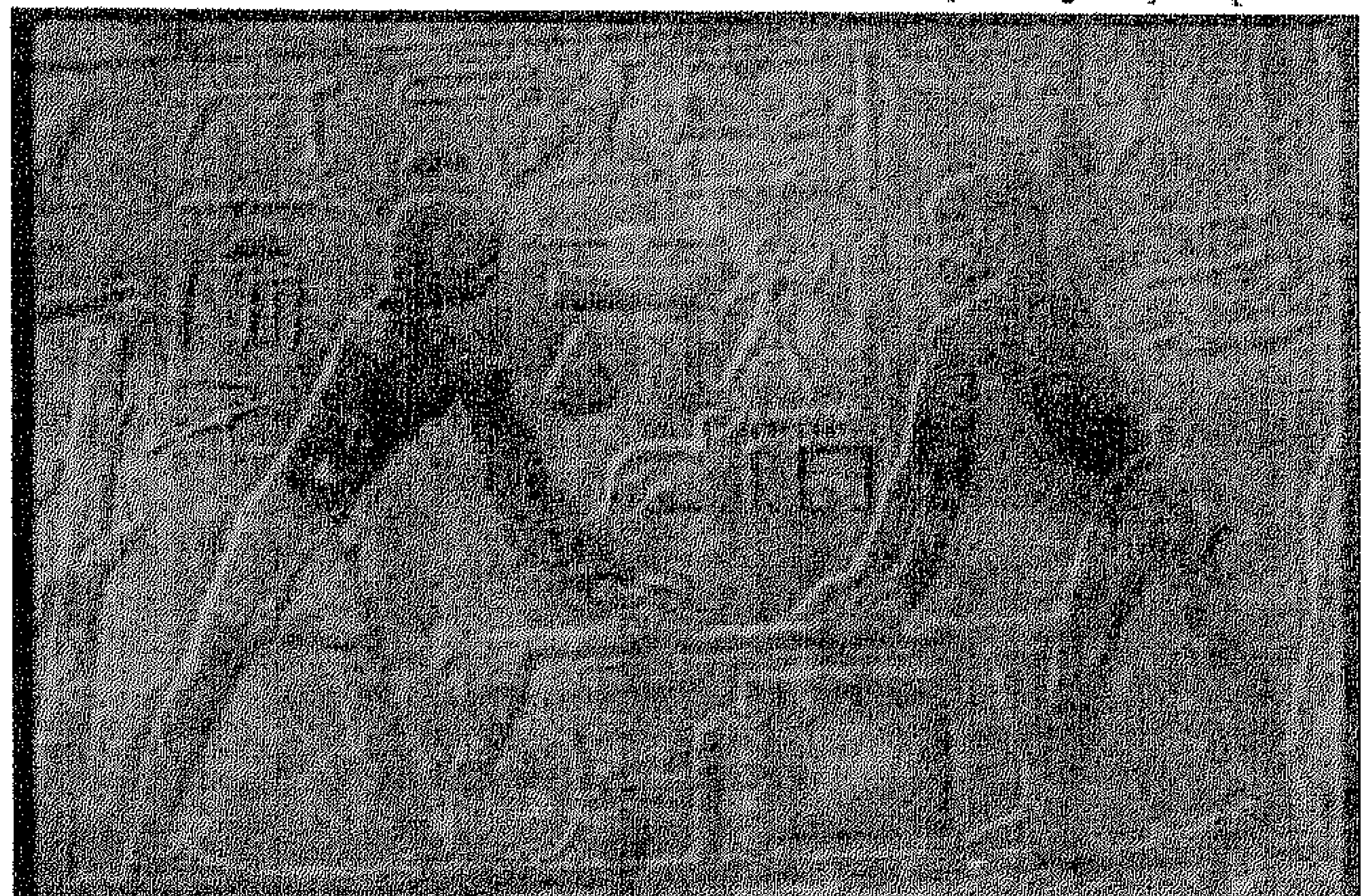


جداريات ٢

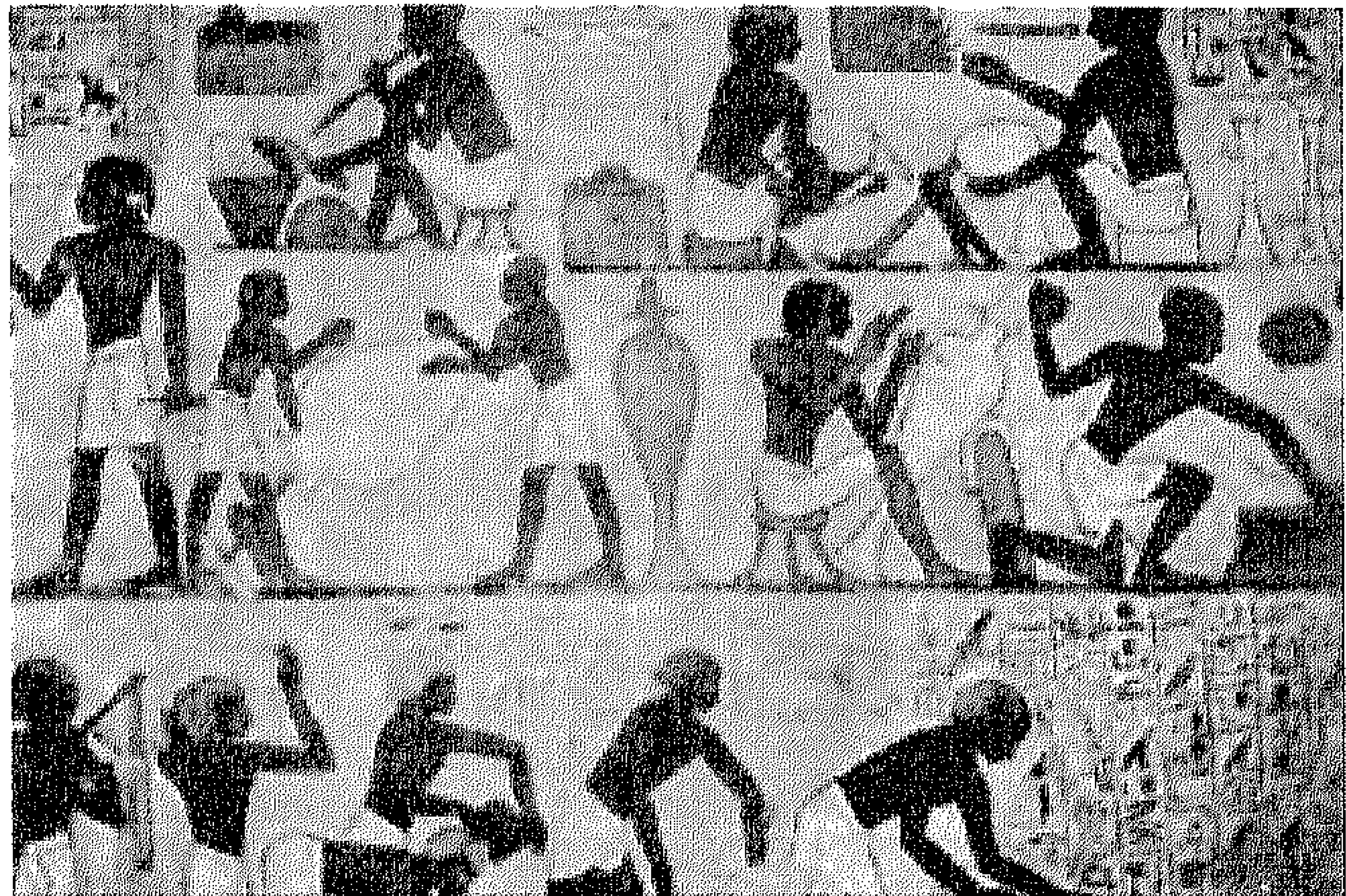




تمثالا أجاممنون



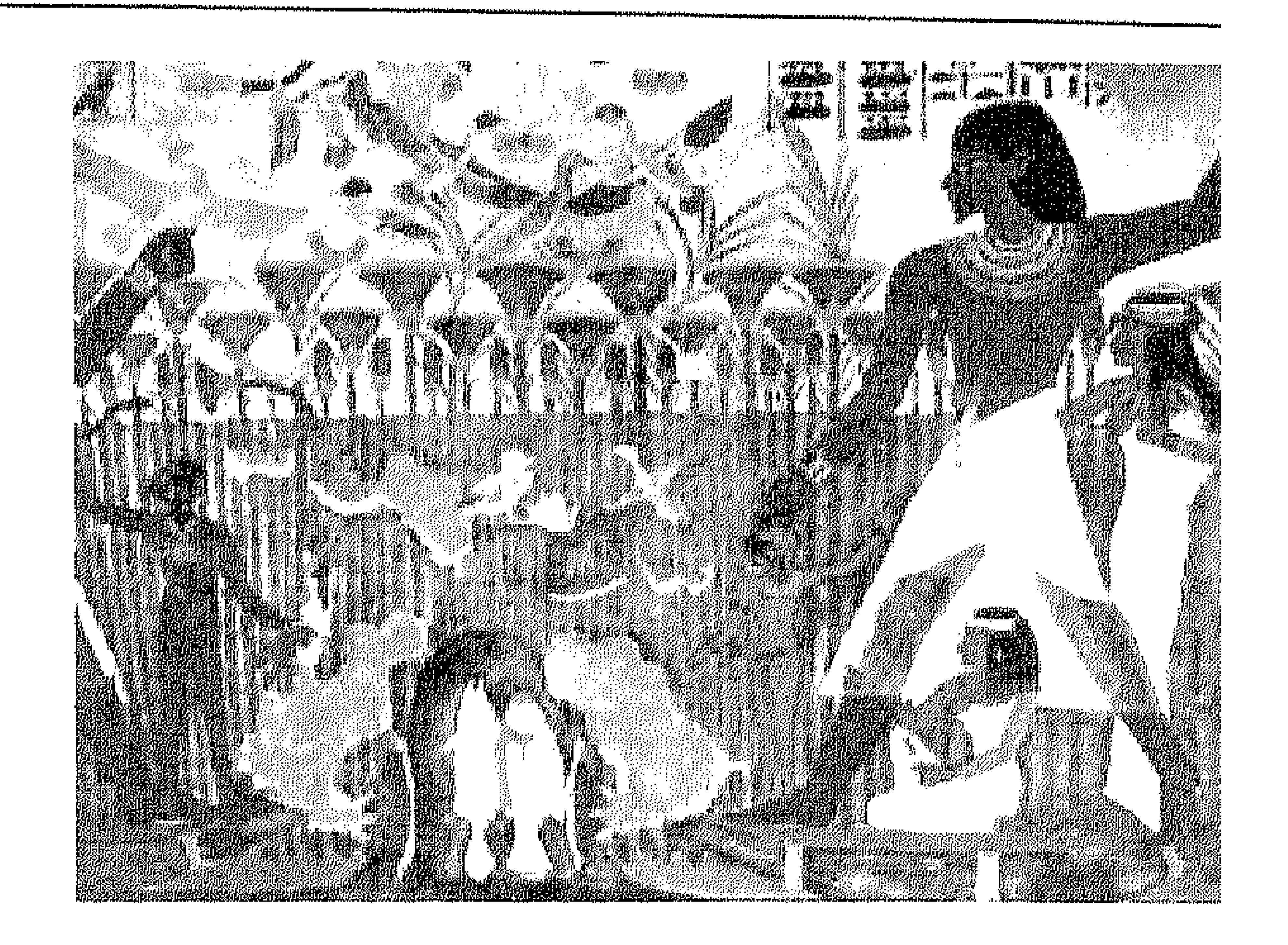
صناعة النجارة



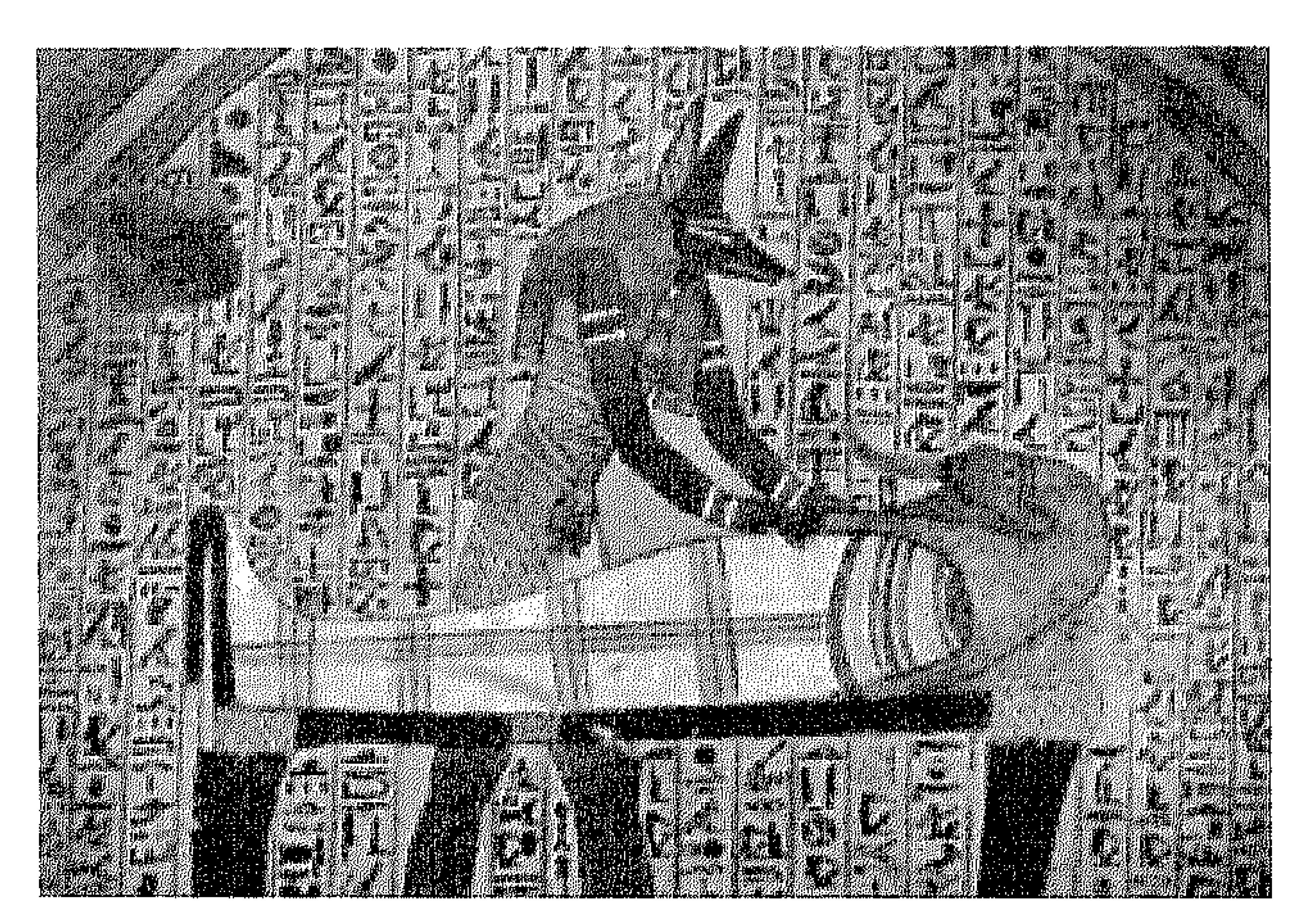
صناعة الفخار



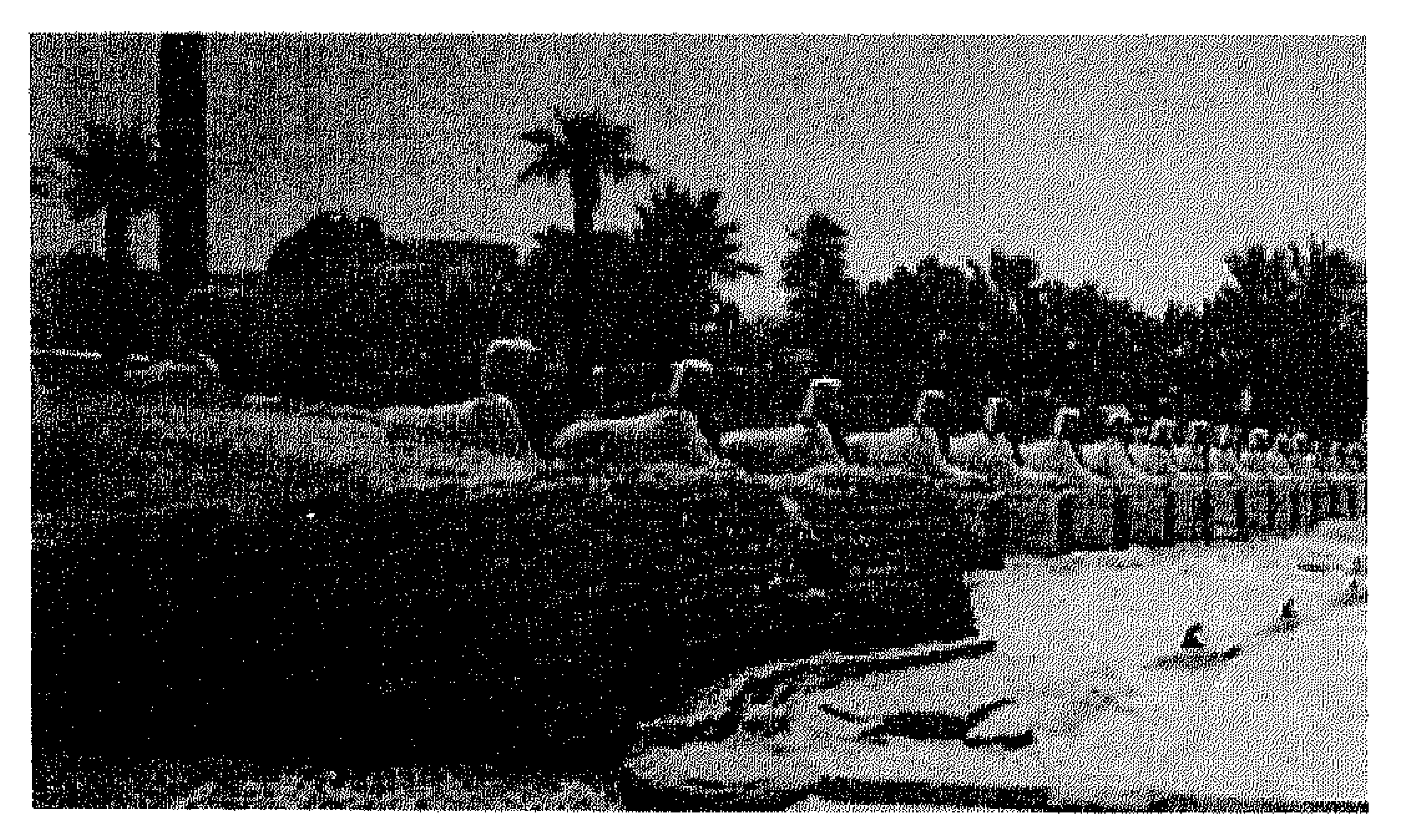
رسوم توضح مظاهر الحياة اليومية



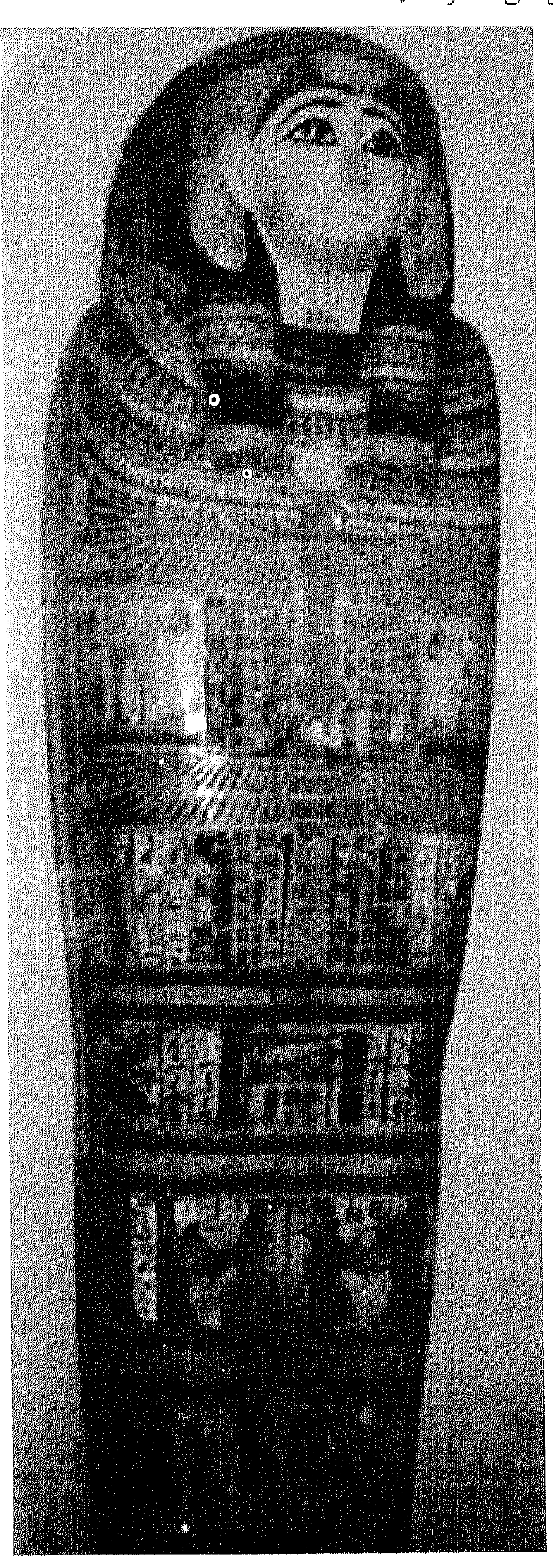
رحلة صيد



عمليـــة تحنـــيط المــوتى علــى يــد أنوبيس

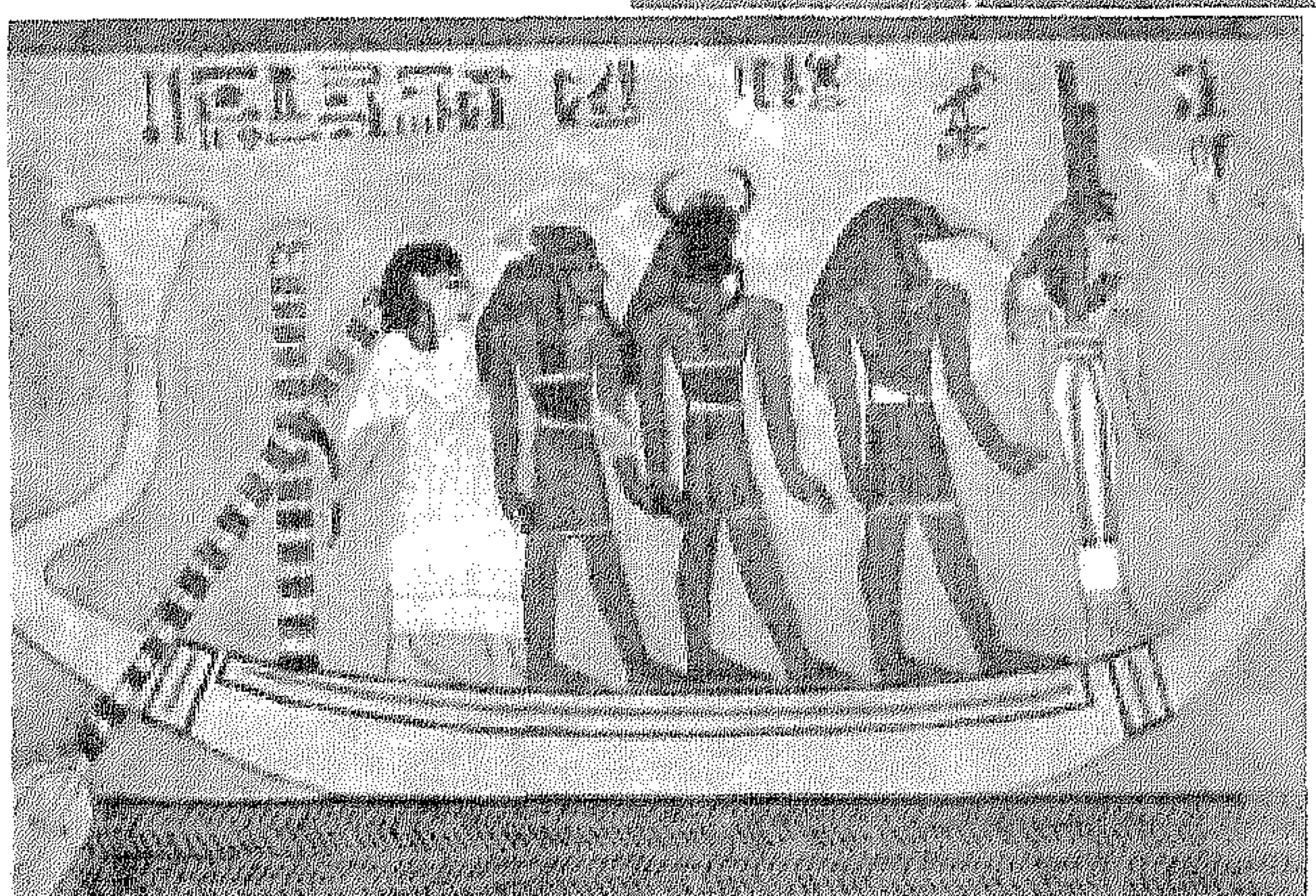


طريق الكباش بمعبد الكرنك



صورة مومياء أخرى

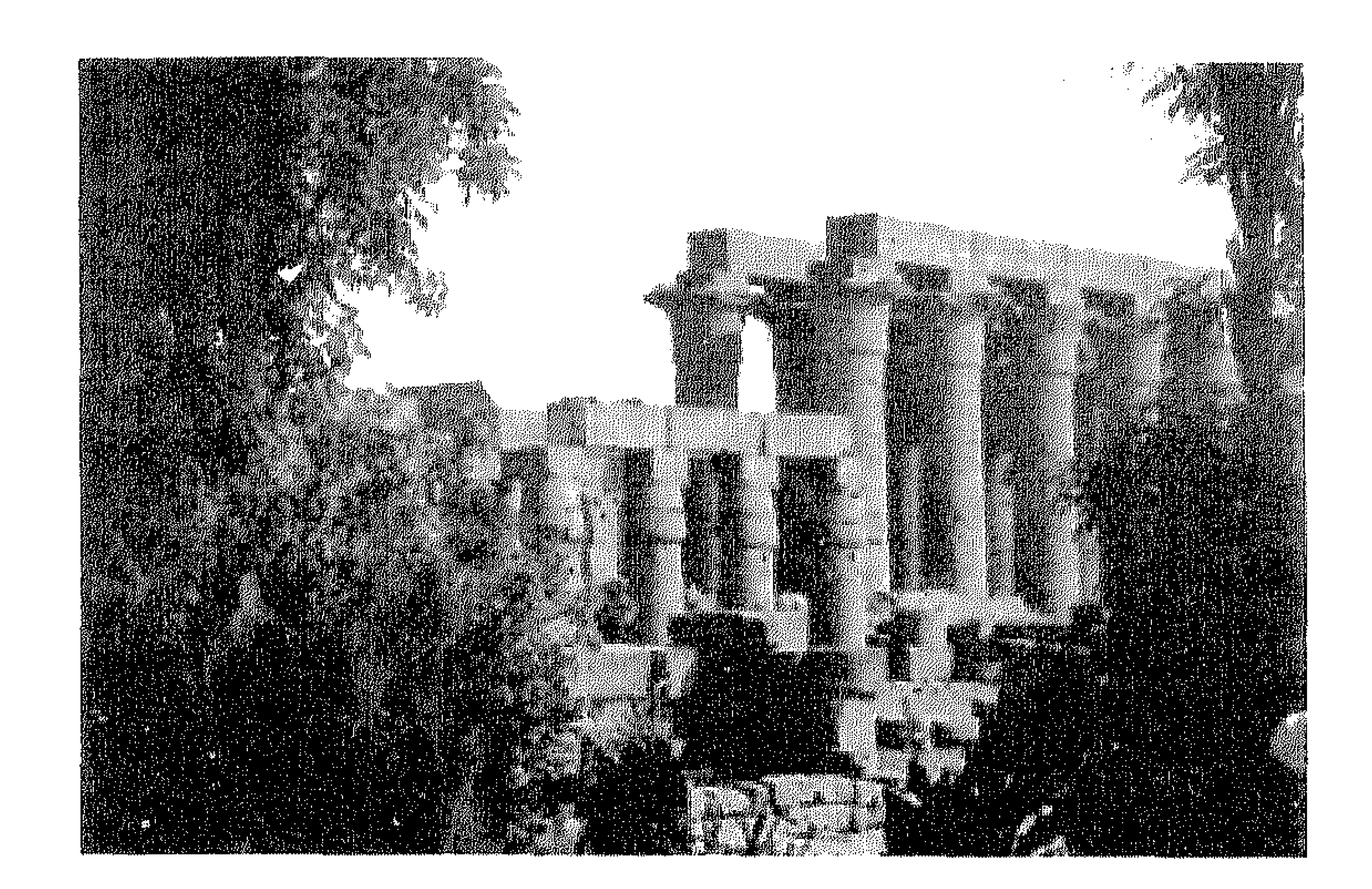
صورة لأزوريس
على جدران مقبرة



مراكب الشمس

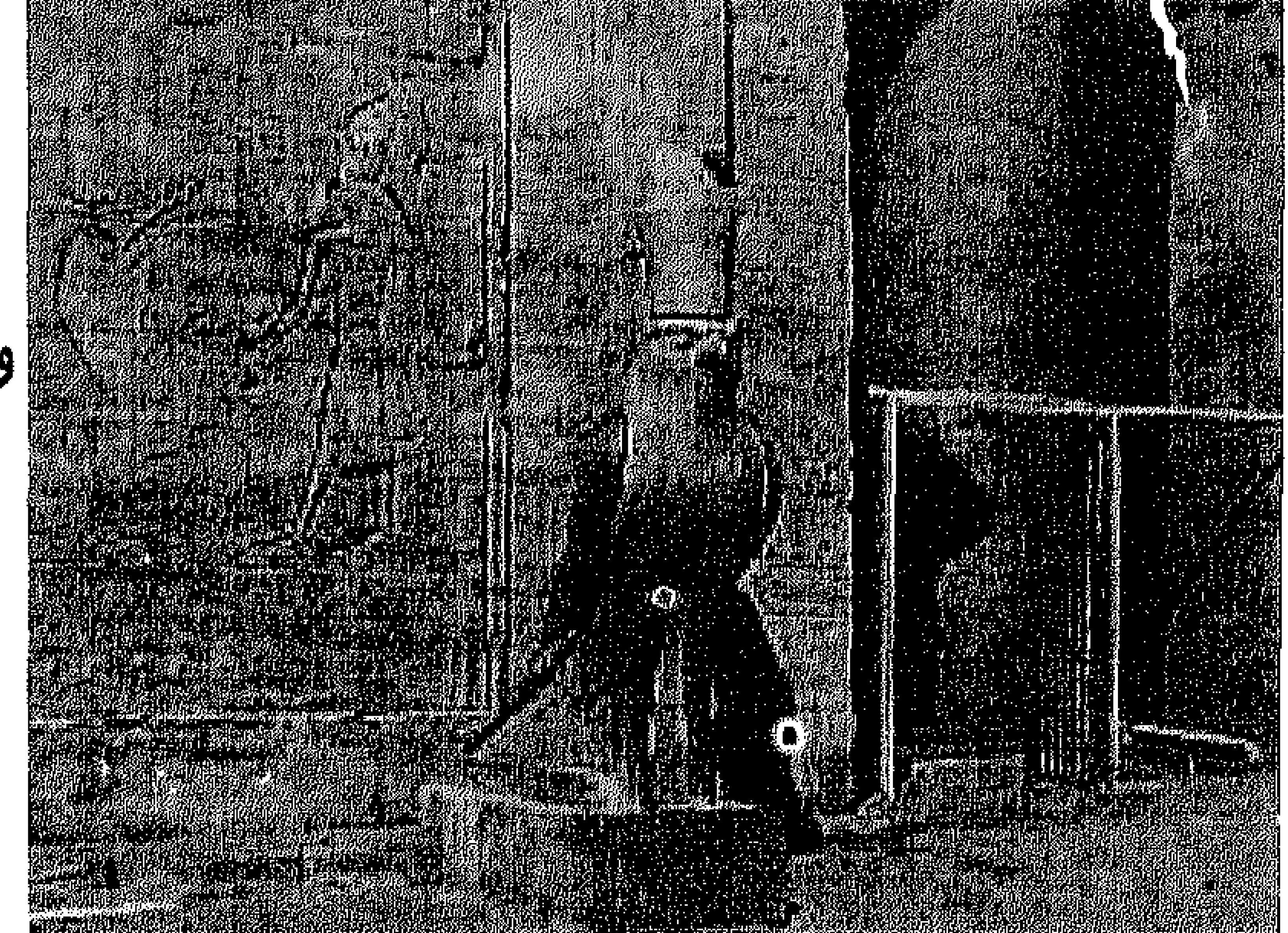


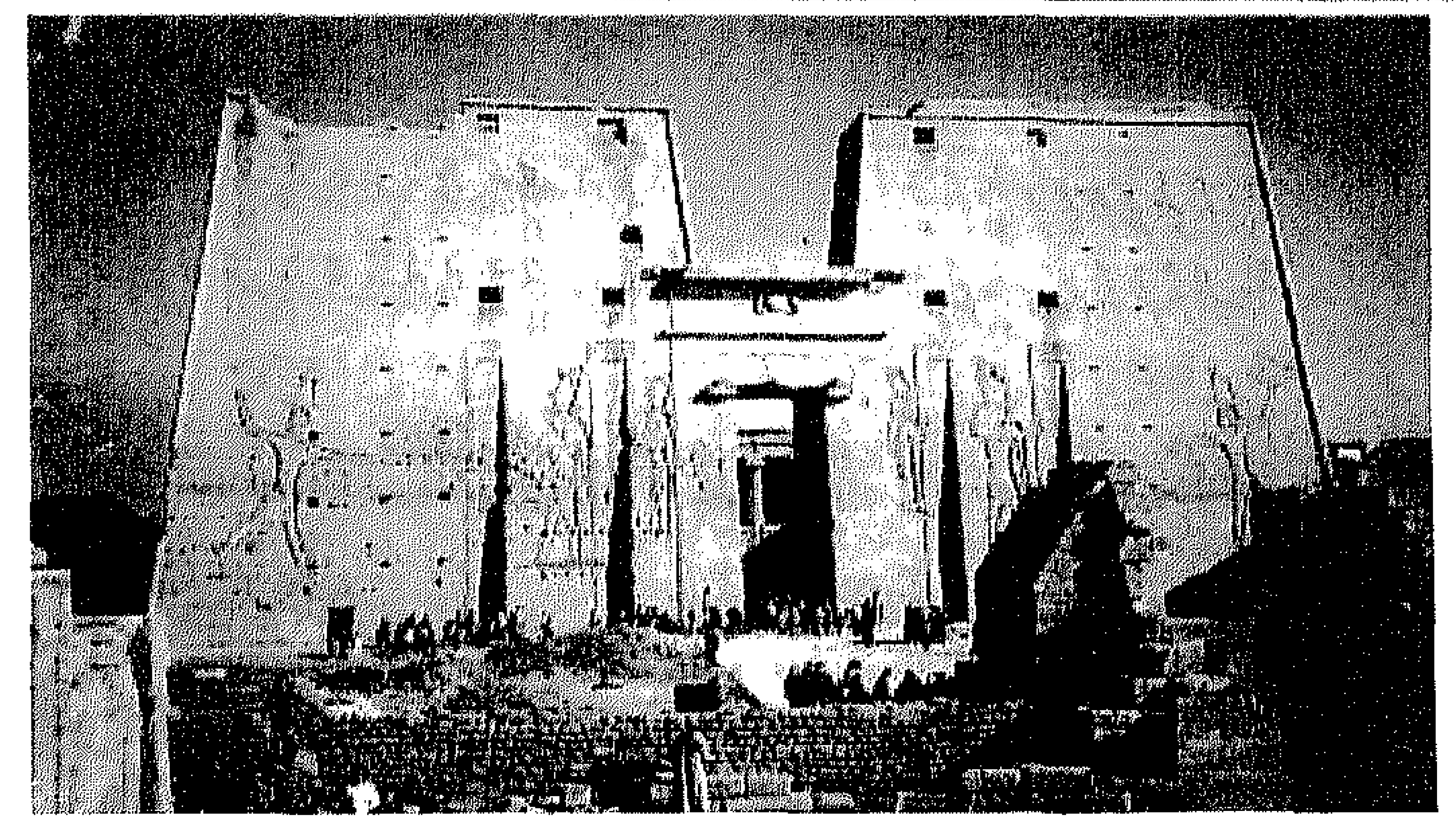
معابد فيلة



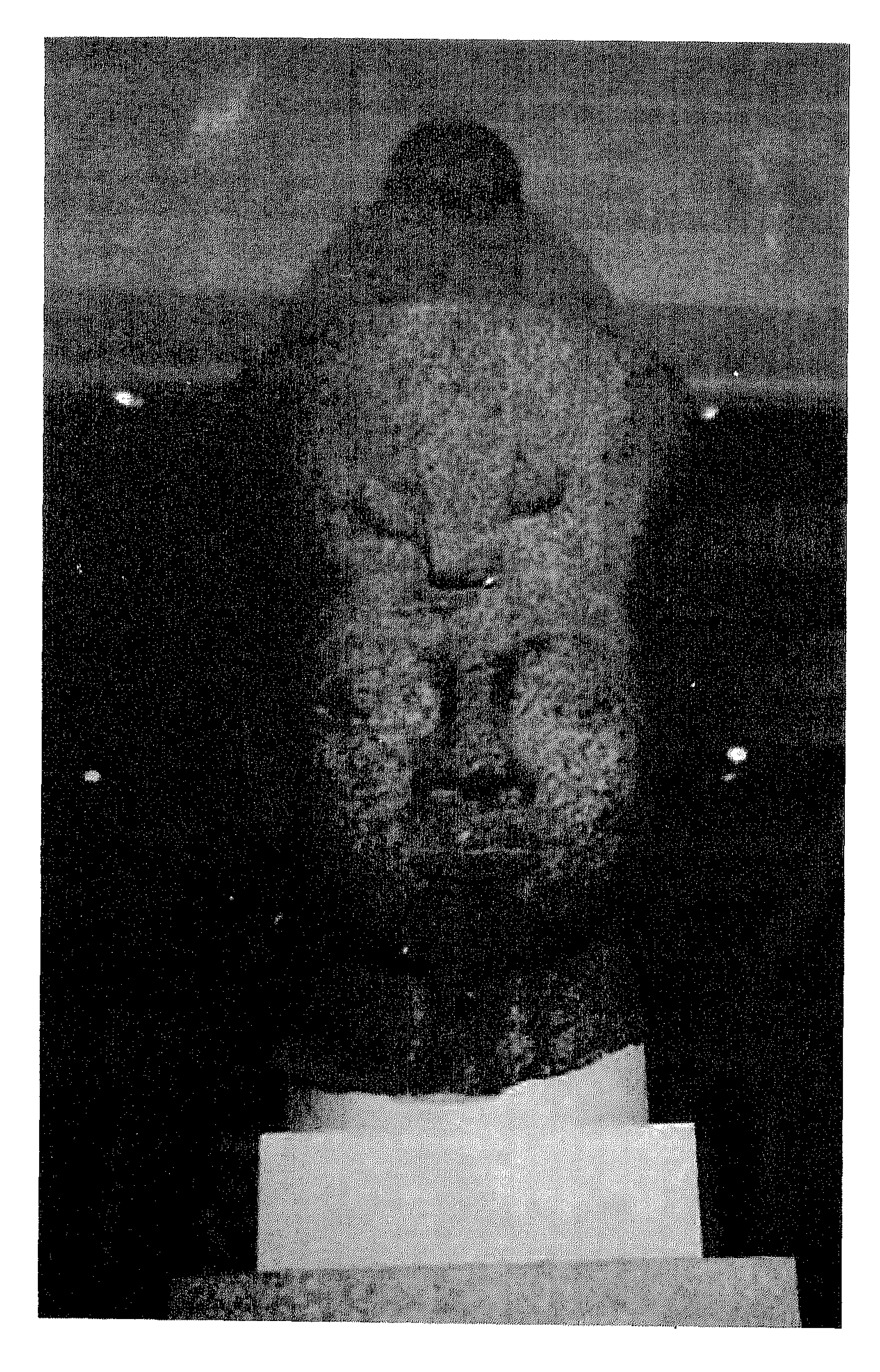
معبد الأقصر

معبد إدفو
ويرى أمامه تمثال حورس

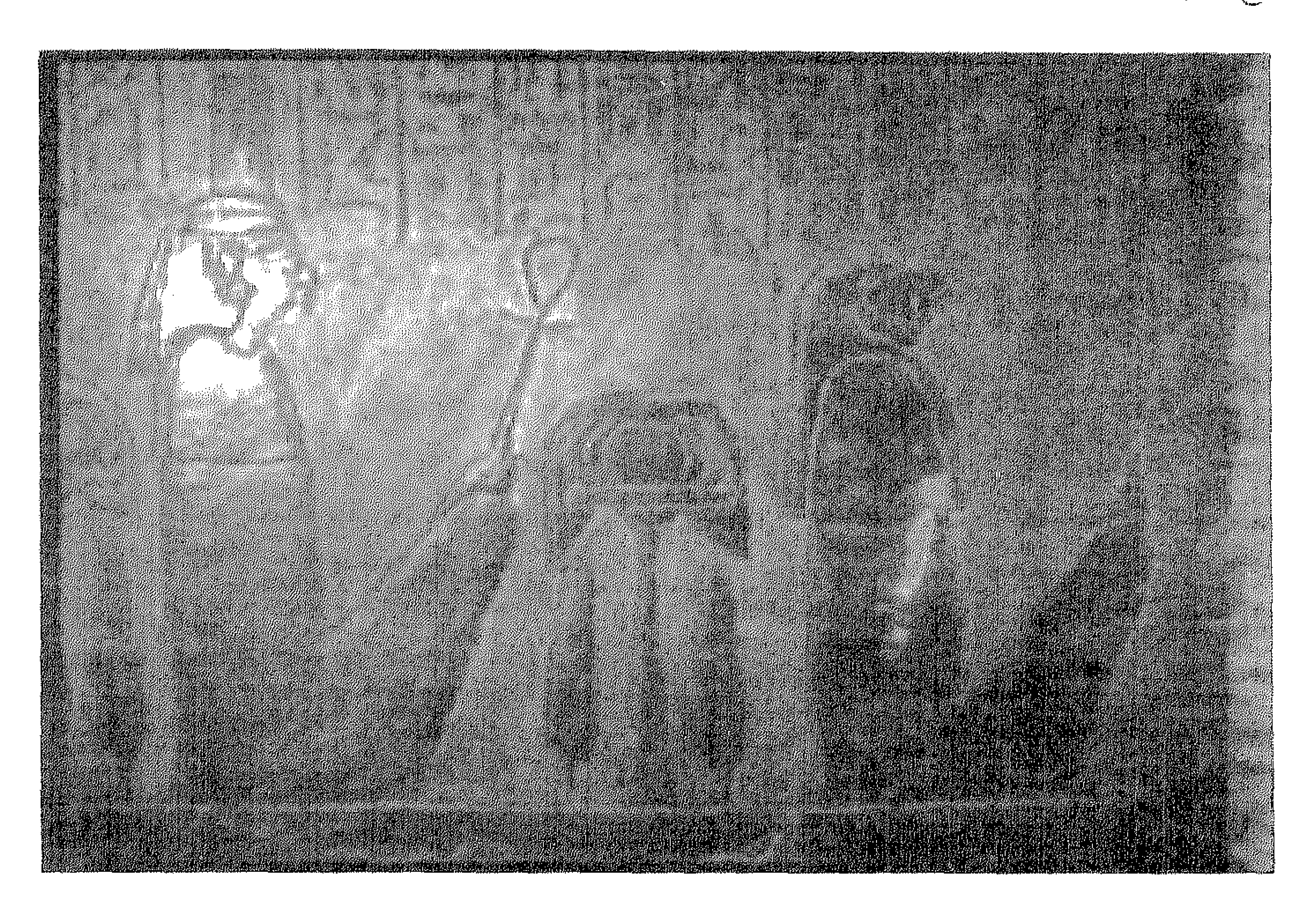




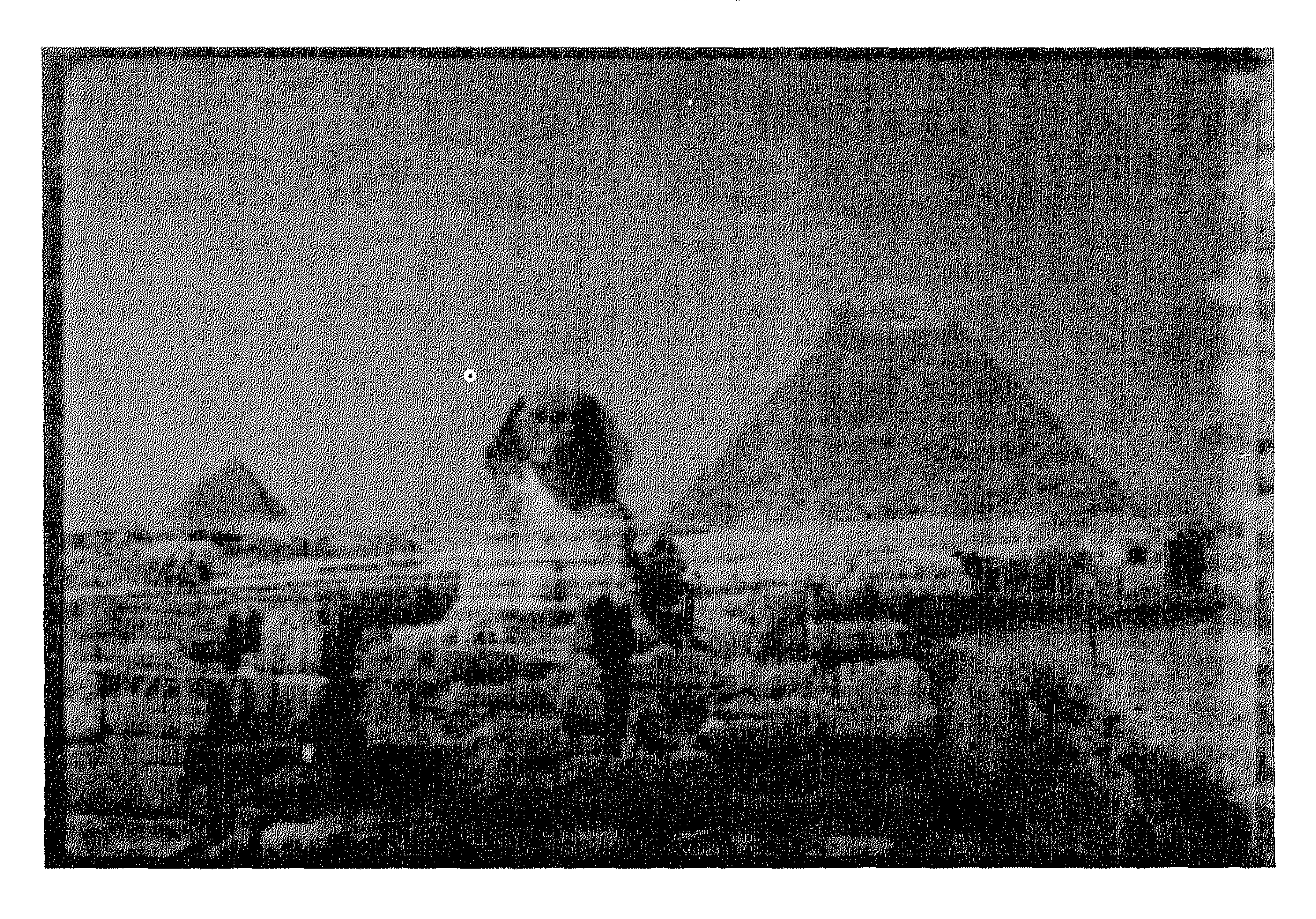
معبد إدفو



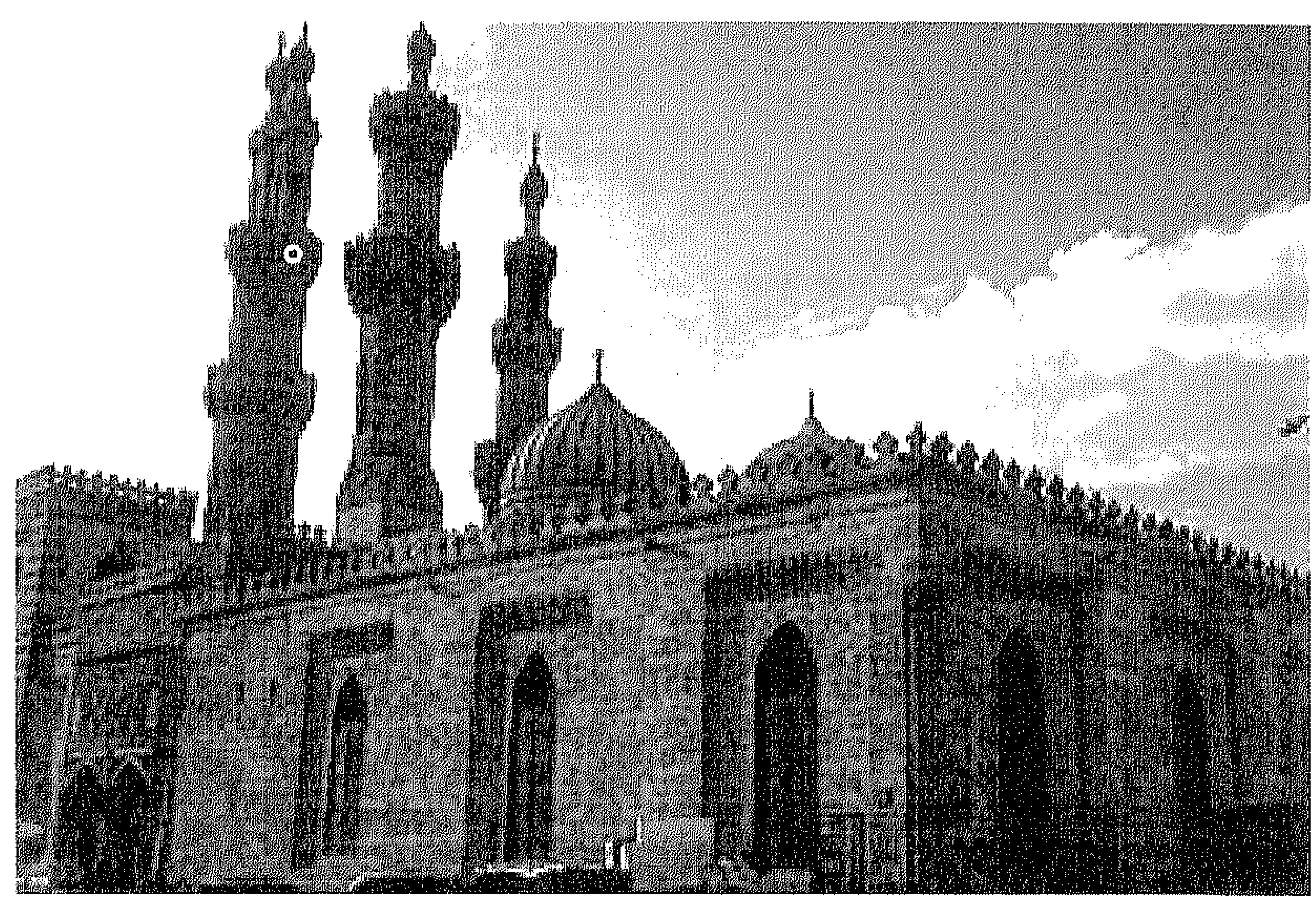
وجه ملكي



وادى الملكات

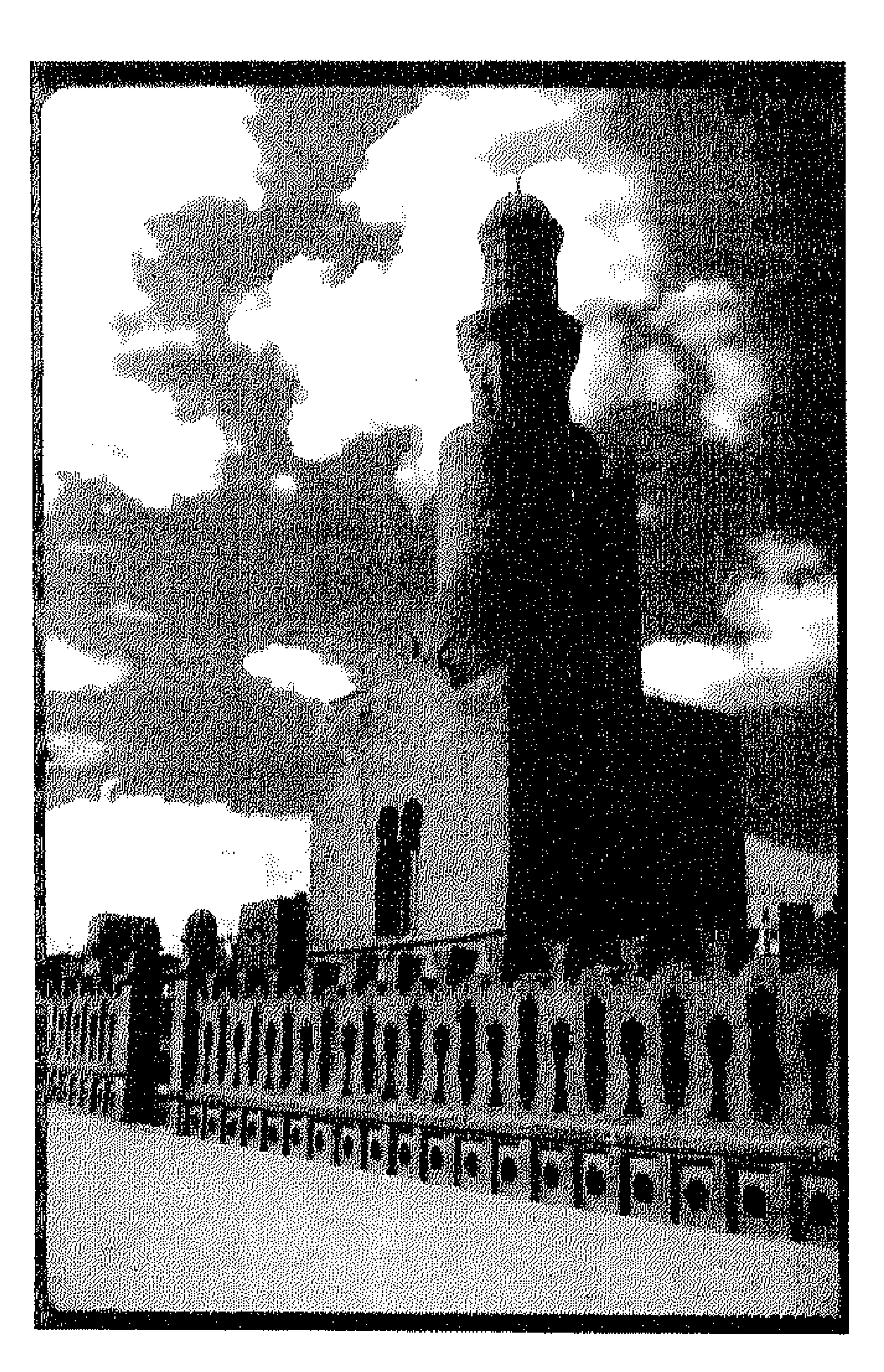


واجهة تمثال أبى الهول



الجامع الأزهر الشريف

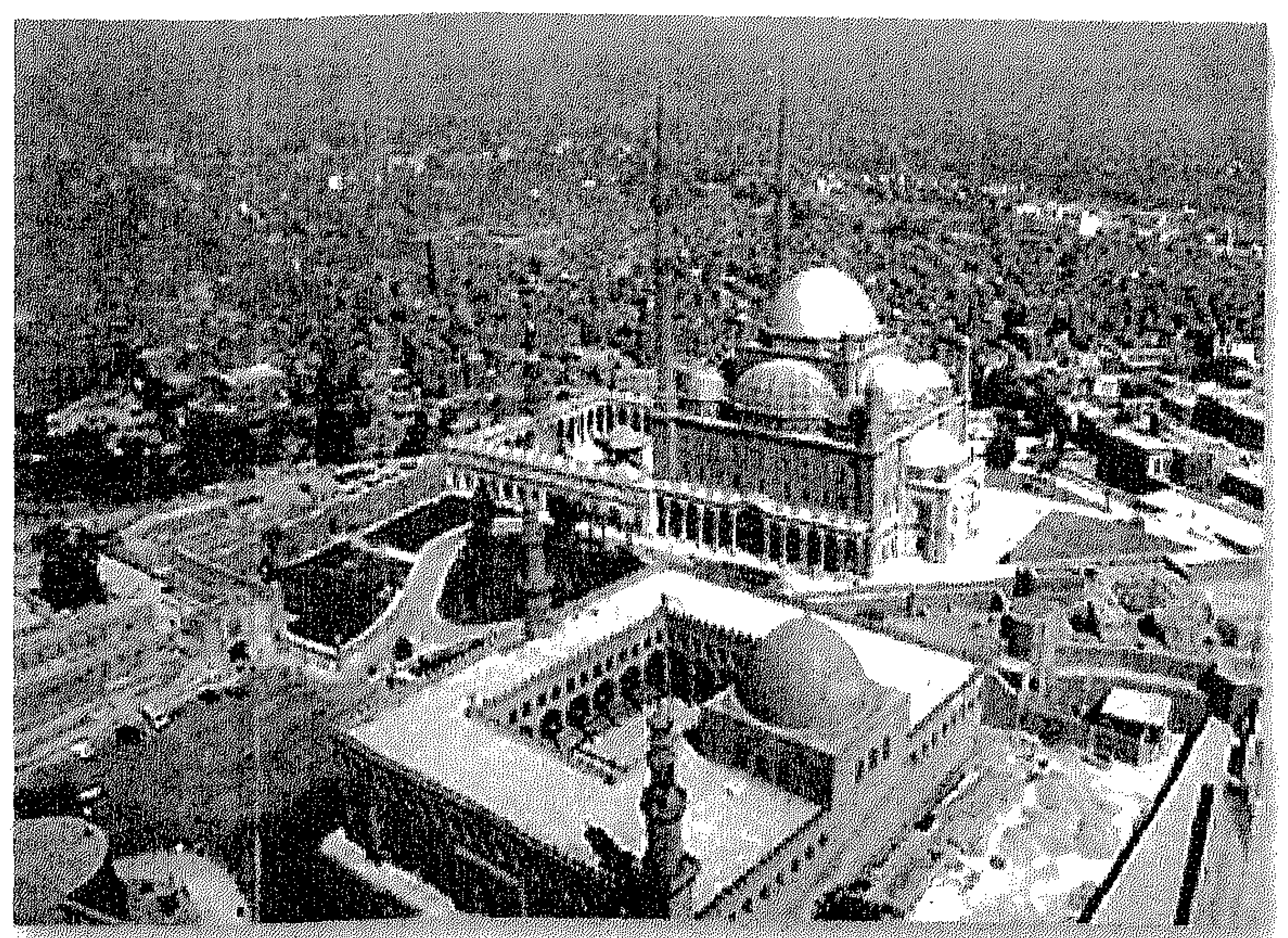
جامع أحمد بن طولون



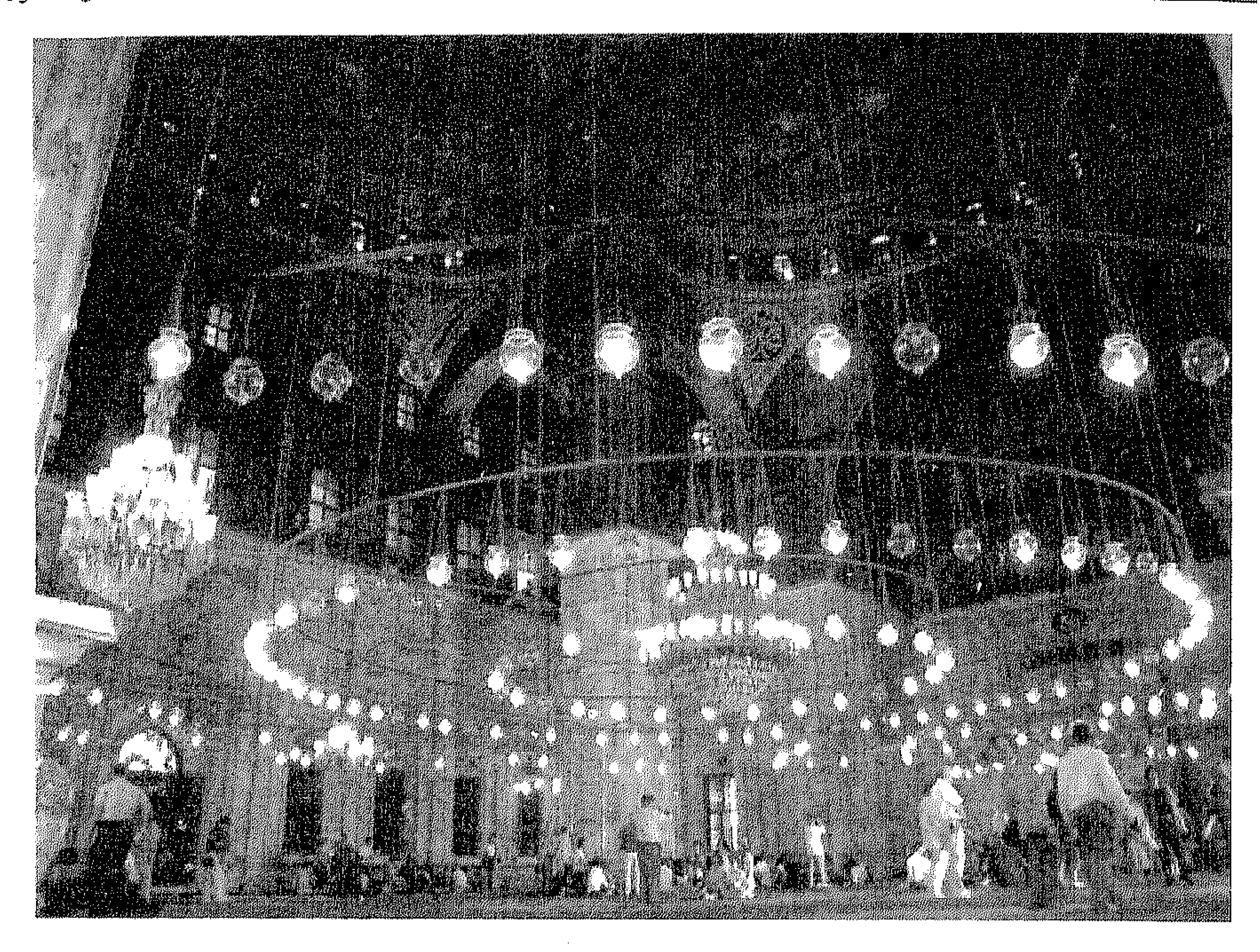
مئذنة جامع ابن طولون



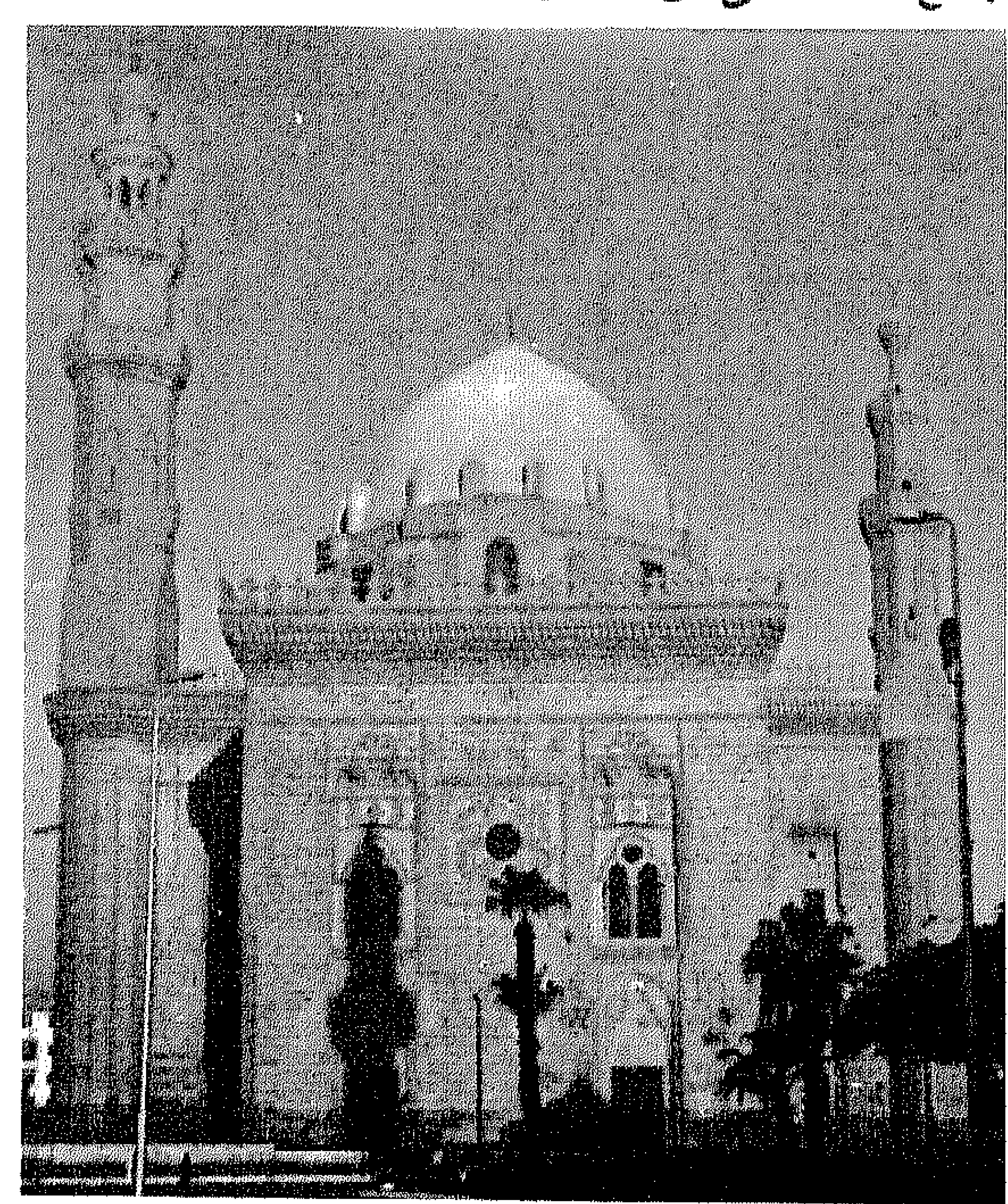
محمد على



مسجد محمد على



جامع محمد على من الداخل



جامع السلطان حسن



إبراهيم باشا

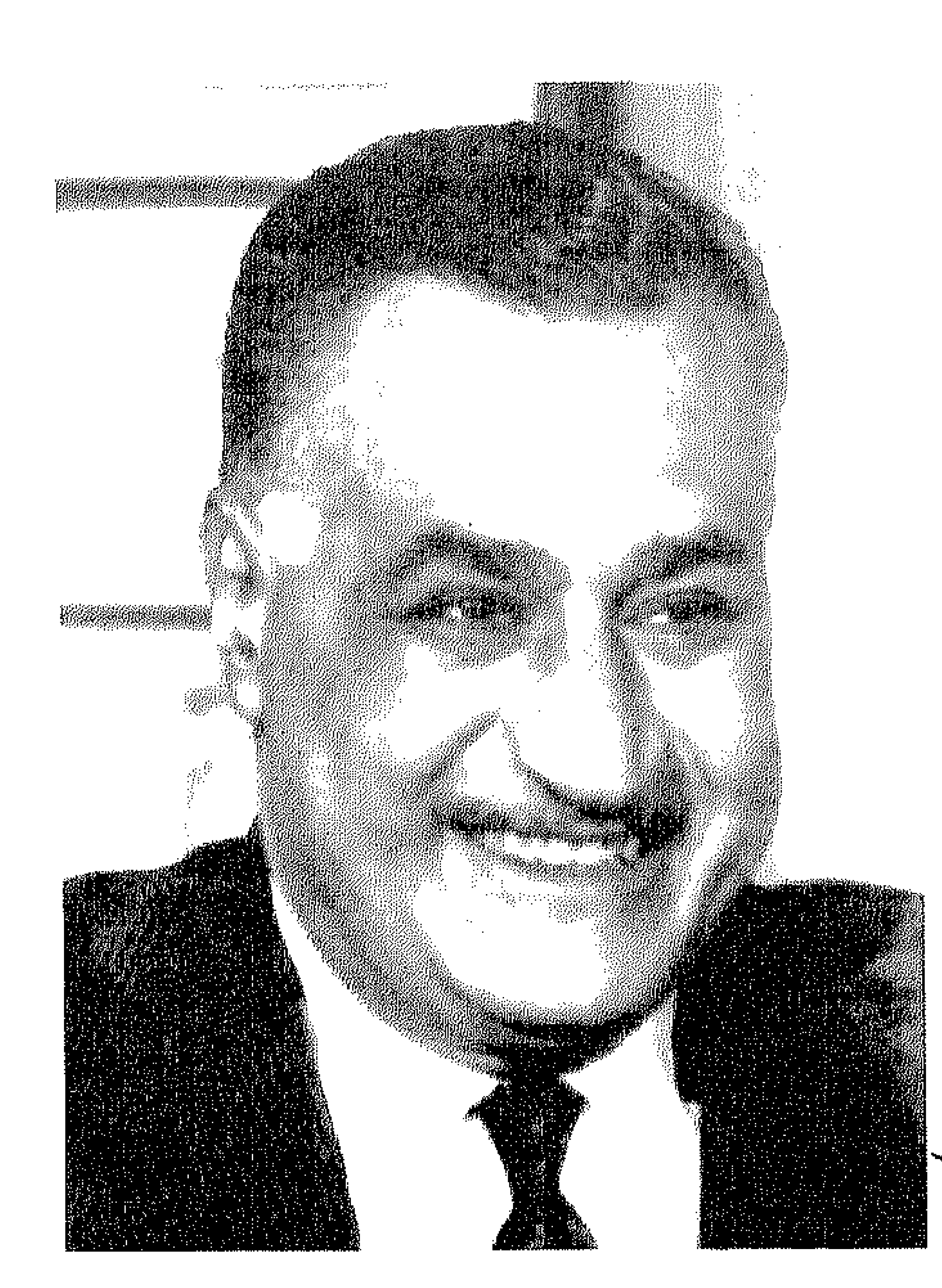


محمد نجيب أول رئيس مصرى



محمد نجيب وجمال عبد الناصر





الرئيس جمال عبد الناصر



صور حرب ١٩٥٦



اقتحام خط بارليف



الأسرى الإسرائيليون فى حرب أكتوبر ١٩٧٣



جثث قتلى العدو



جندى مصرى على شاطئ القناة لحظة العبور



جندى مصرى يشير بعلامة النصر



دبابة إسرائيلية محطمة



الرئيس محمد أنور السادات



الرئيس محمد حسني مبارك

اعلان دستورى

من مجلس قيادة الثورة

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كانت الثورة عند قيامها تستهدف القضاء على الاستعمار وأعوانه فقد بادرت فى ٢٦ يوليه ١٩٥٢ الى مطالبة الملك السابق فاروق بالتنازل عن العرش لأنه كان يمثل حجر الزاوية الذى يستند اليه الاستعمار .

ولكن منذ هذا التاريخ ومنذ الغاء الأحزاب وجدت بعض العناصر الرجعية فرصة حياتها دون جدوى لها مستمدة من النظام الملكى الذى أجمعت الأمة على المطالبة بالقضاء عليه قضاء لا رجعة فيه .

وأن تاريخ أسرة محمد على فى مصر كان سلسلة من الخيانات التى ارتكبت فى حق هذا الشعب وكانت من أولى هذه الخيانات إغراق اسماعيل فى ملذاته وإغراق البلاد بالتالى فى ديون عرضت سمعتها وماليتها للخراب حتى كان ذلك سببا تعللت به الدول الاستعمارية للنفوذ الى أرض هذا الوطن الأمين ، ثم جاء توفيق فأتم هذه الصورة من الخيانة السافرة فى سبيل محافظته على عرشه فدخلت جيوش الاحتلال أرض مصر لتحمى الخديوى الخائن الجالس على العرش الذى استنجد بالمحتل على أهله ومن هذا أصبح المستعمر والعرش فى شركة تبادل النفع ، فهذا يعطى القوة لذاك ، فى نظير هذه المنفعة المتبادلة فاستذل كل منهما باسم الآخر هذا الشعب وأصبح العرش هو الستار الذى يعمل من ورائه المستعمر ليستنزف أقوات الشعب ومقدراته ويقضى على كيانه ومعنوياته وحرياته .

ولقد فاق فاروق كل من سبقوه من هذه الشجرة فأثرى وفجر ، وطغى وتجبر وكفر ، فخط بنفسه نهايته ومصيره ، فآن للبلاد أن تتحرر من كل أثر من آثار العبودية التى فرضت عليها

إعلان الجمهورية

نتيجة لهذه الأوضاع، فنعلن اليوم باسم الشعب:

أولاً - إلغاء النظام الملكي، وحكم أسرة محمد علي، مع إلغاء الألقاب من أفراد هذه الأسرة.

ثانياً - إعلان الجمهورية ويتولى الرئيس اللواء أركان الحرب محمد نجيب قائد الثورة رياسة الجمهورية مع احتفاظه بسلطاته الحالية في ظل الدستور المؤقت.

ثالثاً - يستمر هذا النظام طوال فترة الانتقال ويكون للشعب الكلمة الأخيرة في تحديد نوع الجمهورية واختيار شخص الرئيس عند إقرار الدستور الجديد.

فيجب علينا أن نثق في الله وفي أنفسنا، وأن نحس بالعزة التي اختص الله بها عباده المؤمنين، والله المستعان والله ولي التوفيق.

القاهرة في ٧ من شوال سنة ١٣٧٢ (١٨ من يونيه سنة ١٩٥٣).

[illegible]
قائد ثورة الجيش
لواء أ.ح

بكباشي أ.ح [illegible] — قائد جناح [illegible]

قائد جناح [illegible] — بكباشي أ.ح [illegible]

بكباشي أنور السادات — بكباشي [illegible]

صاغ أ.ح [illegible] — صاغ أ.ح [illegible]

صاغ أ.ح [illegible] — قائد أسراب [illegible]

صاغ [illegible]

من الفريق (اركان الحرب) محمد نجيب باسم ضباط الجيش ورجاله الى جلالة الملك فاروق الاول

انه نظرا لما لاقته البلاد في العهد الاخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لارادة الشعب حتى اصبح كل فرد من افراد ، لا يطمئن على حياته او ماله او كرامته .

ولقد ساءت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم في هذا المسلك حتى اصبح الخونة والمرتشون يجدون في ظلكم الحماية والامن والثراء الفاحش والاسراف الماجن على حساب الشعب الجائع الفقير .

ولقد تجلت آية ذلك في حرب فلسطين وما تبعها من فضائح الاسلحة الفاسدة وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر مما افسد الحقائق وزعزع الثقة في العدالة وساعد الخونة على ترسم هذه الخطى فاثرى من اثرى وفجر من فجر وكيف لا والناس على دين ملوكهم .

لذلك قد فوضني الجيش الممثل لقوة الشعب ان اطلب من جلالتكم التنازل عن العرش لسمو ولي عهدكم الامير احمد فؤاد على ان يتم ذلك في موعد غايته الساعة الثانية عشر من ظهر اليوم (السبت الموافق ٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٢ والرابع من ذي القعدة سنة ١٣٧١) ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه .

والجيش يحمل جلالتكم كل ما يترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج

الاسكندرية في يوم السبت
٤ ذو القعدة ١٣٧١ هـ
٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ ميلادية

فريق اركان حرب

استلمت الصورة الاصلية لمكتب حضرة صاحب الرفعة رئيس مجلس الوزراء في تاريخه .

وثيقة التنازل عن العرش

من الفريق (أركان حرب) محمد نجيب باسم ضباط الجيش ورجاله إلى جلالة الملك فاروق الأول

إنه نظرا لما لاقته البلاد في العهد الأخير من فوضى شاملة عمت جميع
المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لإرادة الشعب حتى
أصبح كل فرد من أفراده لا يطمئن على حياته أو ماله أو كرامته
ولقد ساءت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم في هذا المسلك حتى
أصبح الخونة والمرتشون يجدون في ظلكم الحماية والأمن والثراء الفاحش
والإسراف الماجن على حساب الشعب الجائع الفقير
ولقد تجلت آية ذلك في حرب فلسطين وما تبعها من فضائح الأسلحة الفاسدة
وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر مما أفسد الحقائق وزعزع
الثقة في العدالة وساعد الخونة على ترسم هذه الخطى فأثرى من أثرى وفجر من فجر
وكيف لا والناس على دين ملوكهم.
لذلك قد فوضني الجيش الممثل لقوة الشعب أن أطلب من جلالتكم التنازل
عن العرش لسمو ولي عهدكم الأمير أحمد فؤاد على أن يتم ذلك في موعد غايته
الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم (السبت الموافق ٢٦ يوليو ١٩٥٢ والرابع من
ذي القعدة ١٣٧١) ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة مساء اليوم نفسه
والجيش يحمل جلالتكم كل ما يترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج

فريق أركان حرب

الإسكندرية في يوم السبت
٤ ذي القعدة ١٣٧١ هـ
٢٦ يوليو ١٩٥٢ ميلادية

سلمت الصورة الأصلية ...

وثيقة التنازل عن العرش ٢

الفهـــرس

الموضـــــوع | الصفحة

الباب الثالث
العصر الحديث

تـــاريخ مصـــر

من العصر الفرعونى حتى العصر الحـديث

بين دفَّتى هذا الكتـــاب سرد لتاريخ أكبر دولة فى هذه المنطقـة من العالم، مصر التى عاشت قبل التاريخ وبعده، تاريخ طويل ممتد لنحو سبعة آلاف سنة، جمعه مؤلف الكتاب فى صفحات معدودة باقتدار، أخذ فيه بأطراف الزمان ووضعه بين يدى القارئ.

كتاب يغنيك عن مجلدات، فهو يعطيك صورة متكاملة من جميع زوايا النظر إلى المجتمعات سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا ودينيًا.

مع هذا الكتـــاب تشعر أن تاريخ مصر كله بين يديك بعبارة بسيطة وتلخيص لا تشعر معه بخلل أو نقص، رغم أنك قد تختلف معه فى بعض ما ذهب إليه من آراء مثل رأيه فى مذبحة القلعة التى دبرها محمد على للمماليك، وكذلك رأيه فى أن ثورة يوليو حققت أهدافها الستة التى قامت من أجلها.






ISBN:977-364-130-9
900000
9 789773 641306